عبد الرحمن النحلاوي

التربية الإسلامية
والمشكلات المعاصرة

الطفولة — مشكلة الفراغ

تعليم المرأة — التربية الذاتية

الفنية والتربية — الكرامة الإنسانية

التربية للجهاد والسلم

نشر

المكتب الإسلامي
بيروت

مكتبة أسامة
الرياض

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

المكتب الاسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقياً: اسلامياً
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً: اسلامي

مكتبة أسامة
الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله الذي جعل التربية مشتقة من اسمه وجعل اشرف الأعمال عمل المربين والصلاة والسلام على من كان وما زال أفضل قدوة للمربين، وصفه الله بقوله ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ وجعله هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله وصحبه اجمعين.

وبعد، فقد اشتدت حاجة الامة الاسلامية الى نظام تربوي يتناسب مع واقعها ومثلها الاعلى وعقيدتها، وصراعها لاسترداد مجدها...

نظام تقوم عليه حياة المسلم من اولها الى اخرها، ويشمل المجتمع الاسلامي بكل طبقاته واجناسه، وينهض به في كل ظروفه واحواله.

ولكن شعور المسلمين بهذه الحاجة لم يصل، عند معظمهم، الى مستوى الاحداث التي تحيط بهم. لذلك لا بد من وقفة عند كل مناسبة وفي مطلع كل قرن لإرسال النداءات والتنبيهات لتحذير الامة الاسلامية من الاخطار المحدقة بها من كل جانب.

واني لأشكر الله أن قيّض لي، ونحن نطرق ابواب القرن الخامس عشر الهجري ان ارسل هذا النداء التربوي وابين بالاسلوب العلمي:

(★) حاجة الجنس البشري الى التربية وضرورتها عبر الاجيال.

(★) وان لكل امة في هذا العصر نظامها التربوي الذي يتناسب مع اهدافها ومثلها العليا كما تتراءى لها.

(★) وحاجة العالم الى نظام تربوي اسلامي متكامل، ينقذه من الضياع والهلاك كما أنني سأحاول ان ألقي بعض الأضواء على منهج البحث التربوي الاسلامي وأبيّن بايجاز أهم مصادر المحاولات التي بذلت في هذا المجال في القرن الرابع عشر الهجري.

وذلك كله في حدود هذه المقدمة التي وضعتها بقصد تعريف القارىء بمنهج هذا الكتاب وهدفه، وأهمية موضوعاته وضرورتها لهذه الامة.

التربية ضرورة انسانية

تمهيد في معنى التربية عند الغربيين:

يكاد يجمع فلاسفة التربية الحديثة على ان التربية هي تحقيق النمو والحياة لدى الناشيء، ولكي نفهم معنى الحياة نقارن بين الكائنات الحية والكائنات الجامدة: فنجد ان «الكائن الحي يمتاز عن الكائنات الجامدة بانه يجاهد في استغلال القوى المحيطة به لمصلحته[1]». فالنبات مثلا يستخدم الضوء والهواء والرطوبة والتربة، ويحولها - بقدرة الله - إلى وسائل صالحة لادامة بقائه، ولتجديد نفسه واحواله وتطويرها نحو الافضل والاقوى - فيستخلص من التراب والرطوبة عصارات يتغذى بها، ومن الهواء ما يحقق له التنفس والحياة، وما يحقق له اليخضور والازدهار. ومن جميع هذه العناصر يتحقق للنبات التكاثر والنموّ وحفظ كيانه. وذلك بتجديد نفسه: تجديد اوراقه، وتجديد لحائه وتجديد ازهاره وثماره، كل ذلك بما اودع الله فيه من خصائص وقوى تكلؤها العناية الالهية.

والحيوان يستفيد من قوى الطبيعة ومن النباتات، يتمثلها فيحولها الى خلايا

---

(١) جون ديوي: الديمقراطية والتربية ص ١. تعريب: د. متى عقراوي د. زكريا ميخائيل - ط مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٦٥ - ١٩٤٦ م.

وحريرات واجهزة، وبذلك يجدد خلاياه، ويجدد فراءه، ويجدد قواه. وقد يجدد بعض تفاصيل سلوكه في المواقف الطارئة كل ذلك لحفظ كيانه، وحفظ نوعه او ذريته....

« فالحياة إذن عملية تجدد ذاتها بفعلها في البيئة[1] ». والكائنات الحية تمارس حياتها بان تجدد نفسها من اجل حفظ كيانها، واستمرار بقائها او بقاء جنسها او نوعها والتربية هي نقل هذه العملية من الاجداد الى الاحفاد.

اما الانسان فانه يستغل ما سخر الله من القوى الطبيعيّة والكائنات الحيّة، ليحولها الى وسائل حضارية تحقّق تجديد حياته في سبيل استمرار بقائه وبقاء نوعه، وبهذا يحقّق رقيّه وتطوّره نحو الأفضل.

حاجة البشر الى التربية:

من الملاحظ ان الانسان يمتاز عن الحيوان والنبات بوعيه الكامل لعملية تجديد الحياة التي يقوم بها، وبقدرته على استيعاب خبرات الماضي والاحتفاظ بها واغنائها وابداع وسائل جديدة... كما يمتاز بقدرته على تكوين حياة اجتماعية معقدة، تقوم على علاقات متشابكة واهداف مشتركة. وهو يسخر قواه ووسائله الحضارية المبتكرة، وينظم مجتمعه وحياته من اجل الدفاع عن اهدافه ومعتقداته التي هي جزء من كيانه بل هي سر كيانه.

وفي مقابل ما يمتاز به الجنس البشري عن سائر الكائنات الحية، نلاحظ ان الطفل البشري، على العكس، يمتاز، حين يولد، بالعجز عن تحقيق كل هذه الخصائص، وبالعجز عن ايّ تصرف تلقائيّ...

وهكذا نجد أنّ تربية الطفل البشري اصعب انواع التربية على الاطلاق. انها اشبه ما تكون بمعادلة صعبة، ذات طرفين بينهما من التباين والبعد مثل ما بين السماء والارض: في احد طرفيها طفل قد ولد ضعيفا عاجزا غير مزود بشيء من السلوك الغريزي، الا البكاء والحركة العشوائية وامتصاص الثدي،

---

(١) المرجع السابق (الديمقراطية والتربية).

ولكنه مجهز باجهزة ووسائل مدهشة، يمكنه اذا احسن تمرينها واعدادها ان يتزود، مع مرور الزمن وعلى المدى البعيد، بكل ما يحتاج من الخبرات والقدرات ﴿والله أخرَجَكُم من بطُون أمّهاتِكُم لا تَعلمونَ شيئاً، وجَعلَ لكُمُ السمع والابصارَ والافئدةَ، لعلّكم تَشكُرونَ﴾[1].

وفي الطرف الاخر من هذه المعادلة التربوية الصعبة نجد البيئة بأوسع معانيها، وعلى الناشيء ان يتطبع بكل مؤثراتها: بعواملها وتضاريسها الطبيعية وما تطرحه من مشكلات ومصاعب في وجه الحياة. كما عليه ان يتطبع، وهذا اهم واصعب، بالبيئة الانسانية، اي بالمجتمع البشري بأهدافه ومثله العليا ولغته وتصوراته وتفكيره وعاداته «وكلما تقدمت الحضارة، اتسعت الشقة بين حالة الناشئين الفطرية وبين معايير الكبار وعاداتهم في الحياة». ذلك «ان الاطفال يولدون وهم لا يحيطون خبرا باهداف الجماعة وعاداتها. بل هم لا يعبؤون بها ابدا.. وما على الجماعة الا أن تبصّرهم وتثير اهتمامهم الحيّ بها. وما من طريق إلى ذلك، أي إلى تقريب الشقة بين الطفل والجماعة، إلا بالتربية[2]».

«فوجود المجتمع متوقف ـ كما في الحال في العملية البيولوجية ـ على عمليةالنقل. وهذا النقل يتم بانتقال عادات العمل والتفكير والشعور من الكبار الى الناشئين. وبغير انتقال المثل العليا والآمال والمطامح والمعايير والآراء من الأفراد الذاهبين عن حياة الجماعة الى أولئك الوافدين عليها لا يمكن لحياة الجماعة أن تدوم[3]» «فالتربية عمل تحتمه الضرورة» أي ضرورة بقاء الجنس البشري. انها ضرورة إنسانية لا يستغني عنها أي مجتمع بشري يريد البقاء والاستمرار.

لكل أمة تربيتها في عالم اليوم: مما يلاحظ على الواقع الذي يعيشه العالم اليوم ان المجتمعات البشرية ليست سواء في مثلها العليا، ولا في عادات العمل والتفكير ودوافع الشعور عند كل منها... بل انها لتختلف في ذلك كله

---

(١) النحل ـ ٧٨.

(٢) (٣) جون ديوي ـ نفس المرجع ص ٣.

اختلافا يبلغ حد التناقض أحياناً .... وانها لتنتصر لهذا انتصاراً يبلغ حد الصراع بكل أنواعه .

فكل أمة تتعصب - كما هو معروف في التاريخ وفي العصر الحاضر - لآمالها ومصالحها ومطامحها وعقيدتها ومثلها الأعلى، وتسعى لأن تضم الجماعات والأمم الأخرى - بشتى الوسائل التي تستطيعها - تحت لواء هذه العقيدة أو ذلك المثل الأعلى، ولا ترضى في قرارة نفسها الا عمن يتابعها او يوافقها في ذلك كله، وقد أوضح الله تعالى هذا القانون التاريخي بقوله .

﴿ولَنْ ترضَى عنكَ اليهودُ وَلا النّصارىٰ حتّى تَتّبِعَ مِلّتَهُم: قُل إنّ هُدىٰ اللهِ هو الهدى﴾[1] ﴿وقالتِ اليهودُ ليستِ النّصارىٰ على شيءٍ: وقالتِ النّصارَىٰ ليست اليَهود على شيءٍ وهُم يتلونَ الكتابَ﴾[2] ... وازاء هذا الاختلاف البيّن والتعصب[3] الواضح، لا بد ان تكون لكل امة تربيتها، واساليبها

---

(١) البقرة (١٢٠)

(٢) البقرة (١١٣)

(٣) يلاحظ أن معظم الامم والدول الكبرى درجت في هذا العصر على محاولة اخفاء هذا التعصب تحت ستارات وشعارات شتى فمن ناحية التدين: يدعون الناس الى التسامح وينسون انهم اشد الناس تعصبا، في خلواتهم، واجتماعاتهم الطائفية السريّة، ووسائلهم الماكرة، ونشراتهم الدينية التي يتداولونها فيما بينهم، ويربون ابنائهم على كره الطوائف الأخرى أو الحذر منها، او اضمار الشر لها والمكر بها ... وليقرأ من أراد البرهان، ما كتب حول هذا الموضوع مثل (الغارة على العالم الاسلامي) لمحب الدين الخطيب. وكتاب (التبشير والاستعمار) د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ وكتاب (بروتوكولات صهيون) وغيرها. بل يكفي أن ننظر بتبصّر الى ما يفعله الوثنيون والروس واليهود والصليبيون في فلسطين ولبنان وافريقيا وافغانستان واندونيسيا، وتشاد، والفلبين وغيرها وغيرها من ذبح المسلمين واضطهادهم وتشريدهم بالآلاف وابادتهم. وفي المجال الفكري يدعون الناس الى عدم التمذهب الفكري أو التحيز في الرأي لأية فكرة سابقة، وهم يريدون أن يخلي الناس عقولهم من أية فكرة سابقة، وأن يتخلوا عن المعايير والموازين، موازين الحق التي لا بد منها لكل مفكر عاقل. وقد نسوا أنهم أقاموا كل ثقافتهم وعلومهم المادية على مبادىء وثنية ثابتة كتأليه الطبيعة وتشريع الانسان لنفسه، وانكار علاقة الخالق بقوانين الطبيعة أو اغفالها وتناسيها ونحو ذلك =

واهدافها التربوية الخاصة بها . ذلك ان التربية ـ كما رأينا ـ عملية نقل لتلك العادات والمطامح والمشاعر والاهداف والمثل العليا ، من جيل ذاهب ، الى جيل قادم . او لنقل ، انها عملية اتصال بين الاجيال . وهذا النقل والاتصال ، لا بد ان يختلف باختلاف الاهداف والافكار والعادات المنقولة ، وباختلاف فهم كل امة لمعنى الحياة ، وموقفها من الحياة أو مهمتها في الحياة ، وأساليب العمل والتفكير المنبثقة عن ذلك كله .

نستنبط مما سبق أن التربية (مثلها علم النفس وعلم الاجتماع كما يسمونها) كل هذه البحوث ليست علوماً ذات حقائق ثابتة في كل زمان ومكان ، ثبوت حقائق العلوم الكونية كالفيزياء ، والكيمياء والفلك والجغرافية الطبيعية ووظائف الأعضاء .

ذلك أن موضوع هذه العلوم الكونية أشياء لا تتغير قوانينها . لأن حوادثها تتكرر ـ في الأغلب ـ على نسق ثابت تقريباً . أما تلك البحوث الانسانية فإن موضوعها هو الإنسان ، الذي أصبح اليوم تمزقه التحزّبات والأهواء والنحل والملل ، وتذهب به مذاهب شتى ، مما جعله يختلف في كل مجتمع عنه في الاخر ، اختلافاً يجعل من المتعذر دراسة سلوكه وأساليب تجمّعه ونظم حياته الاجتماعية ، وأساليب تربيته ، دراسة موحدة علمية تستهدف الوصول الى قوانين ثابتة تشمل بني البشر في كل زمان ومكان ، وتمثل حقيقتهم الانسانية . . . . .

ولكن الأمم القوية والدول التي تملك زمام قيادة الثقافة العالمية ، ماضيةٌ اليوم ، في بحثها عن الحقائق الانسانية ، معتبرةً أن الانسان ـ كما يعيش في بلادها ـ هو الانسان الذي يصلح موضوعا لهذه الدراسات ، وما علموا ان هذا الانسان قد انحرف عن فطرته فلم يعد يمثل الانسان على حقيقته[1] .

= مما بسطنا في بحث (مزالق المدرسة الحديثة) في كتابنا (اصول التربية الاسلامية وأساليبها) .

(١) يحسن بنا ـ ما دمنا في صدد بحث موضوع العلوم الانسانية ـ ان نورد بعض الامثلة الواقعية التي مر بها بعض الباحثين المسلمين كالواقعة التالية : حدثني طبيب ذهب الى انجلترا =

سواء في الشرق أو في الغرب، الا من رحم ربك وسيرى القارىء في الصفحات التالية بعض اشكال هذا الانحراف، ونتائجها في الحياة البشرية.

حاجة العالم الى نظام تربوي اسلامي:

لكي نعرف مدى حاجة العالم الى تربية بديلة عن التربية السائدة فيه يجب أن نستعرض أولاً مشكلته التربوية، ثم نبحث عن أسباب المشكلة، ثم نستوحي من هذه وتلك، ومن تاريخ الإنسانية وواقعها النظام التربوي الذي نعتقد أنه هو الكفيل بصلاح العالم.

مشكلة العالم التربوية:

يقرر علماء الغرب ان التربية - كما رأينا - هي الحياة، وأن الحياة الإنسانية متوقفة على وجود المجتمع وهذا لا يتحقق إلا بنقل الثقافة من جيل سابق إلى جيل لاحق، ولكننا نلاحظ أن العالم يعيش بشتى مجتمعاته في تناقض كبير بين الشعارات التي يطرحها القادة والمفكرون والمربون، وبين النتائج الواقعية التي تجنيها الشعوب، وخاصة الضعيفة، أو الطبقات المحكومة من الدول الكبرى. فشعار حرية الشعوب وتقرير مصيرها يقابله ظلم الشعوب

= للتخصص في الطب النفسي، وكان عليه، لكي يشخص الحالة المرضية، أن يعرف الحالة السوية، وان يميز بين ما هو شاذ وما هو سوي من السلوك. قال: ان الفتى او الفتاة التي لا عشيق لها ولم تدخل حتى سن الثامنة عشرة (تجربه جنسية)، تعتبر (شاذة) في نظر القوم، وعلى الطبيب ان يتساءل عن سر هذا (الشذوذ)؟...

فانظر إلى هذه النماذج من (السلوك الانساني) الذي اعتبروه موضوعاً تصدر عنه قوانين التربية وعلم النفس؟ أليس علم النفس عندهم هو علم دراسة السلوك؟ وتأمل: كيف أصبح (الشذوذ) هو الأصل وهو السلوك السوي في هذه المجتمعات؟... وانظر مقدمة كتاب (أصول التربية الاسلامية واساليبها) للمؤلف.

الضعيفة واغتصاب خيراتها. ولكن بأساليب خداعة ماكرة ملتوية: ظاهرها المعاهدات والتعاون والمؤتمرات وحقيقها التهديد والإكراه، وتمويه الحقائق.

وشعار الحرص على السلام والدعوة اليه - يقابله التدخل في شؤون الشعوب الضعيفة والاعتداء عليها، على مرأى ومسمع من المؤسسات الدولية التي لا تحرك ساكناً ولا تستعمل سلاحاً فعالاً لردْع أي ظالم أو مغتصب.

وقد يقابله تحريك الفتن والاضطرابات، لجر الدول الناشئة الى الحروب الداخلية، بغية اضعافها، وأخذ أموالها ثمناً لأسلحة بالية أصبحت الدول الكبرى في غنى عنها، والتدخل في شؤونها، بعد أن أصبحت بحاجة دائمة إلى الأسلحة والخبراء.

وشعار حفظ الصحة العامة يقابله تعاطي الخمور والمخدرات والتدخين وحماية تجارتها وصناعتها واستهلاكها في الأماكن العامة، وقد يشارك فيها الأحداث أو الغلمان، سواء في جو الأسرة أو غيره من الأجواء العامة...

وشعار حفظ الأسرة يقابله إباحة الزنا، وترويج الشهوات بالدعايات والأفلام الجنسية ترويجاً يؤدي إلى الخيانة الزوجية وتقويض أركان الأسرة وانجاب مئات الألوف من الأولاد غير الشرعيين، وإيداعهم في الملاجىء، لا يعرفون لهم أماً ولا أباً ولا أسرة ولا سنداً، كما يقابله انتشار الانحراف الجنسي، وتحريض المرأة على ما لا يليق بها، من أعمال الرجال، وعلى مخالطتهم حتى تخسر أنوثتها ومكانتها الطبيعية في الحياة الزوجية وتربية الأطفال[1] فتضيع بذلك الأسرة وتضيع معها الإنسانية.

وشعار حفظ الطفولة ومراعاة طبيعتها قد أدّى إلى ضياع الطفولة[2]، بسبب المبالغة الوجلة في مراعاة شخصية الطفل، كما أدى إلى «انتشار ظاهرة التدليل والإباحة، وهي غالباً ما تواكب النزعة الى السماح للأطفال بأن يكونوا غير

---

(١) (٢) يجد القارىء ايضاحاً وافياً لهذا في مقدمة الكتاب (أصول التربية الإسلامية) للمؤلف.

مهذبين، وعصاة لآبائهم وأمهاتهم، أو نائحين شارقين بالدموع لأقل إثارة، أو مهملين فيما يخصهم من أشياء، أو فيما يمتلكه الغير، أو شديدي الهياج والعدوان..[1]

وهكذا سقط في أيدي شعوب العالم اليوم، ولم تعثر فيما حولها على مبعث أمل أو وميض من نور لدى بحثها عن شعارات صحيحة ذات نتائج بناءة، أو أهداف ونظم تربوية سليمة قادرة على حل مشكلةالتناقض والتفسخ والدمار والضياع، التي يعاني منها العالم في شتى ظروفه ومجالاتحياته. ذلك أن هؤلاء الزعماء والمفكرين الذين يقودون دول العالم الى الدمار وهذه الأجيال التكنولوجية، أجيال الحضارة المعاصرة ـ كل أولئك ـ إنما نشؤوا وترعرعوا تحت لواء (التربية الحديثة) وفي ظل نظرياتها وأسسها وأنظمتها وأساليبها.....

ولم تكن هذه النتائج المريرة ناجمة عن أساليب التربية الحديثة بمقدار ما كانت منبثقة عن فلسفتها وأهدافها، ومكانة الإنسان في نظرها، ووظيفته في هذا الوجود. فالإنسان منذ وجد على وجه البسيطة، ما زال يبحث عن ذاته ووجوده، ويسأل عن ماهيته، وسبب حياته وغايتها، وعن مهمته في هذه الحياة.

بيد أن التربية الحديثة لا تأبه لهذه المشكلة، ولا تعيرها أي اهتمام!... بل انها لتعتبر البحث فيها خارجاً عن نطاقها ومهمتها التربوية...

لذلك باتت الإنسانية تدور في حلقة مفرغة، كما يدور حصان الرحى ـ وقد أغمضت عيناه ـ حول محور ثابت، ثم يعود إلى المكان الذي بدأ منه، دواليك.....

فالناس يغمضون أعينهم عن معرفة حقيقة الموت، وعن معرفة هدفهم بعد

---

(١) د. بنجامين سيوك: مشكلات الاباء والامهات ص ٤١٧ ـ ٤١٨ ترجمة د. محمد علي العريان.

هذه الحياة وعن رسالتهم فيها، وهم مع ذلك يلهثون سعياً وراء المزيد من مكاسب الحياة ورفاهيتها وتنظيم التعايش فيها ظانين أن هذا هو الهدف من الحياة، لأنهم ربوا على هذا المبدأ.

هذه هي مشكلة العالم التربوية: تتلخص في أن التربية الحديثة هي المسؤولة عن هذا الوضع المتردي الذي وصلت إليه الإنسانية، وأنْ لاخلاصَ للعالم الا بالبحث عن نظام تربوي بديل.

ولكن منهج البحثْ العلميّ يدعونا أن ندرس الأسباب قبل اقتراح البديل.

أسباب المشكلة:

قصور التربية الغربية:

لو تأملنا مشكلة العالم التربوية لاستنبطنا أنها ترجع الى الأسباب التالية:

١ ـ ان التربية الغربية أصبحت فاقدة هدفها الإنساني الذي يستحق أن يكون هدفاً وذلك حينما جعلت الحياة هي الهدف من التربية.

فالحياة أمر حاصل لا يحتاج الى تحصيل، ولو احتاج لكان تحصيله شيئاً عادياً سهلاً، وليس فيه كبير شيء من القيمة التي تجعله هدفاً: أي دافعاً حقيقياً للدأب المستمر من أجل تحصيله أو تحصيل بعضه والسعي باستمرار لاستكمال أكبر قدر ممكن منه.

ثم ان الحياة معرضة للموت والزوال فما قيمة السعي لهدف حائل زائل يزول بزواله كل جهد بذل من أجله.

٢ ـ ان التربية الغربية لم تنطلق من فطرة الإنسان، وطبيعته: أي انها لم تحقق للإنسان معرفة صلته بالكون ولا معرفة أصله، ولا معرفة مصيره، بعد زوال الحياة، ولا العمل على جعل حياته منسجمة مع هذه الأمور التي فطر الإنسان على تفقدها وطلب معرفتها وهكذا تركت الناس يعيشون

في قلق وحيرة من هذا التساؤل الذي يلح عليهم باستمرار، فيؤرقهم على مصيرهم ومهمتهم في هذا الوجود، أعني التساؤل عن علاقتهم بالكون وقواه، وبالموت وما بعد الموت؟ وعن سبب وجودهم ووجود الكون . . . .

٣ ـ إن الأهداف الفرعية للتربية الغربية، التي تتفرع عن هدف الحياة جاءت بنتائج ليست في مصلحة الإنسانية لافتقارها إلى ضابط يوجهها نحو مثل إنساني أعلى. فانقلب هدف (تحقيق الذات)[١] إلى الاستئثار بكل شيء حتى تضاربت (ذوات) الناس واستخدمت المواهب للاستئثار بالمال أو السيطرة أو الجاه أو الشهوات أو نحو ذلك مما تميل إليه غرائز الإنسان . . .

وانقلب هدف (المواطن الصالح)[٢] إلى نزعات عنصرية، وصارت كل أمة تربي (مواطنها) على تحقيق مصالحها المادية ومطامعها ولو كان ذلك على حساب الشعوب الأخرى ونهب خيراتها . . .

وهدف (كسب الرزق)[٣] جعل الناس يتهافتون على العمل حتى صار أفراد كل شعب كأنهم آلات في معمل كبير، يسيّرهم حكامهم أو كبار أغنيائهم لتحقيق هدف الإنتاج المادّيّ، غير شاعرين بإنسانيتهم ورسالتهم في هذه الحياة،ولا يعرفون لماذا يعملون؟ . . .

وأصبح هدف (النمو عن طريق كسب الخيرات)[٤] سلاحا خطيراً جعل الإنسان يستخدم خبراته في تحطيم أخيه الإنسان غير آبه بمصلحة عليا أو هدف اسمى يوجه هذه الخبرات، أو ضابط رباني يضبطها . . . .

---

(١) (٢) (٣) (٤) يجد القارىء مناقشة هذه الأهداف في كتاب (أصول التربية الإسلامية وأساليبها) للمؤلف تحت عنوان (الاسلام واهداف التربية الغربية) ص ٩٩ ـ ١١٤ وانظر في كتاب: (مدخل الى التربية في ضوء الاسلام) للأستاذ عبد الرحمن الباني.

حل المشكلة:

من الثابت في منهج البحث العلمي أن حل أيّة مشكلة علميّة، أو تفسير أيّة ظاهرة غريبة، ينبغي أن يستوحى من واقع الظاهرة أو المشكلة، أو من الوقائع المحيطة بها، أو الشروط التي ترافقها أو تسبقها.....

ونحن هنا أمام (أزمة تربوية) تحيط بالانسان في فترة من تاريخه، وليس أمامنا الا أن نبحث عن حل لها في سجل حياة الإنسانية، أعني أن نبحث في صفحات التاريخ، عن نظام تربوي أعطى الإنسانية نتائج أفضل وأحسن مما هي عليه اليوم، وجنّبها الويلات والمآسي التي باتت تعاني منها في هذا العصر، على أن يكون مواتيا لفطرة الإنسان وطبيعته.

نظرة تاريخية حول المشكلة

والتاريخ يؤكّد لنا أن الأمة التي قادت الإنسانية الى العلم والحريّة والنور، ووضعت أسس الحضارة التي تنعم بها البشرية اليوم هي الأمة الإسلامية ولكنها وضعت أسساً علمية نابعة من الإيمان بالله، ثم ان الغربيين بنوا على هذه الأسس حضارة مادية، بعد أن نبذوا كل ما فيها من معاني إنسانية ربانية.

ويشهد المنصفون من المؤرخين بذلك، وهذه بعض أقوالهم قال المؤرخ الفرنسي (سيديو) أحد وزراء فرنسا السابقين في كتابه (خلاصة تاريخ العرب)[1]:

«ثم اتى النبي (ﷺ) فربط علائق المودة بين قبائل جزيرة العرب ووجه أفكارها إلى مقصد واحد، فعلا شأنها حتى امتد سلطانها من نهر التاج ـ المار باسبانيا ـ إلى نهر الغانج، وهو أعظم أنهار الهند».

---

(١) الاسلام في نظر اعلام الغرب. تأليف حسين باسلامه ص ـ ٣١ نقلا عن الكتاب المذكور للمؤرخ الفرنسي ص ٧ ـ ٩ تعريب علي مبارك باشا.

« وانتشر نور العلم والتمدن بالشرق والغرب، وأهل أوربا إذاك في ظلمة القرون الوسطى » ثم قال « ولا نزال إلى الآن نرى آثاره حين نبحث عن مبادىء ما نحن عليه من العلوم الأوربية » وقال « وبذل العرب همتهم في الاشتغال بجميع ما ابتكرته الافهام البشرية من العلوم والفنون واشتهروا في غالب البلاد، خصوصاً البلاد النصرانية من أوربا، بابتكارات تدل على أنهم أئمتنا في المعارف ».

وقال سيديو[1] « لقد كان المسلمون منفردين بالعلم في تلك القرون المظلمة، فنشروه حيث وطئت أقدامهم، وكانوا هم السبب في خروج أوربا من الظلمات الى النور »

وقالت الدكتورة (فاليري) الايطالية، تُبيّن أسباب هذا التقدم العلمي، وسر انتصار الدعوة الإسلامية وانتشارها وبقائها ما نصه[2]:

« ليت شعري كيف تسنّى لهؤلاء المجاهدين غير المدرّبين أن ينتصروا على شعوب تفوقهم مدنيّةً وثروةً، وتزيد عليهم دُربةً ومراسا للحروب؟ وكيف استطاعوا أن يبسطوا سلطانهم على بلاد متسعة الارجاء؟ وأن يحتفظوا بفتوحاتهم هذه ويوطّدوا هذا الصرح العظيم الذي ثبت أمام حروب شديدة استمرت قروناً عديدة، فلم تَقْوَ على هدمه ونقض بنيانه الشامخ المتين »؟

وتجيب الكاتبة الايطالية عن كل هذه التساؤلات قائلة[3]:

« أخذ الناس الذين دهشوا لهذا الانقلاب الاجتماعي الديني السياسي يتساءلون عن سببه الأول: ولكن الكثيرين منهم كانوا لا يبصرون. أو تعمّدوا إغماضَ عيونهم فظلوا يتخبطون طويلا في مجاهل الغلط والشطط، ولم يدركوا ان القوة الالهية هي التي أعطت الإشارة الاولى لهذه الحركة المباركة الواسعة النطاق . . . .

---

(١) نقله عنه الاستاذ فريد وجدي في كتابه (الاسلام دين خالد) ج ١ ص - ٤٢.

(٢) (٣) ص ١٠ نقله عنها الاستاذ حسين باسلامه في كتابه (الاسلام في نظر اعلام الغرب) ص - ٤٤ - ٤٥.

ولم يشاءوا أن يصدقوا أن الحكمة الإلهية هي التي اقتضت أن يكون محمد خاتم النبيين والمرسلين، وسجلت له إلى الآن رسالة عامة إلى الناس أجمعين، بغير تمييز بين جنس وجنس، أو بين بلد وبلد».

نتائج هذه النظرة التاريخية:ـ

إن هذه الشهادات[1] التاريخية التي أخذنا منها غيضاً من فيض قد وضعت أناملنا على الحقائق التالية بعد مقارنتها بواقع البشرية اليوم:

١ ـ إن الأمة التي سعدت في ظلها الإنسانية حينما استلمت زمام القيادة الفكرية للعالم هي الأمة الإسلامية.

٢ ـ إن سر سيادة هذه الأمة، وسبب إسعادها للبشرية، يكمن في انطلاقها من عقيدتها ودينها الذي أرسل الله به نبيها محمداً للعالمين، والذي به فتحت البلاد وسادت العباد ولتحقيق تعاليمه واعلاء كلمته.

٣ ـ إن هذا الدين دستور للحياة بكل جوانبها: الفردية والإجتماعية والدولية والسياسية، والعائلية والتربوية والتشريعية، والعقلية والروحية والجسمية، والحضارية والمدنية....

٤ ـ ان تطبيق هذا التشريع (أو الدستور) الإلهيّ هو وحده الكفيل بإنعاش الأمة الإسلامية وجمع كلمتها وإعادة زمام قيادة الإنسانية إليها. وهو الأمل لنجاة الإنسانية من كل ما تتخبط فيه اليوم من أزمات وضياع ودمار.

٥ ـ وهو الكفيل بوضعها على طريق سعادتها والشعور بعزتها وكرامتها، والتحرر من كل الطواغيت والقيود التي تكبلها...

---

(١) كثرت المؤلفات التي تشهد للامة الاسلامية بالفضل على العالم: نذكر منها: كتاب (تمدن العرب) لغوستاف لوبون، وكتاب (تاريخ العرب في اسبانيا) للاستاذ (لاين بول) وكتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) لابي الحسن الندوي، وكتاب (الاسلام دين خالد) لفريد وجدي واعداد اخرى من الكتب التي لا يتسع المقام هنا لتعدادها.

٦ ـ ومما لا شك فيه أن لهذه الأمة، التي أسعدت الإنسانية في فترة من تاريخها، نظاماً تربوياً سلياً متكاملاً، متوازناً، عاماً، يصلح لكل البشر في كل زمان ومكان، وإلا لما استطاعت نقل ثقافتها وعقيدتها عبر الأجيال خلال أربعة عشر قرناً، ولما تمكنت من نشر رسالتها في عديد من الأمم في مشارق الأرض ومغاربها، حتى أصبحت تعدل مئات أضعاف أولئك القلة الأوائل الذين حملوا راية الاسلام في الجزيرة العربية اثر وفاة الرسول ﷺ.

٧ ـ إذا أردنا أن نحقق، ونحدد هذا النظام التربوي، ونوضح معالمه كاملاً قوياً، خالياً من الشوائب، موفور الحيوية، قابلاً للتطبيق كما طبق يوم فتح أصحابه الدنيا، فما علينا الا أن نستنبطه من منابعه الأولى: من القرآن والسنة وحياة الصحابة والتابعين.

منهج البحث في التربية الاسلامية

محاولات الباحثين المعاصرين في التربية الإسلامية ومنهج البحث فيها

وقبل البحث في صفات هذا النظام التربوي وأسسه وأهدافه، أجد لزاماً عليّ أن استعرض السمات العامة للمحاولات التي سُبقت اليها في هذا المضمار، وليس القصد من ذلك تقويم هذه الدراسات التي أطلّت مع مطلع القرن الرابع عشر الهجري، وكأنها بصيص نور في صحراء مظلمة، ثم أصبحت في آخره حقيقة واضحة كالشمس تغشاها غشاوات كثيرة من غيوم (جاهلية القرن العشرين) وضبابها، ومصطلحاتها، وقيمها المادية، وأساليبها، وآراء أتباعها الذين لا ينظرون إلا بمنظارها....

فتقويم هذه الدراسات الباحثة عن التربية الاسلامية وطبيعتها أمر يحتاج الى سِفْر مستقل، ودراسات لست الآن بصددها... ولكن لما كان هذا البحث بمنهجه وهدفه، يختلف عن معظم الدراسات الأخرى التي أجريت حول هذا

الموضوع، أحببت أن أقدم بين يدي القارىء والباحث ما ينير أمامه السبيل لفهمه على حقيقته، وليضعه في مكانه بين الأبحاث الأخرى، فلا يظلمه، ولا يتسرع في الحكم عليه وهاك أهم هـذه المحـاولات، والمصـادر التي اعتمـدْتُ عليها.

ـ مصادر البحوث التربوية الاسلامية ونقدها ـ

١ ـ الدراسات ذات المنهج التاريخي أو دراسة التربية الإسلامية من خلال التاريخ:

وتقوم هذه الدراسات على استعراض المظاهر التربوية أو التنقيب عنها من خلال دراسة التاريخ وحياة العلماء والخلفاء والوزراء وتربية أبنائهم ومن خلال تنظيمهم لحلقات العلم ومن خلال نشاط الوارقين والباحثين وتطور العلوم وأساليب انتقالها من جيل إلى جيل، ومن خلال تطور الكتاتيب والدراسات العلمية في المساجد.

ويلاحظ المتتبع لهذه الدراسات أنها ـ على ما لها من فوائد جة ـ لا تعطي الباحث صورة واضحة لمنهج أو لنظام تربوي متكامل. ومهما اجتهد الدارس في سبيل ذلك فلن يجد من هذا النظام إلا نتفاً موزعة في اطراف العصور والممالك أو العهود المختلفة. ولو راح يجمع بينها لما حصل إلا على كائن غريب، متناثر الأجزاء، قد لا يعبر إلا عن آراء كتاب التاريخ في تعليل الحوادث ومظاهـر الحضـارة الإسلاميـة، لأن التاريخ أقرب الى وصف الأحداث والتقلبـات السيـاسيـة والحضـاريـة وتطورها عبر الممالك والدول والأجيال...

٢ ـ دراسة التربية الاسلامية من خلال رجالات التاريخ، أو علماء الأمة، وآرائهم وأساليبهم التربوية:

وهذه الدراسة أيضاً لا يمكن أن تعبر عن منهج تربوي متجانس متكامل للأمة الإسلامية. لأنّه ما من رجل في هذه الأمة، (سوى نبيها محمد ﷺ)

يستطيع أن يمثل بآرائه وأقواله وأفعاله وسلوكه التربوي كل جوانب نظامها التربوي، بدون شطط أو نقص. ورحم الله من قال[1]« ما من أحد منا إلا وقد رد، ورد عليه الا صاحب هذا القبر » وأشار إلى قبر الرسول ﷺ.

ذلك ان الذين بحثوا في النفس وتربيتها من علماء الإسلام ـ أو مارسوا عملية التعليم ـ قد تفاوتت مشاربهم تفاوتاً كبيراً، ما بين متشبع بالفلسفة اليونانية، ومكافح لها، وغيور على عقيدة الأمة، وكل منهم يمثل في آرائه التربوية أو أسلوبه التعليمي المشرب الذي صدر عنه.

وقد اختلف هؤلاء العلماء أيضاً من حيث وجهتهم واختصاصهم، فانصرف كل منهم نحو جانب من جوانب الثقافة الاسلامية حتى استحوذ على كل اهتمامه أو جلّه، فرأينا في آثارهم وأخبارهم أنه كان منهم كبار الفقهاء، والقضاة، والوعاظ، والزهاد، والأدباء، والفلكيون والمؤرخون، وعلماء الكون، والرياضيون.... وكان كل منهم يربي طلابه، أو يتناول الحقائق النفسية والتربوية ـ إن هو تناولها ـ من وجهة اهتمامه واختصاصه. والأمة لا يجزئها نظام تربوي يخرج قضاة فقط، ولا فقهاء وحسب، ولا وعاظاً ولا أدباء...

ولو ذهبنا نجمع من أساليبهم التعليمية، وآرائهم التربوية، نظاماً مركباً، لحال اختلاف مشاربهم دون ذلك، ولحصلنا على خليط غير متجانس من الآراء والأفكار، لا يمثل منهج الإسلام التربوي المنشود، على أن هذا لا يمنع من الاستئناس ببعض الآراء التربوية للعلماء في ضوء القرآن والسنة وفي حدود الهيكل المتكامل للنظام التربوي الإسلامي المشتق منهما، بشكل موضوعي، لا يتنافى مع روح هذا النظام وهدفه وأسسه وتعتبر هذه الآراء بالنسبة للأصل كالتطبيق بالنسبة للقاعدة أو القانون أو الدستور...

---

(١) نقل هذا الأثر عن الامام مالك ونقل بمعناه أقوال لكبار الأئمة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

٣ ـ المحاولات الحديثة للبحث عن نظام التربية الإسلامية:

قامت في هذا القرن[١] محاولات عديدة للكشف عن (نظرية) أو (منهاج) أو (نظام) للتربية الإسلامية. وقد اختلفت دوافع الباحثين في هذا المجال. ١ ـ **فبعضهم** أراد أن يحاكي ما عند الغربيين، ويثبت لنفسه وأمته والعالم، أن في تراثنا الإسلامي أساليب أو أهدافا تربوية، تؤدي نفس الأغراض التي تؤديها بعض جوانب التربية الغربية، ولكن بشكل إسلامي وبأسلوب نبوي، وهؤلاء، على نبل مقصدهم، إذ كانوا يريدون أن يثبتوا سبق الإسلام إلى بعض الحقائق التربوية المسلم بها اليوم، قد عكسوا الأمر حين جعلوا الإسلام ـ من حيث لا يشعرون ـ تابعاً للحضارة الغربية ـ فكلما نادى علماء الغرب بأمر يبهر أبصارهم ويأخذ بألبابهم بحثوا عن نظيره في الإسلام...

ومتى كان الإسلام بحاجة إلى محاكاة الثقافة الغربية أو موافقتها ليدلل أبناؤه على عظمته وصلاحه؟!...

ثم ان استخراج مواقف تربوية فرعية من التربية الإسلامية، ودمجها أو تركيبها في نظام تربوي غربي في هيكله، لا يعطينا منهجا تربويا اسلامياً، بروحه وأهدافه ومنطقه ومنطلقه.

لكن لو مررنا ـ ونحن نصنف النظام التربوي الإسلامي ونستنبطه من القرآن والسنة ـ بمواقف تربوية إسلامية أصيلة يوجد ما يشبهها في التربية الغربية، لكان من المفيد أن نقارن ونشير إلى أصالة التربية الإسلامية وسبقها، وبهذا نكون قد نظمنا بحثنا على أساس أن الإسلام هو الأصل. ٢ ـ **والبعض الآخر** يرى في مواقف جزئية من الإسلام والتربية الإسلامية أدوية سحرية لمواقف جزئية من حياة الأمة وظروفها الطارئة...

---

(١) الرابع عشر الهجري.

فكلما حلت بالأمـة أزمة، تناول جزئية من جزئيات الإسلام ونادى للأخذ بها ظاناً أن الأمة ستبرأ من كل أدوائها بعد فترة من الزمن وما مثل هذا البعض إلا كمثل طبيب، يعالج مريضاً قد بنيت حيـاتـه على المسكرات والخبـائـث والمخدرات، وبني سلوكه على الفحشاء والفسوق والالتواء.... وكلما أصاب المرض الناتج عن سلوكه السيء وغذائه الرديء، جهازاً من أجهزة جسمه، قدّم له الطبيب دواء مسكناً، أو مرمماً جزئياً، ثم تعود السموم التي يرتشفها والمعاصي التي يرتكبها الى إنهاك جهاز آخر من جسمه، حتى يهاجمه المرض من كل جانب، وهو في كل ذلك يصفق فرحاً بالشفاء الموعود... ولو رسم الطبيب لهذا المريض نظاماً غذائياً وسلوكياً قويماً لحياته كلها إلى جانب الأدويةالمفيدة، لكان فيه استئناف حياة قوية نشيطة خالية من أسباب المرض ودواعيه..... كذلك الأمة الإسلامية اليوم، تعيش حياة غربيّة مادية، غريبة عن طبيعتها، في إقتصادها وتربيتها واعلامها وتصميم مدنها وبناء علاقاتها وفي كل مجال من المجالات...

وسموم الفكر الغربي المبني على الإلحاد، والخلق الغربي المبني على الإباحية والاستهتار، كل ذلك يفتك بجسم الشعوب الإسلامية من كل جانب....فلا خلاص لها إلا بإعادة النظر في نظم الحياة من أساسها، والأخذ بالنظام التربوي الإسلامي كاملا: بأسسه وأهدافه وأساليبه وخصائصه ومبادئه، لتخريج جيل مسلم حقاً يفهم الحياة فهماً إسلامياً، ويمارسها على أساس من الإيمان وتحقيق مستلزمات هذا الإيمان بالله واليوم الآخر ممارسة سليمة قويمة هادفة، فينشر نور هذا الإيمان وينهض بأمته ثم بالعالم أجمع.

٤ ـ محاولة تحقيق التربية الإسلامية في مناهج التعليم المعاصرة:

فوجئت الأمة الاسلامية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري بغزو فكري أحدث انقلاباً جذرياً في تربية أجيالها.

فقد أقبل الناس على المدارس التبشيرية التي سبقت الاستعمار، ثم نظم

المستعمرون التعليم في البلاد التي وطئوها، ثم سارت المدارس الوطنية بعد ذهاب الاستعمار العسكري وبقاء الاستعمار الثقافيّ، على نفس المناهج والخطط التعليمية التي سنها المستعمرون مع تعديل طفيف في بعض الظواهر والتفاصيل، ثم دخل هذا النمط من التعليم إلى البلاد التي لم تطأها جيوش المستعمرين، مستوردا من البلاد العربية أو الإسلامية المجاورة.

وقد جاءتنا هذه المدارس الحديثة والنظم التعليمية المستوردة، بمناهج وعلوم غير تلك التي كانت تدرس في المساجد والمدارس الإسلامية القديمة... وأصبح الصراع مستمراً بين الفكر الإسلامي والروح الإسلامية من جهة، وبين العقلية الجديدة والنفسية الجديدة التي نتجت عن دراسة هذه المناهج والعلوم الجديدة في الكتب المدرسية المحدثة، وتنشئة الجيل الجديد عليها، من جهة أخرى « فكان غاية ذلك، بعد مدة قليلة، فوضى فكرية هائلة، واضطراب وتناقض في الأفكار والآراء، وشك وارتياب في الدين، واستخفاف بفرائضه وواجباته، وثورة على الآداب والأخلاق، وتقليد للأجانب في القشور والظواهر، وأصبح هذا الجيل كَلاًّ على الآباء وعلى الأمة، وجرثومة الفساد في جسمها، ونقطة الضعف في مركزها[1] »

وسبب ذلك « ان للعلوم والكتب روحاً وضميراً كالكائنات الحية. فالعلوم التي أنشأها الاسلام وصاغها في قالبه، قد سرت فيها روح الايمان بالله، والتقوى والخشية لله، والفضيلة والايمان بالآخرة... أما العلوم التي دونتها أوروبا الملحدة، والكتب التي ألّفها أدباؤها، وفلاسفتها، فقد سرى فيها الالحاد، والجمود والايمان بالماديات والمحسوسات فقط[2] ».

لذلك أجمع العاملون المخلصون في مجال الدعوة الإسلامية، وحملة لواء النهضة الإسلامية المبنية على العقيدة الإسلامية الصحيحة، على « أن البلاد

---

(١) و(٢) الامام أبو الحسن الندوي: التربية الإسلامية الحرة ص ١١ - ١٦.

الإسلامية في حاجة ملحة إلى نظام تعليمي إسلامي في الروح والوضع، والسبك والترتيب لا يخلو كتاب من كتبه، من أبسط كتاب يعلم مبادىء اللغة المحلية، إلى آخر كتاب يدرس في العلوم الطبيعية أو الآداب الانجليزية، لا يخلو من روح الدين والإيمان[1] ».

وهكذا انحصر همّهم، لأجل حلّ المشكلة التربوية التي يعاني منها العالم عموماً والعالم الإسلامي خصوصاً، - في استعراض المناهج والكتب بروح إسلامية، ومن منطلق إسلامي.

على أن هذه المحاولات، رغم عظم شأنها، وخطرها، وانها أصبحت الشغل الشاغل لرجالات الدعوة الإسلامية. ورغم ما بذل فيها من جهود عظيمة، وما كتب حولها من الرسائل والابحاث الكثيرة، لم تعط من النتائج ما يتناسب مع الجهود التي بذلت في سبيلها.

ويبدو لي أن ذلك يرجع إلى أسباب كثيرة متعددة الجوانب والإعتبارات لكن الذي يهمني منها في هذا البحث هو ما يتعلق بالناحية الفكرية المنهجية.

لماذا لم تثمر هذه المحاولات ثمرات كافية

ولعل عرض المشكلة التربوية للعالم الاسلامي ومعالجتها بهذا الشكل من أهم أسباب ضآلة فرص النجاح وضعف النتائج. فعلاج ظاهر المشكلة ونتائجها دون ايضاح أسبابها وأسسها ودون اقناع العاملين في حقول التربية والتعليم بهذه الأسباب ليتعاونوا ويعرفوا حقيقة الأزمة التربوية، أمر لا يؤدي إلى النجاح المطلوب، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك.

ولعل الحلقة المفقودة[2] في هذه المحاولات هي أن نسأل أنفسنا « لماذا نربي أبناءنا وأجيال الأمة، ولأي شيء نعدّهم؟ وما هي الأسس التي يجب أن تبني

---

(١) المرجع السابق ص١١ - ١٦.

(٢) لا شك أن هذه الحلقة واضحة في اذهان بعض الباحثين كأبي الحسن الندوي وأبي الاعلى المودودي ولكن ربما شغلتهم القضية التعليمية عن بسطها وتنظيمها في بحث تربوي واضح يضع الامة الاسلامية أمام نظام تربوي متكامل.

عليها تربيتهم؟» فإذا اجبنا على هذين السؤالين بدقة وصراحة ووضوح ـ أي إذا وضعنا الخطوط الكبرى لأسس تربيتهم وأهدافها ـ استطعنا أن نعرف على ضوء ذلك كل ما يحقق لنا النجاح في عملنا، وكل ما نحتاج اليه من علوم ومناهج وأساليب تربوية لتحقيق أهدافنا التربوية والانطلاق من أسس تربيتنا الإسلامية وعقيدتنا وشريعتنا.

وهذا معناه أن علينا أن نعمل أولاً على استنباط نظام تربوي كامل بأسسه وأهدافه ووسائله وأساليبه، له خصائص تميزه عن أي تربية أخرى، وله مبادىء واضحة يستطيع المربي أن ينطلق منها أو يعمل على تحقيقها، سواء كان أبا أو أستاذاً أو موجهاً تربوياً أو مؤلفاً أو واضعاً للمناهج...

وان علينا أن نطرح هذا الموضوع على بساط البحث والتنقيب مدة كافية في جامعات الأمة الإسلامية وعلى مستوى كليات التربية وعلماء الأمة ودعاتها والعاملين بإخلاص ووعي في حقولها التربوية...

وأرجو أن يكون بحثي هذا[1] نموذجاً مصغراً لما أقترحه، أو (ورقة عمل) أضعها بين أيدي الباحثين لعلهم يجدون فيها خطة تصلح أساساً للبحث والتنفيذ. بقي عليّ قبل أن أختم هذه المقدمة أن أؤكد على أمر سبق أن أشرت إليه وهو: «من أين نستقي هذا النظام التربوي»؟.

٥ ـ القرآن والسنة هما المصدر الطبيعي لدراسة التربية الاسلامية:

لقد سبق أن برهنت في الصفحات الماضية على أن تجميع المظاهر التربوية والتعليمية من تاريخ الأمة الاسلامية في كتبه المدونة بشكلها الحالي، لا يعطينا النظام التربوي الاسلامي المنشود. وأن رجالات العلم أو السياسة في هذا التاريخ لم يعملوا على صياغة هذا النظام من كل جوانبه، ولا يمكن أن نستنبطه من مجموع أقوالهم وأساليبهم التعليمية لاختلاف مشاربهم واختصاصاتهم العلمية،

---

(١) مع ما سبقه من عرض (لاصول التربية الاسلامية ووسائلها وأساليبها) في مرجع آخر

وأن البحث عن محاكاة التربية المعاصرة أو معارضتها لا يعطينا منهجاً تربوياً إسلامياً وكذلك تعديل وإصلاح المناهج المدرسية القائمة لا يجدي تماماً إلا إذا اعتمد على نظام تربوي اسلامي أصيل متكامل.

فلم يبق أمامنا إلا أن نبحث كيف ربى المسلمون الأوائل الذين فتحوا نصف المعمورة في زمانهم، وبلغوا رسالة ربهم، ووضعوا للإنسانية أسس حضارتها وعلومها ومخترعاتها التي تنعم بها اليوم.

لقد ربّاهم محمد رسول الله ﷺ، وكان خلقه ومرجعه القرآن، وما آتاه الله من حكمة وتشريع وتوضيح وبيان.

ولقد بسطت جميع أسس هذه التربية وأهدافها وأساليبها ووقائعها، ودونت متناثرة في آيات القرآن العظيم وكتب السنة، وأصبح من الميسور استنباطها من هذين المرجعين الأساسيين، ثم تجميعها والتأليف بينها على نسق مستوحىً من طبيعة الإسلام ومن الأسلوب التربوي لرسولنا محمد خير الأنام، (ﷺ) وهذا هو الأسلوب الموضوعي العلمي لدراسة التربية الاسلامية.

أ ـ القرآن أعظم مصدر تربوي:

إن من أعظم أهداف القرآن الكريم أن يربي الناس على العبودية لله عز وجل فقد نصّ فيه على أن من أهدافه تربية العقل على التفكّر والتذكّر والتدبّر ﴿كتابٌ أنزلناهُ اليكَ مباركٌ ليدّبّروا آياتِه وليذّكر أولوا الألباب﴾[1]. ﴿سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفُسِهِم حتّى يَتَبَيَّنَ لهُم أنّهُ الحَقّ﴾[2].

وتربية السلوك على الاعتدال والاستقامة والاهتداء بشريعة الله. ﴿... فإمّا يأتينّكُمْ منّي هُدىً فَمن تَبِعَ هُدايَ فَلا خوفٌ عليهِمْ ولا هُم يحزنون﴾[3]. ﴿قَد جاءَكُم منَ اللهِ نورٌ وكتابٌ مبينٌ. يَهدِي بِهِ اللهُ مَن اتّبَعَ رضوانَهُ سُبُلَ السّلامِ﴾[4]. ﴿فَاستَقِمْ كَما أُمِرتَ ومَنْ تابَ معَكَ ولا تَطْغَوا

---

(١) ص ٢٩.
(٢) فصلت ٥٣.
(٣) البقرة ٣٨.
(٤) المائدة ١٥، ١٦.

إنّه بمَا تعلَمونَ بَصير﴾[1] .

وتربية القلب والمشاعر والانفعالات والميول والعواطف والسمو بها ﴿أَلَم يَأْن لِلَذينَ آمنُوا أن تَخشَعَ قُلوبُهم لِذكر اللهِ ومَا نَزَلَ مِن الحق﴾[2] . ﴿وَلِمن خَافَ مَقَامَ ربِّه جَنّتان﴾[3] . ﴿اللهُ نَزّلَ أَحسنَ الحَديث، كِتاباً مُتَشابهاً مَثَانِيَ تَقشَعِرّ منه جُلودُ الذينَ يَخشونَ ربَّهُم، ثُمّ تلينُ جُلودُهُم وقُلوبُهُم إلى ذِكرِ اللهِ﴾[4] .

وفي القرآن أَعظَمُ مَبدأٍ تربويٍّ يدعو إلى تزكية النفس الإنسانية وتربيتها على الخير، لأنها قابلة للخير والشر بحسب ما تربى عليه: ﴿وَنفسٍ ومَا سَوّاهَا(*) فَأَلهَمَها فُجُورَهَا وتَقْواهَا(*) قَدْ أَفلَحَ مَنْ زكّاهَا(*) وقَد خَابَ مَن دَسّاها﴾[5] .

وفي القرآن أساليب تربوية تناسب فطرة كل إنسان منها التربية بالحوار والتربية بالقصة، والتربية بالترغيب والترهيب، والتربية بالامثال، وغيرها . وقد بسطناها في غير هذا الكتاب[6] .

وقد ربى القرآن النفس الإنسانية على أسس فطرت عليها كالكرامة، والتربية الذاتية، والعبودية لله، ومعرفة أصل الإنسان ومصيره ومهمته أو هدفه في هذه الحياة، وعلاقته بالكون وغير ذلك من الأسس التي بسطناها في موضعها[7] .

وفي القرآن إشارة إلى بعض الدوافع الغريزية وتربيتها في النفس الإنسانية كقوله تعالى ﴿إنّ الانسانَ خُلِقَ هَلوعاً . إذَا مسّهُ الشّرُ جَزُوعاً . واذَا مَسّه الخَيرُ منوعاً الا المصلّين﴾[8] فالجزع من الشر دليل على تمسك الانسان بالحياة وهي

---

(١) هود ١١٣ (٢) الحديد ١٦ .
(٣) الرحمن ٤٦ (٤) الزمر ٢٣
(٥) الشمس ٧، ٨، ٩، ١٠ .
(٦) ، (٧) أنظر كتاب أصول التربية الإسلامية وأساليبها وانظر خصائص التربية الإسلامية، ومبادىء التربية الإسلامية وفيما يأتي من فصول .
(٨) المعارج ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢ .

ما يسمونه غريزة البقاء. والمنع عند الثراء دليل على غريزة حب التملك، واستثناء المصلين دليل على أن الصلاة تهذب هذه الدوافع الغريزية وتوجهها الى الخير، وترفع الإنسان عن أن يستعبده الهلع والجزع وهكذا تتّضح لنا عظمة القرآن التربوية كلما توغلنا في بحث التربية الإسلامية وخصائصها ومبادئها.

ب ـ السنة النبوية هي المصدر الثاني للتربية الاسلامية:

أنزل الله القرآن على محمد رسوله ليهدي الناس والهداية من أعظم أنواع التربية ﴿وكَذلكَ أوحَينَا إليكَ رُوحاً مِن أمرِنَا. ما كُنتَ تَدري مَا الكِتابُ ولاَ الإيمَانُ، ولٰكِنْ جَعَلْناهُ نوراً نَهدِي بِهِ مَن نَشاءُ مِن عبادِنا، وَإنّكَ لَتَهدي إلىٰ صِراطٍ مُستَقيمٍ﴾[1]. وانزله عليه ليبلغ الناس والتبليغ من أوضح أشكال التربية والتعليم: ﴿يأيّها الرسولُ بَلّغ مَا أُنزِلَ إليكَ، وَإن لَم تفعَلْ فَمَا بَلّغتَ رسالته﴾[2]. فكان رسول الله ﷺ مربيّاً عظيماً، ذا أسلوب تربوي فذ، يراعي حاجات الطفولة وطبيعتها[3]، ويأمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم أي يراعي الفروق الفردية بينهم، كما يراعي طبائعهم ومواهبهم واستعداداتهم. ويلتمس دوافعهم الغريزية ليشبعها وليصعّدها فيجود بالمال لمن يحب المال حتى يتألّف قلبه، ويُقرّب اليه من يحب المكانة والجاه، وهو في ذلك كله يدعوهم إلى الله وتطبيق شريعته لتكميل فطرتهم، وتهذيب نفوسهم، وتوحيد نوازعهم وقلوبهم وتوجيه طاقاتهم وحسن استغلالها للخير والسمو.

وقد أدرك بعض العلماء هذه الأهداف التربوية النبوية فصنفوا أحاديثه ﷺ تصنيفاً تربوياً مثل ما فعل (عبد العظيم المنذري) في كتابه (الترغيب والترهيب من الحديث) وهو مبني على ما في الأسلوب النبوي من استثارة دوافع حب الخير وروادع الخوف من الشر، وكذلك شيخ الإسلام ابن قيم في كتابه (تحفة المودود في احكام المولود) حيث جمع الأحاديث الخاصة بتربية

---

(١) الشورى ٥٢. (٢) المائدة ٦٧.

(٣) سنرى مصداق ذلك عند بحث (مشكلة الطفولة).

المولود . وكذلك يوسف ابن عبد البر القرطبي في كتابه (جامع بيان العلم وفضله) حيث جمع الأحاديث النبوية التي تحض على العلم والتعلم وتحل مشكلات التعلم كما سنرى في فصول الكتاب، حيث تتضح لنا فعلاً أهمية السنة باعتبارها مرجعاً تربوياً غنياً أصيلاً، واضح الأسلوب بين الأهداف. . .

الفصل الأول

عرض موجز لأهم أسس التربية الإسلامية

١ ـ الأساس الاعتقادي

٢ ـ الأساس التعبدي

٣ ـ الأساس التشريعي

---

(١) كنا بسطنا هذا البحث مع أدلته في كتاب أسس التربية الإسلامية وأساليبها واضطررنا، هنا الى ايجازه لأن معظم بحوث هذا الكتاب تعتمد عليه.

تمهيد

قضى رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً في مكة، جاهداً في غرس العقيدة الإسلامية أو بعثها وتربيتها في نفوس الصحابة الأوائل، لتكون أساساً متيناً لتربية ربانية، عميقة الأثر، بعيدة المرمى واسعة الشمول، ومنبعاً ثَرّاً للبطولات والعبقريات التي كانت فيما بعد نتائج عفوية لهذه التربية العظيمة...

ولئن كانت التربية الغربية المعاصرة هي تحقيق النمو والحياة ونقل الحضارة والثقافة من جيل إلى جيل رغبة في المزيد من رفاهية الحياة، واستمتاعا بها، وتعلقا بلذاتها، واشباعاً لغرائز الإنسان من غير توجيه نحو هدف أسمى، كما وصلت إلى أكثر مدارسنا وطبقت في معظم مناهجنا، بشكلها العلماني....

ولئن كان ذلك قد دعا فلاسفة التربية الغربية الى بنائها على أساس نفسي يقوم على دراسة النفس كما هي بغرائزها وتفكيرها ووظائفها وسلوكها وعلى أساس اجتماعي يدرس واقع المجتمع البشري ومتطلباته من وجهة نظرهم المادية، وعلى أساس عقلي فلسفي يعلل الكون والحياة تعليلاً مادياً مبنياً على جمود العقل والوقوف عند معطيات الحواس وانكار كل ما وراء هذه الحياة الدنيا من أسباب أو غايات ربانية أو دينية....

فإن التربية الإسلامية قد قامت على تزكية النفس الإنسانية، عن طريق توجيه عقل الإنسان ومشاعره، ليستدل بتأمل هذا الكون، وتأمل نفسه، على

وجود الخالق وحكمته وعنايته وعظمته، وتدبيره، ورحمته بالإنسان، وقدرته، ثم ليمارس حياته على أساس محبة الخالق والخضوع له، أي ليجدد نفسه وطاقاته بمناجاة ربه وطاعته، وباستخدام ما سخر الله له في هذا الكون من قوى وكائنات، وهو يستهدف من ذلك كله تحقيق مرضاة الله، وتحمّل الأمانة التي حمله اياها، اي تحقيق الخلافة على الأرض والسيادة على ما سخر الله له، بقصد شكر الله وتحقيق شريعته وعبادته، والدعوة الى تحقيق هذه المعاني في سائر المجتمعات البشرية.

وعلى هذا فليس من المعقول أن تكون أسس التربية الإسلامية القائمة على تزكية النفس والسمو بها إلى خالقها مثل أسس التربية الغربية المعاصرة القائمة على الانحدار بالنفس إلى غريزتها وماديّتها، ولا شبيهة بها ولا مشتركة معها في العناوين اشتراكاً كلياً.

وإذا كنا قد ثبت لنا بالبرهان أن المصدر الأساسي للتربية الإسلامية هو القرآن والسنة، فإننا نجد لزاماً علينا أن نبحث عن الأسس التربوية الإسلامية في هذين المصدرين وأن نجيب على هذا السؤال (على أي أساس ربى القرآن نفس الرسول ﷺ؟ وعلى أي أساس ربى الرسول ﷺ نفوس أصحابه وطهّرها وزكاها)؟.

وإذا تصفحنا القرآن: مكيه ومدنيه، وتأملنا حياة الرسول ﷺ وجهاده وجهاد أصحابه وتابعنا تأملنا للنفس المسلمة وما ترتكز عليه من تصورات وأفكار وما يبنى عليه سلوكها وحياتها الفردية وتنظيمها الاجتماعي وعلاقاتها - لوجدناها ترتكز على الأسس التالية:

أولاً - الأساس الاعتقادي:

وهو بناء التربية على الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين.... وما يتبع ذلك من بدء الخليقة ومن نظرة الاسلام الى الإنسان والحياة والكون، وترابط ذلك كله في سلسلة أو منظومة متكاملة محكمة السبك متصلة الحلقات، تحكي لنا قصة الكون والوجود وتصف لنا مكانة الانسان

ومهمته في هذا الوجود وبدءه ومصيره، وصلته بذلك كله، وتبعيته المطلقة لخالق هذا الكون، وواجبه نحوه...

أ ـ لمحة سريعة عن الانسان والكون والحياة في نظر الاسلام:

وخلاصة ذلك:

١ ـ أن الله ﴿بدأ خَلْقَ الانسان من طين. ثُمّ جعَلَ نسله من سُلالة من ماءٍ مَهين، ثُم سوّاهُ ونَفَخَ فيه منْ رُوحه﴾ وأمَرَ الملائكَةَ أن تَسجُدَ لهذا الانسان الأول الذي أرادَ أن يجعلَهُ ونسلَهُ في الأرض خليفةً.

٢ ـ وميز الله هذا الانسان ونسله بالعلم والقدرة على التعلم، ﴿وعلّمَ آدمَ الاسماءَ كلّها، ثمّ عرَضَهُم علَى الملائكة، فقالَ أنبئُوني بأسماء هؤلاء إن كنتُم صادقينَ! قالوا: سُبحانَكَ لا علمَ لنا إلاّ ما علّمتَنَا﴾.

٣ ـ وكرم الله هذا المخلوق الجديد وفضله على كثير ممّن خلق من الكائنات تفضيلا، فجعل كل ما في الكون مسخرا للانسان وصالحا لحياته.

٤ ـ وجعل الانسان قادرا على التمييز بين الخير والشر، قادرا على اختيار احد طريقي الخير أو الشر في حياته.

٥ ـ وجعل الحياة في هذا الكون اختبارا للانسان، بما فيها من مغريات وشهوات، وبما فيها من دلائل على قدرة الله وعظمته وألوهيته وربانيته أي سيطرته وتدبيره لشئون الانسان وقيام السموات والأرض باذنه وبقدرته، ورحمته، وانه واهب الحياة لجميع الاحياء، وانه هو المالك لكل قوة من قوى النفع، واليه مرجع كل مخلوق، وهو المشرّع الذي انزل شريعته على انبيائه ليعلم من يتبع شريعته.

٦ ـ وجعل الانسان مجزيا باعماله فإذا انتهى أجل هذا الكون الذي رتبه الله وانتهت الحياة الدنيا حشرت جميع المخلوقات الى ربها

للوقوف بين يديه للحساب والجزاء ﴿فأمّا من طَغَى﴾[1] أي تجاوز الحدود التي رسمها الله للانسان في شريعته، وكفر بربه، ولم يستجب لنداء عقله وضميره الذي يعرف عظمة الله بتأمل آثاره ومخلوقاته ﴿وآثر الحياة الدنيا﴾[2] ففضّل شهواته المادية واصبح مصدر فساد ﴿فان الجحيم هي المأوى﴾[3].

﴿وأمّا مَن خافَ مَقامَ ربّهِ ونَهَى النَّفْسَ عَنِ الهوى﴾[4] وحقق شريعة الله وبنى حياته على عبوديته لله، وتحقيق أوامره وترك ما حذر الله منه ﴿فَإنّ الجَنّةَ هيَ المأْوَى﴾[5].

ب ـ أركان الايمان:

بعد هذه السلسلة الفكرية المترابطة حول الكون والإنسان والحياة والبدء والمصير نجد أن الأساس الاعتقادي للتربية الإسلامية يقوم على أركان أهمها:

١ ـ **الايمان بالله**: أي التصديق والشعور والتفكير بعظمة خالق السموات والأرض عن طريق تأمل آثار رحمته وقدرته في السماء والأرض والجبال والأنهار والبحار والشمس والقمر والدواب وفي أنفسنا، وفي جميع الكائنات...[6] «فليست جميع موجودات هذا العالم الا مسخّرة محتاجة لغيرها، باقية حينا وفانية حينا آخر، غير قادرة على دفع الضرر عن نفسها، فضلا عن أن تجلب الضرر أو النفع الى غيرها، وليس المصدر لأفعالها وتأثيراتها موجودا في ذاتها وإنما هي تستمد قوتها للبقاء والفعل والتأثير من غيرها» ولكن إحكام هذا الكون ودقة ابداع الكائنات يدل على أنها «لا بد لها من خالق اله[7] حيّ قيوم على شؤونها، مدبر لها،

---

(١) (٢) (٣) النازعات ٣٧، ٣٨، ٣٩

(٤) (٥) النازعات ٤٠، ٤١

(٦) (٧) الحضارة الاسلامية: أبو الاعلى المودودي ص ١٣٧ ـ ١٣٩ ـ دار العربية ـ بيروت.

وهذا الخالق لا بد أن يكون صَمداً أحدا لم يلد ولم يولد، أزليا ليس قبله شيء، أبدياً ليس بعده شيء. ويكون علمه محيطا بكل شيء، ورحمته وسعت كل شيء وقوته غالبة على كل شيء، ويكون منزها عن أي نقص في حكمته أو عيب في عدالته ويكون قادراً، ويكون مشرّعاً حاكماً على الإطلاق، واهباً للحياة، ومهيئاً لأسبابها ووسائلها، ويكون مالكاً لكل قوة من قوى النفع أو الضرر، وهو الرازق، وكل من سواه محتاج لعطائه فقير إلى حفظه ورعايته. وهذا الخالق إليه مرجع كل مخلوق، فهو المحاسب والمجازي لكل من سواه» وهو الذي خلق الموت والحياة....

وبعد هذه البراهين القاطعة على وجود الله وعظمته وألوهيته، يطالب القرآن الانسان أن يوجه سلوكه وحياته وفق ما توصل اليه بالدليل والبرهان فلا يتناقض، ولا يعبد إلا هذا الرب الرازق الحاكم المهيمن العزيز القادر على كل شيء «ولا يسجد الا لله ولا يعظم الا اياه، ولا يتوكل إلا عليه، ويعلم علم اليقين أنه راجع اليه، ومحاسب بين يديه لا محالة، وأنه لا يتوقف حسن العاقبة أو سوؤها إلا على قضاء الله»[1] وأن عليه ألا يحكم شريعة في حياته وعلاقاته إلا شريعة الله، لأنه هو الحاكم المطلق.

وهكذا نجد أن أول أساس تبنى عليه التربية الإسلامية، هو الإيمان، بناء على البرهان والاستدلال والتفكر، بأن الله هو الخالق المسير المدبر لهذا الكون وللانسان ايماناً تلقائياً يدفع الانسان الى طاعة هذا الرب والخضوع له، دون سواه، والشعور بالتبعية والعبودية له، والخوف من غضبه وعذابه، والرغبة في مرضاته وثوابه، والى توجيه الحياة لتحقيق هذا كله[2] في كل جوانبها وعلاقاتها ﴿قُل إنَّ صلاتِي ونُسُكِي

---

(١) الحضارة الاسلامية: أبو الاعلى المودودي ص ١٣٧ - ١٣٩ - ط دار العربية - بيروت

(٢) للايمان بالله آثار تربوية عظيمة وعديدة يمكن الرجوع اليها في كتاب أصول التربية الاسلامية =

ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين لا شريكَ لَهُ، وبذلكَ أمرتُ وأنا أولُ المسلمين﴾ (الانعام ١٦٢ - ١٦٣).

ب - الإيمان بكتب الله:

وهذا الركن يقضي تربية عقل الانسان ومشاعره وقلبه وجوارحه، على التصديق بأن الله انما جعل الإنسان عاقلاً مميزاً بين الخير والشر، قادراً على اختيار الخير أو الشر، وجعل له كل أدوات القدرة على التعلم والتفكير والتمييز والمحاكمة العقلية: من سمع وبصر وقلب يعقل به كل ذلك ليدرس شريعة الله، وكلامه ويخشع قلبه بذكر الله وتلاوة آياته، التي تنضح بالرحمة والجمال والدقة والأحكام، وتملأ النفس نوراً وعلماً وحياة وعزماً على تحقيق الفضائل والمكرمات. وليوجه سلوكه للعمل بمقتضى هذه الآيات البينات، وإن الله أنـزل كتبه على رسله ليعمل أقوامهم بها، وأنزل علينا القرآن لنتبعه فهو إيمان فعال، يثمر ثمرات سلوكية وحضارية وإجتماعية تصلح حياة البشرية، وتنمي عقل الإنسان، بما يتطلبه هذا الإيمان من تفكير وتعليم وتقنين للحياة وبحث ودراسة وتأليف. ولقد انبثقت عن هذا الإيمان حضارة الأمة الإسلامية وعلومها، وبه حققت فتوحاتها ومفاخرها التاريخية، كل ذلك إيماناً بعظمة القرآن وخدمة له وتحقيقاً لمعانيه وأوامره، لأنه كلام الرب جل جلاله ﴿تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ﴾ (فصلت ٤٢).

نتائج تربويّة:

هذا الايمان يربي عقل الإنسان عن طريق تدبر كلام الله والتفكر الدائم بمعانيه وتذكر ما فيه من وعد ووعيد وأمر ونهي وعبرة. ﴿كتابٌ أنزلناهُ إليكَ مباركٌ ليدبّروا آياتِهِ، وليتذكّر أولو الألباب﴾ (سورة ص - ٣٩).

= وأساليبها للمؤلف ولا يتسع هذا الموجز لسردها.

ويربي عواطف الإنسان ومشاعره ليبقى خاشعاً لله فرحاً بمناجاته، محباً لآياته ﴿الله نزّلَ أحسنَ الحديثِ كتاباً متشابهاً مثانيَ تَقْشعرُّ منهُ جلودُ الذينَ يخشونَ ربهم، ثم تلينُ جلودُهُم وقلوبُهم إلى ذكر الله ذلكَ هدَى الله يهدي به من يشاء﴾. الزمر: ٢٣ .

ج - الإيمان بالرسل والملائكة:

وهذا الأساس التربوي الإيماني يعني أن اتباع أوامر الله لا يتم إلا باتباع الرسول الذي أنزل الله عليه كتابه، بواسطة أعظم الملائكة مكانة عند الله - والملائكة جنود وعباد مكرمون عند الله ﴿لا يَعصونَ اللهَ ما أمرهُم، ويفعلونَ ما يؤمرون﴾[1] - فطاعة الرسول ﷺ هي طاعة لله، وهو قدوتنا، أنزل الله عليه الكتاب ليعلمنا كيف نحقق شريعته بأسلوب بشريّ حيوي واقعي ميسّر التطبيق.

وبهذا جمعت التربية الإسلامية بين الصفة المثالية الربانية والصفة الواقعية التطبيقية المنتجة المثمرة، كما يتّضح لمن يبحث خصائص التربية الإسلامية. ويعني هذا الركن من أركان الإيمان أن الله خص نبيه محمداً بالرسالة وأيده ليبلغ القرآن، مع ما آتاه الله من الحكمة والسنة والتشريع ﴿يا أيها الرسولُ بلغ ما أنزل اليك من ربك. وانْ لَم تفعَل فَما بلّغتَ رسالتَه واللهُ يعصِمُكَ مِنَ النّاسِ إنّ الله لا يهدي القومَ الكافرينَ﴾ المائدة: ٦٧ .

﴿كما أرسلنا فيكُم رسولا منكُم، يتلوُ عَليكُم آياتِنَا ويزكّيكُم، ويُعلّمكُم الكتابَ والحكمةَ ويُعلّمُكم ما لَم تَكونُوا تعلَمونَ﴾ البقرة - ١٥١ .

وأن الرسول ﷺ قد بلغ رسالة ربه بصدق وإخلاص، وانه حريص على هداية البشر يعز عليه أن يتعنت الملحدون فيلقون بأنفسهم إلى الهلاك. ﴿لَقَد جَاءَكُم رسولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ عزيزٌ عَلَيْهِ ما عَنتُّم، حَريصٌ عليكُم، بالمُؤْمنينَ رؤوفٌ رَحيمٌ﴾ التوبة - ١٢٨ .

---

(١) التحريم ٦

نتائج تربوية:

وهذا الايمان يقتضي تربية جميع أفراد الأمة على أنهم اتباع مخلصون لهذا الرسول الذي أرسله الله رحمة للعالمين، تجتمع القلوب على ذلك، ويفديه الجميع بكل ما أوتوا. فهي تربية مبنية على النظام والطاعة وجمع الكلمة حول قائد واحد، وحسن الاتباع والانقياد على بصيرة ووعي وعلم وفهم، وعلى الانتماء والولاء للرسول والاعتزاز باتّباعه والسير تحت لوائه ولواء القرآن الكريم، وهذا من معاني الولاء للأمة الاسلامية.

وهذا يعني التميّز عن الشعوب الأخرى التي لا تؤمن بالله ورسوله ولا تدين دين الحق، ونبذ كل ما هي عليه من مظاهر الالحاد والطغيان وأساليب الحياة الجاهلية... ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي، وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ «يوسف ١٠٨».

د ـ الإيمان باليوم الآخر:

يبين لنا القرآن في مناسبات عديدة ومواطن كثيرة من سوره وآياته أن هذه الحياة الدنيا التي نعيشها إنما جعلها الله دار عمل واختبار وكد وكدح، وجعلها متاعاً مؤقتاً وممراً للوصول إلى دار الآخرة حيث الحساب والجزاء بين يدي المالك الديان. فالآخرة هي دار القرار، والدنيا دار فناء. والآخرة هي الحيوان، هي الحياة الحقة، وعندها ينتهي أجل الحياة الدنيا..

ويومئذ لا يخفى شيء من نوايا البشر وأعمالهم، حيث تشهد عليهم ايديهم وأرجلهم ويومئذ ﴿لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَوْلًى شَيْئًا﴾[1] ولا تنفع الشفاعة إلا لمن اذن الله له، ولا يقبل من أحد عدل، ﴿وَلَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[2].

وتزلزل الأرض وتدك الجبال، وتطوى السماء كطي السجل للكتب، ويحشر الناس، في هول وهلع، وحَرّ وجزع ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ

---

(١) الدخان ٤١ (٢) الشعراء ٨٨، ٨٩

عما أرضعت وتَضَع كُل ذاتِ حَملٍ حملَها، وتَرى الناسَ سُكارى وما هُم بسُكارى ولكنَّ عذابَ اللهِ شَديدٌ﴾[1].

في هذا الهول العظيم والعذاب الأليم ﴿يقومُ الناسُ لربِّ العالَمينَ﴾[2] فيحاسبهم ويجازيهم ولا ملك يومئذ غيره ﴿لِمنِ الملكُ اليومَ؟ للهِ الْواحدِ القهارِ﴾[3] وفي هذا اليوم يتجلّى العدل الالهي حين يضع الله الموازين القسط، فإذا انقضى الحساب تجلت رحمة الله بعباده المؤمنين العاملين بشرعته المخلصين أعمالهم لجلاله. فيدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها. ويتجلى غضبه وعذابه على الكفار الجاحدين والضالّين والمضلّين، الذين يُدَعون إلى جهنم دعّاً خالدين فيها، ﴿لا يُقضى عَليهِم فيموتُوا، ولا يُخفَّفُ عَنهُم مِن عَذابِها﴾[4].

نتائج تربوية:

١ ـ على هذا الأساس من الايمان بالله واليوم الآخر تبنى تربية الإنسان، تربية اسلامية، فينشأ على الشعور الحقيقي بالمسؤولية، والاخلاص والاستقامة في كل مواقف الحياة، والاتقان في جميع الأعمال، والصبر في جميع الشدائد والتضحية حيث تجب التضحية، للخلاص من أهوال يوم القيامة، ومن عذاب جهنم وللفوز برضاء الله وجنته...

٢ ـ وبهذه التربية على أساس الإيمان باليوم الآخر تنضبط غرائز الإنسان ودوافعه وعواطفه، ويتحكم الفرد والمجتمع في سلوكه فيوجه هذه الدوافع الغريزية نحو تحقيق مرضاة الله واجتناب غضبه، فيبتعد الإنسان عن الفوضى والأنانية ليحقق المصلحة العامة والعدالة والخير، ويتراحم الناس ويسود التواصي بالحق والتعاون.

٣ ـ وتتحقق مراقبة الله فتتحقق الأخلاق الفاضلة، مطلقة من قيود المنفعة،

---

(١) الحج ٢ (٣) المطففين ٦

(٢) غافر ١٦ (٤) فاطر ٣٦

مجردة من اعتبارات العنصرية والقومية التي تحصر الأخلاق في حدود تمجيد أمة معنية أو عرق معين، والأخلاق الاسلامية بعيدة عن الرياء والمفاخرة، والشهرة، ونحو ذلك مما يذهب الاخلاص ويجعل الاخلاق كالأزياء والبدع الاجتماعية (الموضات) تغدو وتروح، وتظهر فجأة وتختفي أو تذوب، تبعاً لأهواء الجماهير المتذبذبة التي ليس لها معيار ثابت، والتي لا تؤمن بالله واليوم الآخر.

وهكذا يربي الايمان باليوم الآخر في النفس أخلاقاً ثابتة أصيلة تنبع من أعمق بواطن النفس ومشاعرها وعواطفها الثابتة المرافقة لهذا الايمان، تلك المشاعر التي نبتت معه وبقيت ملازمة للانسان ما دامت الدماء تجري في عروقه.

هـ ـ الايمان بالقدر خيره وشره:

وهو الايمان بأن الله قَدّر كلَّ ما وقعَ ويقعُ وسيقع في هذا الكون، وفي المجتمعات والاجيال البشرية، من حوادث، وقدّر لكل جرم كبير أو ذرة صغيرة في السماوات والأرض مبدأها ومصيرها ونظامها، وأجلها وعلاقتها بغيرها وبسائر كائنات الكون وكل تحركاتها وتطوراتها.

وهذا لا يتنافى مع الجزء الارادي الاختياريّ الذي ميّز اللهُ به الانسان، ورتّب عليه تكليف الانسان وجزاءه. فسبْقُ العلم والتقدير الالهي لا يستلزم اجبار الانسان على غير ما يريد من الاعمال، بل إن إرادة الإنسان لما يعمل، بناءً على تفكيره واختياره وتمييزه، كل ذلك يجري وليس للإنسان علم مسبق بما قدر الله أو سبق في علمه. ويكفي شعور الإنسان بمحض الإختيار وتحقيق إرادته ليكون إختياره حجة عليه إذا هو اختار طريق الشر...

لكنْ قد يقع للإنسان ما لا يخضع لإرادته كالمرض والسقوط المفاجيء والموت والمطر أو المحل، والزلازل والأعاصير... ونحو ذلك مما يصطدم برغبات البشر، فهذه الحوادث الجسام من شأنها أن تذكّر الإنسان بالخالق، المدبّر للكون القيّوم على شؤون الكون كلها، وبأنه قدّر كل هذه الأمور

والحوادث تقديرا مبنيا على حكمته جل جلاله.

نتائج تربوية عامة للأساس الاعتقاديّ:

كذلك بنيت التربية الإسلامية على أساس متين من الإيمان بالله واليوم الآخر والكتاب والنبيين، إيماناً مبنياً على التأمل والتفكير والبرهان، والاستدلال بالكائنات على عظمة خالقها، إيماناً ينطلق من ذات الإنسان وعواطفه، فيدفعه الى العمل ويدعوه إلى الاستقامة والإخلاص والإنتاج المثمر، والتسامي والترفع عن الأثرة والغش والفوضى والإهمال والتواكل.

كما بنيت على الإيمان بأن الله جعل الإنسان مخلوقاً مكرماً، فسخر له الكائنات من حوله، وخلقه فصوّره، وحفظ دمه وماله وعرضه ان هو اتبع شريعته وحققها في الحياة الإجتماعية والفردية وفي جميع علاقاته... وجعله مميزاً مختاراً، أي قادراً على التمييز بين الخير والشر، واختيار أحدهما، بعقله وتفكيره وارادته.

وجعل مهمته العليا وهدفه الأسمى عبادة الله وتزكية النفس بذلك، والبعد بها عن الانهيار والانحراف والانحطاط والزلل والانغماس في الشهوات..

وهكذا يجب علينا أن نربي الإنسان على الشعور بمكانته وكرامته، دون إهانة مستمرّة أو احتقار لمواهبه، وعلى الشعور بمسئوليته في هذا الكون وفي هذه الحياة، وبموقفه للجزاء بين يدي الله، وعلى الشعور بأهمية الرسالة الإلهيّة والأمانة الربانية التي حمّله الله إياها، وهي تحقيق أوامر الله، والدعوة إلى توحيده وعبادته، وعلى سعة الأمل برحمة الله، والثقة بنصر الله، وبعد النظر في آفاق هذا الكون، والبحث عن دلائله وآياته وسننه، وعن فوائد جميع قواه وعناصره وتسخيرها لمصلحة الإنسان.

ثانيا : الأساس التعبّديّ :

أ ـ مفهوم العبادة في الاسلام وأثره التربوي:

ليست العبادة مجرد انزواء عن الحياة، وعكوف على المساجد وإنما شرعت العبادة في الإسلام لتكون محققة للعقيدة، وثمرة سلوكية عملية لها، ولما كانت العقيدة الإسلامية تشمل الكون والحياة والإنسان، فإن العبادة تشمل كل جوانب الحياة فقد امتازت العقيدة الإسلامية عن العقائد السائدة في سائر الأديان والفلسفات المشهورة في العالم اليوم، بأن القرآن دعا إلى اعتناق عقيدة التوحيد دعوة مقرونة بالبراهين الواقعية والأدلة الحسية العقلية كالنظر إلى آيات الله في الآفاق وفي أنفسنا ....

كما امتازت العقيدة الإسلامية بأنها عرضت مع أدلتها مقرونة أيضاً بمطالبة الإنسان بالنتائج السلوكية التي يستلزمها الإيمان بهذه المعتقدات ذلك أن الله أراد من دعوة الإنسان إلى الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والنبيين، أن يقترن هذا الإيمان بحركة فكرية وعاطفية في أعماق الإنسان، تتحول إلى قوة دافعة تحقق مدلولها في عالم الواقع، قوة تدفع الإنسان الى تحقيق عبوديته لله في سلوكه وأعماله ومجتمعه فالله جل جلاله إنما لفت الأنظار والعقول إلى آياته الكونية الرائعة، لكي يتجه الإنسان بقلبه وجوارحه وسلوكه إلى عبادة ربه وطاعته، وبالتالي إلى العمل الإسلامي المثمر في إعمار الكون وتحقيق شريعة الله وعدالته في الحياة وفي المجتمع الإنساني، وفي جميع رحاب الأرض وبحارها.

لذلك عرفوا العبادة بأنها (كل عمل يرضي الله)، وبذلك تشمل العبادة جميع أعمال الإنسان، إذا قصد بها ارضاء الله، وتحقيق العبودية له والخضوع لأمره وشريعته، والقرب منه، واتقاء غضبه، والنجاة من عذابه...

ولذلك لم يقتصر مفهوم العبادة في الإسلام على النسك والعبادات الراتبة التي تقام في أمكنة معينة، وبكيفيات مخصوصة، ولا بالاتجاه إلى جهة معينة. بل شملت العبادة كل جوانب الحياة، الإعتقادية، والمالية والإجتماعية، والسياسية والحربية: ﴿ليس البرّ أن تُولّوا وُجوهَكُم قِبَلَ المَشرق والمَغرب، ولكنّ البرّ

مَن آمَنَ بالله واليوم الآخر، والملائكة والكتاب والنبيينَ، وآتى المالَ على حُبِّه ذَوي القُربى واليتامى، والمساكينَ وابنَ السّبيل، والسّائلينَ وفي الرقاب، وأقامَ الصلاةَ وآتى الزكاةَ، والموفونَ بعهدِهم اذا عاهَدوا، والصابرينَ في البأساءِ والضّراءِ وحِينَ البأسِ أولئكَ الذينَ صدقُوا وأولئكَ همُ المتقونَ﴾. (البقرة: ١٧٧).

كذلك أصبحت الحياة كلها عبادة في نظر الإسلام: ﴿قل إن صلاتي ونسكي، ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ (الانعام: ١٦٢).

بل إن الإسلام تنظيم للحياة عن طريق العبادة لله عز وجل، لأن الإسلام هو استسلام لله عز وجل وخضوع له في كل شؤون الإنسان: ﴿قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين، وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾ (الزمر: ١١).

ب ـ العبادات الإسلامية وآثارها التربوية:

تمثل العبادات الراتبة أركان الإسلام: كالصلاة والصوم والزكاة والحج أما باقي العبادات التي تتمثل في سلوك الإنسان وحياته وأعماله كلها، موجهة ومسخرة لتحقيق مرضاة الله والعمل بشريعته، فهي متممة لكيان الإسلام، كما تتمم الجدران والنوافذ والأبواب، والمفروشات والزخارف قصرا من القصور بعد أن بنيت أسسه، وأقيمت أركانه....

فالحياة التعبدية تنظيم سلوكي فكري اعتقادي عاطفي مبني على الصلة الدائمة بالله عز وجل والسير وفق أوامره وشريعته والالتزام بهدى نبيه ﷺ في كل شؤون الحياة الفردية والاجتماعية والمالية والإقتصادية والسياسية...

وما الدقائق والساعات والأيام التي يقضيها الإنسان في العبادات الراتبة إلا تذكير بهذه الصلة المستمرة بالله وترويض للنفس على الخضوع الدائم لله والخشوع لذكره. فالإنسان المتعبد يستيقظ عند الفجر لذكر الله، وينام بعد العشاء عملا بهدي رسول الله، ويأكل ما أباحه الله، ويمسك عن الطعام عندما يمنعه الله عن الطعام، ويعطي من المال ما يأمر به الله، ويتمتع بالمال كما يسمح له الله...

فالصلاة تنظيم للحياة اليومية على أساس الارتباط القلبي الدائم بالله عز وجل والصوم تنظيم للشهوات والرغبات وكبح لها حتى تبقى خاضعة لشريعة الله ومرضاته بعيدة عن غضب الله وعن الانحراف والفوضى والاستئثار.

والحج تنظيم للحياة الاجتماعية على أساس جمع كلمة الأمة والمجتمع تحت لواء الله، وعلى اساس الانتماء إلى الله والاعتزاز بالله، وهكذا تصبح جميع العلاقات والتصورات الاجتماعية ربانية قائمة على عبادة الله.

والزكاة تنظيم للعلاقات المالية والاقتصادية على ما شرعه الله ويتبع ذلك أنظمة البيوع والعقود ونحو ذلك مما ينظم جميع العلاقات البشرية، وينفي كل غش أو نزاع أو تكالب على المادة.

ج - بعض الآثار التربوية:

للعبادة، بحكم استمراها وشمولها لكل جوانب الحياة والنفس، أثر واضح في تربية الفرد والجماعة، ونتائج ثابتة دائمة في عقل الناشيء وفي تكوين شخصيته وأسلوب تفكيره، وفي نمط حياته السلوكية، وفي مشاعره وعواطفه، وفي إرادته وعزيمته....

١ - **فمن الناحية الفكرية** تربي العبادة عند الإنسان الوعي الدائم، والتفكير في كل ما يعمل، لأن أعمال الإنسان ان لم توزن بميزان يرضي الله فستصبح وبالاً عليه. لذلك تقاس كل أعمال الإنسان وعلاقاته بمقياس الحلال والحرام. فلا يقدم على عمل قبل أن يفكر فيه، في حكمه وهدفه وأسلوبه الذي يرضي الله وهكذا تربي العبادة انساناً عقلانياً منهجياً واعياً مفكراً باستمرار، يفكر في ملكوت السموات والأرض ليناجي ربه ويعبده من خلال هذا التفكير، ويفكر في حياته وسلوكه ومصيره ليربط كل أعماله بهذا المصير ويقيسها بمقياس الشرع الذي أمره الله أن يتبعه، وهذا الاتباع من أعظم مظاهر العبادة لله.

٢ - **ومن الناحية الشعورية الانفعالية** تربي العبادة عند الإنسان العواطف الربانية الخالصة والشعور الدائم بالانقياد إلى الله وحده والخضوع لأوامره. ذلك

أن من شروط صحة العبادة إخلاص النية وجعل الهدف مرضاة الله دون غيره: كإرضاء الناس أو مراءاتهم وطلب مديحهم، أو مداراة حاكم ظالم لا يحقق شرع الله، أو الرغبة في الجاه والسلطان لارضاء شهوة الحكم، لا لتحقيق العدالة والحكم بما أنزل الله. قال تعالى: ﴿فَمَن كانَ يَرجُو لِقاءَ ربِّهِ فَلْيَعملْ عَملاً صَالحاً، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ (الكهف: ١١٠).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: قال الله عز وجل: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عَمِل لي عملاً أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك» رواه ابن ماجة ورواته ثقات[١].

وعن الضحاك بن قيس قال: قال رسول الله «ان الله تبارك وتعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له، ولا تقولوا هذه لله وللرحم فانها للرحم وليس لله منها شيء» رواه البزار باسناد لا بأس به والبيهقي[٢].

٣ ـ وهكذا ينتج عن هذه التربية العاطفية الربانية احساس اخلاقي دائم، تصدر عنه المكارم والتضحيات، والالتزام والاستقامة، وسائر السجايا الخلقية الثابتة المطلقةالمستمرة، صدوراً عفوياً، كما يصدر الأريج عن الزهر، بعيدة عن أية اعتبارات مصلحية أو عن أية اثرة، أو رياء أو مداهنة للناس أو المجتمع. وما الحاجة إلى الناس أو المجتمع؟ ما دام المنطلق والهدف إرضاء الله واتقاء غضبه وعقابه؟ ومنه النعمة وإليه المصير.

٤ ـ **ومن الناحية الاجتماعية**، تربي العبادة الانسان على الارتباط الدائم بالجماعة المسلمة، حيثما كان، ومهما كانت ظروفه.

ذلك أن معظم العبادات الراتبة تقام في جماعة منظمة متحابة، ذات هدف واحد، وتصورات موحدة، اذ يقوم الأفراد بحركات موحدة، كالصلوات الخمس جماعة، وصلاة الجمعة والعيدين، وكالصوم، يشعر فيه الصائمون

---

(١) الترغيب والترهيب ج ١ ص ٣٢ ط مطبعة عيسي البابي الحلبي على ذمة محمد هاشم الكتبي.

(٢) الترغيب والترهيب ج ١ ص ٢٣ مطبعة عيسي البابي الحلبي على ذمة محمد هاشم الكتبي.

بمشاعر واحدة وقد أمسكوا عن الطعام في وقت واحد، ثم عادوا إلى تناوله في وقت واحد . . . وكالحج حين يجتمعون في صعيد واحد في لباس موحد متواضع بعيد عن أي ترف أو تمسك بالمظاهر أو تميز بسبب الغنى، ويتساوون في تحمل المشقة، والنوم في العراء، ويهتفون بصوت واحد، هتافات موحدة، تحمل معنى واحداً هو الاجتماع تحت لواء رب واحد، وابتغاء هدف واحد، هو مرضاة الله، والأمل في نصره، وتحقيق شريعته، ونصرة دينه، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والتعامل بالحسنى والتعاون، وتبادل المودة، والتعارف فيما بين مئات الألوف من المسلمين الذين جاؤوا من جميع أقطار المعمورة . .

٥ ـ والعبادة تربي ذاتية الإنسان وارادته وحريته وكرامته. ذلك أن الإنسان المتعبد بوعي وبصيرة يتعلم من تكرار هذا التعبد، ألا يعمل الا ما يقتنع به، ويزنه بميزان معين، ثم يرجحه بإرادته، ويحققه بصبر وعزيمة وتصميم، عارفاً هدفه، مستبعداً المؤثرات الأخرى التي قد تؤدي به إلى الانحراف عن هذا الهدف.

ويشعر المتعبد بكرامته حين يكرر ألفاظاً وحركات وانفعالات، تشعره بالارتباط بالله، وهو أكبر من كل كبير، وأعظم من كل عظيم، فيعتز به، وتصغر في عينه كل المصائب والصعاب، ويستعين بالله في كل موقف. فالتكبير يتكرر في عبادة المسلم الراتبة بضعا وسبعين مرة في ركعات الصلاة المفروضة كل يوم.

ثالثاً ـ الأساس التشريعي:

أ ـ مفهوم التشريع في الإسلام وطبيعته التربوية:

يملأ التشريع والقانون فراغاً كبيراً في حياة الأمم، ويحظى من رجال التربية والتعليم باهتمام بالغ. لأن غرس احترام القانون وتقديسه في النفوس لا يكون مفيداً تماماً إلا في السنوات الأولى من العمر، في المرحلة المدرسية. ولأن نظام

الحياة الإجتماعية، كله قائم على احترام التشريع، ولأن استتباب الراحة والأمن لجميع المواطنين، لا يتحقق إلا باحترام التشريع. ولأن العلاقات الإجتماعية لا تستقيم ولا تأخذ مجراها الطبيعي إلا باحترام التشريع.

مميزات التشريع الإسلامي

يمتاز التشريع الاسلامي: ١ ـ **بأنه من عند الله**. ولهذا يجد طريقه إلى قلب الناشيء وعقله في يسر وحماسة وإقبال، ٢ ـ **وبأنه شامل لكل العلاقات الإجتماعية العائلية منها والنقابية والعملية والتجارية والجوارية والمدنية والإنسانية والكونية فما من كائن في الكون والبشر والدواب، إلا وله حكم في شريعتنا الإسلامية**، كما أن له علاقة ما بالإنسان المسلم، ولا عجب في ذلك، ما دام الإنسان والكون كله، خاضعين لتدبير الخالق، مشتركين في أنهما خلقا لهدف واحد، ينتظران مصيراً واحداً، هو الفناء عند النفخة الأولى ثم إعادة الخلق لمن شاء الله أن يعيده... وهكذا يمكننا أن نعرّف الشرع في الإسلام بأنه سنّ التعاليم الدينية، وبيان العقيدة التي يجب الايمان بها وعبادة الله على أساسها، وبيان أساليب العبادة واحكام العلاقات الإجتماعية كلها بين البشر، وبينهم وبين الكائنات الأخرى، وإصدار جميع الأوامر والنواهي والإرشادات التي تحقق للبشر حسن عبوديتهم لله وتعلقهم به.. وسعادتهم. ٣ ـ **والتشريع من خصائص الله تعالى**، والإيمان بهذه الخاصية، والعمل بمقتضاها جزء من العقيدة الإسلامية: فكل من سمح لنفسه بالتشريع، أو أطاع مخلوقاً في خلاف ما شرع الله من أمور الدين أو المجتمع أو البشرية أو مما وضع الله لمثله تشريعاً، فقد أشرك مع الله إلهاً آخر[1].

ودراسة الفقه الإسلامي وأحكام الشريعة تبدأ مع الطفل منذ دراسة أحكام

---

(١) دليل ذلك قوله تعالى ﴿اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله﴾ (الآية) (التوبة ٣١) انظر تفسير ابن كثير للآية المذكورة وقوله تعالى ﴿ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾.

العبادات. ومن خلال تلاوة القرآن وفهم بعض احكامه، ومن خلال حفظ أحاديث الرسول ﷺ بقصد اتباعها، وكل ذلك في حياته المدرسية.

أما قبل المدرسة فإن الطفل يرتشف مبادىء فكرة التشريع مما يسمع من حوله من اصطلاحات (الحلال، والحرام) ومن اصطلاحات دارجة مثل التي تدل على الزواج المشروع (على كتاب الله وسنة رسوله) ومن آداب الإسلام كبر الوالدين وكأدب السلام ومن بعض القصص التي يستنبط منها الطفل بعض النتائج بحسب قدراته التفكيرية، ومما يرى أو يسمع عن تطبيق أحكام الله وحدوده على الجناة والمجرمين في الدول التي تطبق حدود الله...

ب ـ أحكام التشريع الإسلامي وأثرها التربوي:

تترك الشريعة الإسلامية وأحكامها في نفس الناشيء آثاراً تربوية عظيمة، بعضها يتناول الفكر وبعضها يتناول التربية الاجتماعية، عدا عن أنها تنظم للسلوك وهاك تلخيصاً لأهم هذه الآثار.

أولا: الآثار الفكرية للأساس التشريعي

(١) تربي الشريعة الفكر على الشمول. لأن صدور احكامها عن الله خالق البشر جميعاً وخالق الكون والحيوان والإنسان، كل ذلك يجعل الناشيء يتعلم التعميم والشمول في إصدار الأحكام، كما يتعلم استمرارية الحكم، ويربي ـ تدريجياً ـ في عقله موازين الحق والباطل، ويدافع عن هذه الأحكام بمنطق أخلاقي ثابت الموازين، منطلق القيم، واسع الشمول، عام مطلق غير مقيد بمصلحة أو فئة أو أمة أو عرق أو طبقة معينة.

(٢) تربي الشريعة الإسلامية العقل على التفكير العلميّ السليم، ذلك أن أحكام الشريعة لم توضع لأفراد معينين، ولا لجيل بعينه، بل وضعت لكل العصور والأزمان ولجميع البشر والأجيال، فهي قواعد عامة شاملة تطبق على حالات جزئية، وعلى الناشيء والمتعلم أن يعرف ذلك، ويحققه في اعماله التعبدية، وفي علاقاته الإجتماعية وفي جميع مواقف الحياة.

ومن تكرار هذه العملية الفكرية التي تسمى عند علماء الشرع بالقياس (وعند علماء المنطق عملية تشبهها يسمونها (الاستنتاج) تنشأ مرونة عقل الناشيء وقدرته على المحاكمة العقلية الصحيحة .

(٣) الشريعة الإسلامية تربي العقل على بعد النظر وعمق التفكير وسعة الاطلاع، وعلى التكامل والأخذ بكل جوانب المعرفة والحضارة، وتربي المجتمع على طلب[١] العلم ومحو الأمية:

فالقراءة والكتابة من أول مستلزمات تعلم الشريعة وأحكامها، وهذا التعلم فريضة على كل فرد، وهكذا كانت الشريعة أول عامل في محو الأمية، حين كانت الأمة تحتضنها وترفع شأنها وتعمل على تحقيقها.

والشريعة تدعو الى تعلم الحساب لفهم أحكام علم الفرائض، وتطبيقها وإلى معرفة الجغرافية لمعرفة مواطن الأقوام البائدة الواردة قصصهم وأحكامهم في القرآن العظيم، وأخذ العبرة منها لاصلاح واقعنا، وإلى معرفة (الفلك) للوقوف على مطالع الأهلة ومواقيت الصلاة ونحو ذلك ولفهم الشريعة الإسلامية وضع أجدادنا أسس علم التاريخ، وعلم الحديث، وأصول الفقه، وكانوا أساتذة الغرب في اكتشاف وحدة قوانين الكون، واستخدام التجريب في العلوم الكونية (الطبيعية) وفي علم الطب والفلك والجبر، وعلم الضوء...

ثانياً: أثر الشريعة في تربية الخلق:

ان ممارسة تحكيم الشريعة في حياة الفرد وعلاقات الناس مرة بعد مرة وتعايش الناس على هذا يؤدي الى تكوين عادات سلوكية قويمة، وانضباط خلقي عظيم في حياة الفرد والجماعة ويتجلى ذلك في الأمور التالية:

---

(١) سيأتي توسيع هذه الفكرة في بحث (مبادىء التربية الإسلامية).

(١) أثر الشريعة في سلوك الفرد:

عندما تتمكن تعاليم الشريعة من نفس الفرد، ويصدر عنها في أساليب حياته، تصبح بمثابة ضابط خلقي يحاكم المرء نفسه اليه، كلما وقف أمام أمور مشتبهات كالغلاء الفاحش في البيع، فالضابط الشرعي الدقيق يعطيك نسبة إذا تجاوزتها في البيع مثلاً كان ربحك فاحشاً، أو قاعدة إذا جاوزتها كان ربحك من الربا المحرم وهكذا دواليك.

أما الوازع فهو نداء الضمير من الأعماق ليبعدك عن الاقتراب من المحرم أو المشتبه به بالكلية خوفاً من الله. وهذا الوازع يأتي عن طريق كثرة العبادة ومناجاة الله والخشوع له، والخوف من عذابه ومن يوم الجزاء، ويجب الخضوع لكل من الوازع والضابط وقد شبه الرسول ﷺ ترك الوازع والاقتصار على ضوابط لفظية يخشى الاحتيال عليها أو اساءة فهمها، بالتشبيه التالي: « عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ان الحلال بيّن وان الحرام بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه. ألا وان لكل ملك حمى، ألا وإن حِمى الله مَحارمه » الحديث. رواه البخاري ومسلم[١] وهكذا ينبع احترام التشريع في التربية الإسلامية من اعماق النفس، لا خوفاً من بطش الحكام، ولا من سخرية المجتمع، ولا من ضياع المصلحة.

(٢) أثر الشريعة في سلوك الجماعة:

وعندما يستفيض تداول أحكام الشريعة على المستوى الإجتماعي، تصبح بعض هذه الأحكام اعرافاً ومصطلحات اجتماعية، يطلقها المجتمع على بعض المحرمات على السكر والربى ونحو ذلك بأسلوب يشمئز معه الإنسان من

---

(١) رياض الصالحين ص ٢١٩ ط دار القلم ـ بيروت.

أصحاب هذه المحرمات، أو على بعض المعاملات الطيبة كقولهم إن (البيع تسبيح) أي اذا قصد به وجه الله.

وقد ربى الإسلام هذه الفطرة الإجتماعية، فنظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحض على ذلك، وجعل تركه من علامات انهيار المجتمع «ان الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه»[1].

---

(١) أخرجه الامام أحمد في المسند ١/ ١/ عن ابي بكر، عن النبي ﷺ.

الفصل الثاني

مبادئ التربية الإسلامية

١ ـ التعلم فريضة على كل فرد

٢ ـ التعليم فريضة على كل قادر

٣ ـ التعلم مدى الحياة

٤ ـ تقرير الكرامة الإنسانية

٥ ـ مبدأ التربية الذاتية

تمهيد

تعبّر كلمة (مبدأ) ـ كما تستعمل اليوم على الأغلب ـ عن فكرة عامة شاملة، تنبثق عنها أفكار فرعية، أو تنظّم على ضوئها عمليات فيزيائية، أو كيماوية، أو تربوية، أو علاقات اجتماعية...

وتأتي المبادىء على الأغلب، مصرحاً بها، أو متضمّنة في البحوث أو القصص أو التشريعات، أو مجموعة مرتبة في العلوم الطبيعية.

أما مبادىء التربية الإسلامية فيجدها الباحث موزعة في القرآن والسنة: بعضها صريح: كمبدأ رعاية اليتيم، والمحافظة على الفطرة وحفظ الكرامة الإنسانية، ومبدأ (فرضية التعليم) (والتعلّم).....، وبعضها يمكن استنباطه من أساليب الرسول ﷺ، وأساليب القرآن الكريم في التعامل مع النفس الإنسانية والمجتمع، كمبدأ (التربية الذاتية) ومبدأ (مراعاة الفروق الفردية) ونحو ذلك.

على أن أهمية هذه المبادىء تبرز للباحث حين يتضح أنها تحل مشكلات طالما عانت منها الإنسانية في الماضي أو الحاضر أو كليهما ولا يخفى على الباحث المنصف ما تمتاز به مبادىء التربية الإسلامية من أصالة وواقعية وشمول في التطبيق، حيث تبعث على اخلاص في العمل التربوي وشمول في التطبيق، كما تبعث على الإخلاص في التربية والدقة في التعليم، ولا غرو فقد استمدت

كيانها من وحي السماء وحكمة النبوة، كما سنرى في خصائص التربية الإسلامية.

المبدأ الأول: التعلم فريضة على كل فرد:

١ ـ تعريف وتمهيد:

لئن كان علماء النفس التربوي وعلماء التربية الحديثة وفلاسفتها، قد عنوا بدراسة عملية التعلم، من كل جوانبها، فلقد سبقهم الإسلام إلى رعاية التعلم وتوجيهه، ودعا إليه جميع أبناء الأمة، بل بعث فيهم نشوة حب العلم، ودفعهم جميعا الى التعلّم من تلقاء أنفسهم تعلّماً سليماً ناجحاً، بالمعنى الصحيح للتعلّم، وبأفضل أسلوب ممكن في ذلك العصر، وقد عرف أحد مشاهير علم النفس التربوي[١] التعلّم بأنه «تعديل السلوك عن طريق كسب الخبرة» ورأى أن التعديل انما يحدث اثناء إشباع الدوافع وبلوغ الأهداف. وبنى على هذا أنه يمكن اعتبار التعلم عملية تكيف مع المواقف الجديدة ولكن هذا التكيف يحتاج إلى تمرين. ولذلك عرّف التمرين بأنه: «مجهودات الفرد المتكررة لكي يستجيب للموقف الجديد استجابة ناجحة[٢]».

٢ ـ التعلم في التربية الإسلامية:

يمكننا أن نلخص الدراسات الحديثة لعملية التعلم بأنها محاولات لاكتشاف عناصر هذه العملية، وأهمها العناصر التالية:

أ ـ مواقف جديدة تستدعي استجابات جديدة أو سلوكاً مناسباً.

ب ـ كائن لم يألف في الماضي هذه المواقف ولا يحسن الاستجابة لها.

جـ ـ محاولات وتمارين ومجهودات متكررة لاتقان سلوك جديد يتفق مع المواقف الجديدة.

---

(١)، (٢) علم النفس التربوي: آرثر غيتس وآخرون ـ تعريب ابراهيم حافظ وآخرين ج ٢ ص ٥ مكتبة النهضة المصرية.

وهذه العناصر موجودة في كل عملية تعلم، ولكن مدلولها قد يختلف باختلاف اهداف المربي وعقيدته ومفهومه للحياة..

فالموقف في التربية الاسلامية ليس مجرد مجموعة من المؤثرات المادية التي تحيط بكل من المربي والمتربي، بل إنه، شعور مبني على عقيدة ثابتة، ينبثق من ذات الإنسان، ويتفاعل مع المؤثرات الخارجية، بقصد إخضاعها وتصريفها وفقا لهذا الشعور، وتحقيقاً لمتطلباته.

ولهذا كان أول عمل يقوم به المربي المسلم: تحقيق أسس التربية الإسلامية أي صياغة مشاعر المتربي وأفكاره، وفقاً للأهداف والعقيدة التي يؤمن بها. وبهذا يتضح (موقفه) من الحياة، ومن الكون، ومن نفسه ومن مجتمعه. أي تتضح استجاباته وانفعالاته وتصوراته تجاه هذه الأمور وغيرها مما يمر به في حياته.

ولكن التربية الاسلامية لا تقف عند «اتخاذ مواقف معينة» بل تنتقل فوراً الى (ممارسة الحياة والسلوك) وفقا لهذه (المواقف) و (المشاعر) التي نحسها ونمارسها في داخلنا أمام أي موضوع أو مجتمع أو منظومة من العوالم والكائنات، لذلك كان التعلم في الاسلام ضرورة لتنظيم سلوك الأفراد وعلاقاتهم وتنظيم شؤون الأمة والمجتمع، وذلك لتعلّم السلوك والممارسة التي تناسب (الموقف) المتّخذ...

التعلم من ضروريات الإسلام:

ولو تأملنا عملية التعلم والتعليم منذ فجر الاسلام، لوجدنا أن المسلمين منذ اعتناقهم هذا الدين قد اتخذوا لانفسهم (مواقف جديدة) من كل قضايا الحياة ومن علاقاتهم الأسرية والاجتماعية، ومن الكون، ومن أنفسهم ومهمتهم في هذه الحياة الدنيا وقد عرضنا مجملاً لهذه المواقف في بحثنا لأسس التربية الاسلامية وأهدافها ثم ان هذه المواقف الجديدة التي اتخذوها استلزمت تغيير سلوكهم الفردي والاجتماعي تغييراً مبنياً على برهان واقتناع ودليل، أي على

ايمان صحيح، فأصبح التعلم المنهجي الموحد ضرورة لازمة لجميع أبناء الأمة، لا سيما أنهم أسلموا وجههم لله ولشريعته، ووجهوا قلوبهم وسلوكهم نحو مرضاته، ونظموا علاقاتهم وأعمالهم وفقاً لدينه وكتابه وسنة رسوله، محققين معنى (الإسلام) الذي أخذوا أنفسهم به، وعاهدوا الله عليه.

فكان من مقتضيات الإسلام «أن المسلم لا يملك أن يتلقى في أمر يختص بحقائق العقيدة، أو التصور العام للوجود، أو يختص بالعبادة، أو يختص بالخلق والسلوك والقيم والموازين، أو يختص بالمبادىء والأصول في النظام السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي. أو يختص بتفسير بواعث النشاط الإنساني وبحركة التاريخ الإنساني... إلا من ذلك المصدر الرباني، ولا يتلقى في هذا كله إلا عن مسلم يثق في دينه ومزاولته لعقيدته في واقع الحياة[1]».

ولا يتم هذا كله إلا بالتعلم فالتعلّم واجب إسلامي لأن الإسلام لا يتحقق إلاّ به.

أدلة على وجوب التعلم:

لهذا أتت الأدلة موضحة وجوب التعلم والحض عليه، والترغيب فيه، ولما كان ترتيب البحث يقتضي التفريق بين التعلم والتعليم، فسنقتصر هنا على بعض النصوص الدالة على التعلّم، ونرجىء أدلّة التعليم لنعرضها في حينها علماً بأنها دالة في الوقت ذاته على وجوب التعلم، لأن هذين الفعلين لا يتم أحدهما بدون الآخر.

ولعل أوضح دليل من القرآن على وجوب التعلّم قوله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافةً فلَولا نَفَرَ من كلِّ فرقةٍ منهُم طائفةٌ ليتفَقّهُوا في الدّين ولينذِروا قومَهُم إذا رجَعوا إليهِم لعلّهم يحذَرونَ﴾ ووجه الاستدلال على الفرضية أن هذه الآية نسخت آيتين تدلان على وجوب النفير العام وهما ﴿انفروا خفافا وثقالا..﴾ و ﴿الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما...﴾.

(١) معالم في الطريق: سيد قطب - ص ١٢٦ ط ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

كما ثبت عن ابن عباس[1] . ومن البدهي أن الواجب لا ينسخ إلا بما هو أوجب منه أو مثله في الوجوب .

قال ابن عباس في تفسير الآية بعد أن ذكر النسخ[2] : يقول : « لتنفر طائفة ، ولتمكث طائفة مع رسول الله ﷺ . فالماكثون مع الرسول ﷺ هم الذين يتفقهون في الدين ، وينذرون اخوانهم إذا رجعوا اليهم من الغزو لعلهم يحذرون ما نزل من بعدهم من قضاء الله في كتابه وحدوده » .

الوجه الثاني للاستدلال على أن التعلم فرض على جميع أبناء الأمة قوله تعالى ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم﴾ فعموم لفظ (قومهم) دليل على عموم وجوب التعلم ، وحرص الحق جل جلاله على تفقيه وانذار جميع أبناء الأمة بأمور دينهم هو سبب منع النفير العام الذي يخشى معه استشهاد علماء الأمة وفوات التعلم على باقي أبناء الأمة ، ولهذا رتب لكل فرقة طائفة من طلبة العلم يخصصون للجهاد بالتعلم والتعليم في مقابل اخوانهم الذين نفروا للغزو والجهاد بالسيف ، فالتعلم والتعليم فرض لا يقل أهمية عن الجهاد والدفاع عن الأمة . لأن التعلم دفاع عن الدين والعقيدة ، ونشرها هو المقصود الأول من الجهاد والحرب .

أما الأدلة من السنة فمن أوضحها دلالة : قوله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقد صححه ابن قيم الجوزية من حيث المعنى فقال بعد ذكر الحديث[3] : « هذا وان كان في سنده حفص بن سليمان ، وقد ضُعّف ، فمعناه صحيح ، فان الايمان فرض على كل أحد وهو ماهية مركبة من علم وعمل ، فلا يُتصوَّر وجود الايمان الا بالعلم والعمل ، ثم ان شرائع الإسلام واجبة على كل مسلم ، ولا يمكن أداؤها الا بعد معرفتها والعلم بها . والله تعالى أخرج عباده من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً ، فطلب العلم فريضة على كل مسلم ولا يمكن عبادة

---

(١) ، (٢) تفسير القرآن الحكيم ـ رشيد رضا ـ ج ١١ ص ٧٨ ـ ٧٩ مطبعة المنار بمصر ط١ .

(٣) مفتاح دار السعادة ص١٧٠ ط . صبيح ـ القاهرة وقد صحح مسند الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني في تخريج احاديث الترغيب والترهيب كما ذكر في صحيح الجامع الصغير ج ٤ ص١١ .

الله التي هي حق على العباد كلهم إلا بالعلم». وقد وردت أحاديث كثيرة ترغب في التعلّم وتشيد بالمتعلمين منها قوله ﷺ[1]، فيما رواه عنه معاوية رضي الله عنه: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» متفق عليه. وقوله[2]: «.... ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة» وقوله: «ومن خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع». رواه الترمذي وقال حديث حسن[3] وهو من حديث أنس عن رسول الله ﷺ.

وهكذا اعتبر الاسلام التعلم وطلب العلم من العبادة التي يؤجر عليها الإنسان ويثاب وتكون له منزلة عند الله، وكانت المساجد هي الأماكن الطبيعية للتعلم... ثم إن الاسلام أشاد بمنزلة العلماء وطلاب العلم ومكانتهم حتى جعلهم كالمجاهدين والشهداء، (فهو في سبيل الله) وحتى جعلهم ورثة الأنبياء وسخر لهم الملائكة ترافقهم في تعلمهم: عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وان الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما صنع، وان العالم ليستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الأنبياء، وان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» رواه أبو داود والترمذي[4].

المبدأ الثاني: التعليم فريضة على كل قادر:

تمهيد وتعريف:

التعليم مصدر الفعل الرباعي (علّم) (وقد زيد على الثلاثي بتضعيف عينه

---

(١) (٢) (٣) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي ص ٢٤٥، ٢٤٦ ـ ط شركة الشمرلي بمصر.

(٤) رياض الصالحين ص ٣٩٦، الناشر وكالة المطبوعات ودار القلم بالكويت وبيروت.

للتعدية). واذا استقرأنا هذا الفعل في القرآن الكريم وجدناه يدل على ما يلي:

١ ـ **الوحي هو المصدر الأساسي للتعليم لأنه أساس للمعرفة الربانية وللعلم** الصحيح، لذا كان من البديهي أن نجد (التعليم) قد أسند في القرآن الكريم إلى الله جل جلاله، في آيات كثيرة. كقوله تعالى حكاية عن نبيه يوسف عليه السلام﴿وانه لذو علم لما **علّمناه**﴾[١] وقوله: ﴿**وعلّمَ** آدَم الأسماء كلّها، ثم عرضهم على الملائكة فقالَ أنبئوني بأسماءِ هؤلاءِ قالوا: سُبْحانَكَ لا علمَ لنَا إلاّ ما **علّمتنا**﴾[٢] وقوله مخاطباً نبيه عيسى عليه السلام: ﴿واذْ **علّمتُكَ** الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والانجيلَ﴾[٣] وكذلك أسند (تعليم المهارة) إلى الله جل جلاله في قوله تعالى: ﴿**وعلّمناهُ** صَنعةَ لَبوسٍ لَكُم، لتُحصِنكُم من بأسكم﴾[٤] حكاية عن داود عليه السلام، فالله جل جلاله هو المصدر الأول للمعرفة وهو المعلم الأول المطلق للملائكة والأنبياء وللخلق جميعاً.

ولكن التعليم من الله تعالى للبشر لا يكون مباشرا. بل يكون بواسطة بعض ملائكته أو رسله، أو بالآيات التي أودعها في الكون، أو بما أودع نفوس الكائنات الحية من الاستعدادات والغرائز الفطرية كقوله سبحانه: ﴿الرحمنُ علّم القرآنَ خلقَ الانسانَ علّمهُ البيانَ﴾[٥].

٢ ـ وقد علم جبريل رسول الله ﷺ القرآن قال تعالى ﴿إنْ هوَ إلاّ وحيٌ يوحى، علّمهُ شديدُ القُوى﴾[٦].

وقد جاء في القرآن اشارة إلى بعض آداب تعلم القرآن كقوله تعالى ﴿لاَ تُحرّكْ به لسانَكَ لتعجلَ به، إنّ علينَا جَمعَه وقُرآنَه، فَاذَا قَرأناهُ فاتّبع قُرآنَهُ، ثُمّ إن عَلَينا بيانه﴾[٧].

---

(١) يوسف: ٦٨.
(٢) البقرة: ٣١، ٣٢
(٣) المائدة: ١١٠
(٤) الأنبياء: ٨٠
(٥) الرحمن: ١، ٢، ٣، ٤،
(٦) النجم: ٥.
(٧) القيامة: ١٦، ١٧، ١٨، ١٩.

فتكفل الله جل جلاله لرسوله بثلاثة أمور هي الاساس في تعلم القرآن (الأمر الأول) جمع آياته وفق تتابعها كما جاء بها الوحي دون نسيان (الأمر الثاني) قراءة الآيات بكل ألفاظها مجودة صحيحة خالية من الأخطاء، وهذا معنى لفظ (قرآنه) (الثالث) فهم معناها وبيانه.

وعلمه ألا يبدأ التلاوة قبل أن ينهي السماع من جبريل متتبعاً ألفاظه فالمصدر الثاني للتعليم، بعد الله جل جلاله، هو جبريل عليه السلام وهو الواسطة بين الله تعالى ورسله، يتلقى الوحي من الله، ويعلّمه الرسل. وكان جبريل يعارض النبي ﷺ بالقرآن كل سنة[1]، وكان ذلك في رمضان فكان النبي ﷺ يعرض القرآن على جبريل كل ليلة في رمضان[2] وهذا لون من الوان المراجعة والمذاكرة لتثبيت التعليم، واستمرار نتائجه وثماره، واثره في تنظيم السلوك والحياة.

٣ ـ وقد وردت آيات من القرآن فيها اسناد التعليم الى الرسول ﷺ، ليبين الله لنا أن التعليم أول مهمة أوكلها الله إلى أنبيائه فقد ورد ذلك في دعاء ابراهيم لذريته. ﴿رَبَّنا وابْعَثْ فيهم رسولاً منهم يَتلُو عَليهِم آياتِكَ ويُعلِّمُهُمُ الكِتابَ والحِكْمةَ ويزكّيهِم﴾[3] ووصف الله رسوله بذلك فقال ﴿لَقَد منَّ اللهُ عَلَى المؤمنين[4] إذ بَعَثَ فيهم رَسُولاً مِن أنفُسِهِم يَتلُو عليهِم آياتِهِ ويُزَكيهِمْ، ويعلّمهُمُ الكِتابَ والحِكمةَ وَانْ كَانُوا مِن قَبلُ لَفِي ضَلالٍ مُبينٍ﴾.

وقال تعالى مخاطباً عباده المؤمنين: ﴿كَمَا أَرسلنَا فيكُم رسولاً منكُم يتلُو عَليكُم آياتِنَا ويُزكّيكُم ويعلّمكُمُ الكِتابَ والحِكمةَ ويُعلّمُكُم ما لَمْ تَكونُوا تعلَمون﴾[5].

---

(١) صحيح البخاري كتاب المناقب (الباب: ٢٥).
(٢) صحيح البخاري كتاب الصوم (الباب السابع)
(٣) البقرة: ١٢٩. (٤) آل عمران: ١٦٤.
(٥) البقرة: ١٥١.

وقد شعر رسول الله ﷺ بعظم رسالته ومهمته التعليمية، فأشهد المسلمين في حجة الوداع على أنه بلغهم والتبليغ أهم مراحل التعليم وأشهد ربه على ذلك حين قال «اللهم هل بلّغتُ؟ اللهم فاشهد» وكان يعلّم قراء المسلمين القرآن، ويعلم كل من يسأله من المسلمين أحكام دينه، كما علم المسيء صلاته كيف يصلي. ويعلم النساء فيجعل لهنّ مجلسا خاصّاً في يوم معين من أيام الأسبوع، وفي مكان معين وهكذا قضى معظم حياته معلما، لأنه أمر بالتبليغ والتبليغ لا يكون إلا بالتعليم ﴿يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك وان لم تفعل فما بلغت رسالته﴾[1].

تعريف: يمكننا من هذا الاستقراء القرآني للفظ (التعليم) أن نعرفه كما يلي: «التعليم نقل معرفة أو مهارة أو سلوك معين الى متعلم مع توفير أسباب تثبيتها في حياته وفي نفسه بقصد تحقيق هدف معين». كما يمكننا أن نستقرىء أحاديث الرسول ﷺ وقد كان قُدوةً لأمته في تحقيق فريضة التعليم بنفسه وتطبيقها على نفسه عملاً بالآيات السابقة التي وصفه الله بها فكان يعلّم أصحابه القرآن والحكمة أي السنة والشريعة ويطهر قلوبهم ويزكيهم...

أدلة على وجوب التعليم

لقد كتب الله لهذا الدين الانتشار والبقاء لذا فرض على كل أفراده أن يبلغوا كل ما يستطيعون تبليغه من الآيات والتشريع والسنة، والآداب الاسلامية قولاً وحفظاً وعملاً، وتعليماً وتزكية، وأمراً ونهياً، وتأديباً، سواء كان ذلك في المجتمعات العامة كالأسواق والمساجد، أم في مجال الأسرة، أم في مجال تعليم الأطفال، أم في غيرها من المجالات...

ذلك أنه لما كان التعلّم لا يحصل الا بالتعليم، وقد رأينا أن الايمان ـ كما

---

(١) المائدة: ٦٧.

قرر ابن قيم ـ لا يتم الا بالتعلّم، كان من البديهي أن نعرض التعليم على كل من يستطيعه، ليستكمل المجتمع الاسلامي ثقافته الدينية وانتظامه في هذا الدين.

وان الباحث ليجد في الاسلام من الحض على التعليم ما لا يجد نظيره في أي شريعة أخرى. وسنورد غيضاً من فيض من النصوص على قدر ما يتسع له المقام.

قال سبحانه مخاطباً هذه الأمة الاسلامية: ﴿وَلْتَكُنْ مِنكُم أُمَّةٌ يَدْعونَ إلى الخَيرِ ويَأمرونَ بالمعروفِ وينْهونَ عَنِ المُنكَرِ وَأُولئِكَ هُم المُفلِحُون﴾[1].

وهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرب من ضروب التعليم وقد عمم الله هذا الأمر على جميع ابناء الأمة بعد بضع آيات فقال جل جلاله ﴿كُنتُم خَيرَ أُمةٍ أُخرِجَتِ لِلنّاسِ تَأمرونَ بالمعروفِ وتَنهونَ عَنِ المُنكَرِ وتُؤمِنُونَ باللهِ﴾[2].

فجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله وهي أمور لا تتم الا (بالتعليم) صفة لازمة من صفات هذه الأمة.

وقد ورد في مقابل ذلك ـ نهي عن كتمان العلم وتهديد لمن يكتمه قال تعالى: ﴿إنّ الذينَ يكتمونَ ما أنزلنَا مِنَ البيّناتِ والهُدىٰ مِن بعدِ ما بَيّنّاهُ لِلنّاسِ أولئكَ يَلعَنُهم اللهُ، ويَلعنُهُم اللاّعِنُونَ﴾ البقرة ـ ١٥٩.

قال السيد رشيد (*) رضا «ثم ان العبرة في الآية هي أن حكمها عام وان كان سببها خاصا فكل من يكتم آيات الله وهدايته فهو مستحق لهذه اللعنة».

ولما كان الحديث مبيناً للقرآن وشارحاً لجمله فقد وردت أحاديث بعضها أصرح وأكثر الزاماً بالتعليم وبعضها أوضح نهياً عن الكتمان نذكر منها: «بلّغوا

---

(١) آل عمران: ١٠٤. (٢) آل عمران: ١١٠.

(*) تفسير المنار ج ٢ ص ٥٢ الطبعة الاولى بمصر ١٣٤٦ (مطبعة المنار).

عني ولو آية، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[1] والمراد بالتبليغ هنا التعلم يشهد له قوله ﷺ « نَضّر الله امرءا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها »[2]. رواه الشافعي والبيهقي عن ابن مسعود به. وفي رواية ابي داود والترمذي بلفظ: « نَضّر الله أمراً سمع منا شيئا فبلّغه كما سمعه، فربّ مبلّغ أوعى من سامع[3] ». وفي البخاري[4] « ليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه ».

ففي هذه الروايات أهم عناصر التعلم اللفظي: كالحفظ والوعي وحسن الأداء، والتزام الأمانة والدقة في التعلم (التحذير من الكذب).

وهذه الأحاديث تدل على وجوب التعليم وقد أكد الوجوب فيها أن أكثرها وردت في حجة الوداع حيث قرر رسول الله ﷺ أعظم وصاياه لهذه الأمة فكان منها الأمر بالتبليغ والتعليم، والوعي أثناء التعلم. وكان من شرف التعليم أن أطلق لفظ (رباني) على المربي « قال ابن عباس[5] (كونوا ربانيين): حكماء فقهاء علماء ويقال: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره » رواه البخاري.

أما الأحاديث التي تنهى عن كتمان العلم فهي كثيرة نذكر منها قوله ﷺ « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار[6] » رواه أبو داود ـ والترمذي وقال حديث حسن.

---

(١) رواه البخاري: أنظر رياض الصالحين للنووي ط دار الكتاب العربي بيروت ص ٤٨٦.

(٢)، (٣) قواعد التحديث: جمال الدين القاسمي ص ١٨ ـ ١٩ مطبعة ابن زيدون دمشق سنة ١٣٥٣ هـ.

(٤)، (٥) صحيح البخاري ج ١ كتاب العلم ص ١٦، المطبعة العثمانية المصرية الطبعة الأولى سنة ١٣٥١ هـ.

(٦) رياض الصالحين ص ٢٤٧ ط شركة الشمرلي بمصر.

كما نهى رسول الله ﷺ عن الفتيا بغير علم وحذر أمته من ترك طلب العلم حيث تقبض أرواح العلماء فلا يبقى الا الجهال، فيضلون الناس: عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا[1]» متفق عليه.

وعنف رسول الله ﷺ الاشعريين لعدم تعليمهم جيرانهم فقال وهو يخطب[2] «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتّعِظون؟ والله ليعلّمَنّ قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتفطّنون أو لأعاجلَنهم العُقوبة» ثم نزل فقال قوم: من ترونه عني بهؤلاء؟ قال: الاشعريين: هم قوم فقهاء، ولهم جيران جفاة من أهل المياه والاعراب... رواه الطبراني في الكبير.

المبدأ الثالث: التعلم مدى الحياة

هذا المبدأ من مستلزمات مبادىء التربية الإسلامية لذلك جاء الحض عليه بأسلوب غير مباشر كما في قوله تعالى: ﴿وقُل رَبِّ زِدنِي علما﴾[3] والاستزاده تستلزم الاستمرار في طلب العلم مدى الحياة. وقال سبحانه ﴿نَرفَعُ درجاتٍ مَن نَشَاءُ وفوقَ كلِّ ذِي علمٍ عَلِيم﴾[4]. فالارتقاء في العلم لا حدود له والعلم بحر واسع لا يحيط به الا الله ﴿ومَا أُوتيتُم مِنَ العلمِ الاّ قَليلاً﴾

---

(١) المصدر السابق ص ٢٤٧.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ الهيثمي ج ١ ص ١٦٤، الناشر: دار الكتاب: بيروت طبعه ٢ سنة ١٩٦٧ م.

(٣) طه - ١١٤.

(٤) يوسف - ٧٦.

وفي هذا اغراء بالتوسع في العلم والاستمرار في طلبه طيلة العمر.

أما أنه من مستلزمات الاسلام، فدليله من وجوه: (الوجه الأول): أن ثبات مبادىء الاسلام وتعاليمه مع ما يقابله من تطور ظروف الحياة والتعامل مع الناس، كل ذلك يدعو الى معالجة هذه التطورات، ومعالجة النفس الإنسانية باستمرار على ضوء تعاليم الإسلام، وايجاد حكم لكل ظرف طارىء، وهذا أمر يعترض كل إنسان فلا يتوقف على فئة معينة من المسلمين، لأن النفس والهوى يتقلبان مع تقلب ظروف الحياة ان لم يكن الفرد واعياً مستمراً في الرجوع إلى الله وقراءة القرآن ووعيه والالتزام به.

وهذا كله يعني الإستمرار في طلب العلم والرجوع الى مراجعه مدى الحياة (الوجه الثاني): أن حفظ العلم آفته النسيان لذلك يجب دوام مذاكرته وعرضه على الآخرين، وقد ورد في هذا عدد من الأحاديث نذكر منها ما جاء «عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الابل في عقلها[1]». متفق عليه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل الابل المعقلة ان عاهد عليها أمسكها وإن اطلقها ذهبت[2]» متفق عليه.

وفي هذا حض صريح على التزام مراجعة العلم وتعهده مدى الحياة. لهذه الأسباب وغيرها وجدنا أصحاب رسول الله ﷺ قد تعلموا على كبر سنهم كما جاء في صحيح البخاري: «قال عمر رضي الله عنه تفقهوا قبل أن تسودوا، وقد تعلم أصحاب النبي ﷺ في كبر سنهم[3]».

---

(١) (٢) رياض الصالحين ص ١٩٥، ط شركة الشمرلي بمصر.

(٣) صحيح البخاري ج ١ ص ١٦ ـ كتاب طلب العلم ط المطبعةالعثمانية المصرية سنة ١٣٥١ هـ

ولهذا كله لم يكن المسلمون بحاجة إلى أدلة تأمرهم بالتعلم في جميع مراحل العمر، بعد ما رأينا من الأوامر والأدلة على فضل التعلم والتعليم وثوابهما، فهذا الأمر والفضل والثواب لا يقتصر على الصغير دون الكبير، لذلك كانت حلقات العلم والتعليم مزيجا عجيباً من جميع الأعمار والطبقات والألوان والاجناس تجد فيهم الشيخ الكبير والشاب القوي والفتى اليافع كلّهم يطمع في ثواب طلب العلم. ويسعد في هذا الجو الفكري الراقي...

وكيف لا يفعلون وقد علموا، من كلام النبوة ان[1] «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا من ذكر الله ومن والاه، وعالما أو متعلماً» رواه الترمذي.

وعن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لن يشبع مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة» رواه الترمذي وقال حديث حسن[2].

وفي هذا حض على التعلم مدى الحياة. واذا رأيتهم في تلك الحلقات رأيت وجوها نضرة وآذاناً واعية وابصاراً متّقدة تنبيء عن عقول نيرة. واحلام راجحة، وبصيرة نافذة وقلوب مطمئنة وشهدت في تصرفاتهم ومناقشاتهم خضوعاً للحق وتوقيراً للكبير ورحمة بالصغير، ورغبة في الحقيقة وبعدا عن المراء والجدل وكيف لا ترى ذلك وقد دعا لهم رسول الله ﷺ فقال: «نضّر الله أمرأ سمع منا حديثا فبلّغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وربّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيه...[3]» فأمر الاسلام بتبليغ العلم ولو لم يستطع المبلغ أن يتعمق في فهم ما حفظ. وهذا من أعظم الوسائل لنشر العلم واتساع دائرته فكل انسان يفهم ويأخذ مما حفظ بالقدر الذي يستطيعه فلا يُلزم كل

(١) حديث عن أبي هريرة رواه الترمذي وقال حديث حسن (ص ٢٤٦ رياض الصالحين).

(٢) المصدر ذاته ص ٤٨٧.

(٣) الحديث عن زيد بن ثابت وله تتمة ص٥٣ ج ١ الترغيب والترهيب من الحديث (لعبد العظيم المنذري).

حافظ بالفقه، فيتيسّر طلب العلم للصغير والكبير عملاً بمبدأ مراعاة الفروق الفردية كما يسمى في التربية الحديثة. ومما يزيد الإنسان رغبة في طلب العلم على مدى الحياة أنّ ثواب العلماء في الجنة يكون على درجات فكل عالم يطمع أن يعلو بمرتبته في الجنة. ويستزيد من العلم ما بقي في عمره بقية، قال تعالى: ﴿يا أيها الذينَ آمنوا إذا قيلَ لكُم تفسّحوا في المجالِس فافسَحوا يفسح اللهُ لكُم وإذا قيلَ انشزوا فانشُزوا[1] يرفعِ اللهُ الذين آمنوا منكم والذينَ أُوتوا العلمَ درجاتٍ واللهُ بما تعملون خبيرٌ﴾ (المجادلة ـ ١١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن: إقرأْ وارْتقِ ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا. فانّ منزلك عند آخر آية تقرؤها» رواه أبو داود والترمذيّ وقال: حديث حسن صحيح (رياض الصالحين ص ٣٢٠ ط دار القلم بيروت).

فطلب العلم في الإسلام وفي التربية الإسلامية لا يختصّ بصغير دون كبير. ولا بشابّ دون هرم وكل إنسان يزداد تربية وفضلا وعلما ما دام على قيد الحياة.

المبدأ الرابع: تقرير الكرامة الإنسانية:

أ ـ تمهيد:

تقوم التربية في جوهرها على أسس واعتبارات من أهمها النظرة إلى الإنسان وتحديد مهمته في الوجود، ومكانته في هذا الكون، وبحسب سموّ هذه المكانة وعظم المهمة، تكون درجة التربية وأهميتها ونتائجها كما قال الشاعر:

«على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارمُ»

---

(١) اي انهضوا لعمل الخير أو للجهاد «ابن كثير» تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٢٦ دار المعرفة ـ بيروت.

ولذلك كان هذا المبدأ من أهم مبادىء التربية الإسلامية ولما ترتّب عليه من نتائج عظيمة.

ب ـ بماذا كرم الله الإنسان؟

لو رجعنا إلى أسس [1] التربية الإسلامية الفكرية والتعبّدية والاعتقادية لوجدنا أن الإنسان يتبوّأ مكان الصدارة بين مخلوقات الله، ويحظى بقسط كبير من لطف الله وعنايته:

(١) خلقه بيديه وسواه فعدله، ونفخ فيه من روحه، وجعل الكون في خدمته ونظّم الأرض والشمس والقمر تنظيماً يلائم حياته، وسخر له معظم الكائنات وفضّله على كثير ممّن خلق تفضيلا.

(٢) فضله بالعلم والقدرة على التعلم، وبالعقل والقدرة على التمييز والاختيار بين الخير والشر وعلى تزكية النفس. ثم جعله مسؤولا عن هذا التمييز والاختيار مكلفاً أن يسمو بنفسه إلى عبادة ربه والتعرف إليه وطلب مرضاته في كل شأن من شؤون حياته.

(٣) أنزل له الشريعة ليصلح أحواله وينظم علاقاته وحياته الفردية والاجتماعية، ووعده بالخلود في الحياة الآخرة مع أن معظم المخلوقات من حوله صائرة إلى الزوال والفناء.

(٤) أكرمه الله بالإيمان وخاطبه بهذا اللقب العظيم ليذكّره دائماً بأنْ لا قيمة له بدون الايمان ولا استقامة له ولا معنى لحياته.

(٥) أكرمه الله بالانتماء إلى العظمة الالٰهية والانضواء في كَنَف الله وولايته فهدأ بذلك مخاوفه وجعل أولياء الله في أعلى درجات السمّو بالنفس ورباطة الجأش والبعد عن الحزن في الدنيا والآخرة ﴿ألا إن اولياءَ اللهِ لا خوف عليهم

---

(١) بسطنا ذلك في كتاب (أصول التربية الاسلامية وأساليبها) ص ٣٠ ـ ٣٦.

ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتّقون لهم البُشرَى في الحياةِ الدنيا وفي الاخرة﴾ سورة يونس ٦٢.

وقال تعالى: ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهَبَ عنا الحزنَ إنَّ ربَّنا لَغفُور شكورٌ﴾ فاطر ٣٤

(٦) سخر له ملائكة تطمئنه إن استقام وتستغفر له فلا يخاف ولا يحزن وملائكة يحفظونه من أمر الله وملائكة يراقبونه ليكون مسئولا عن أعماله. قال تعالى:

﴿إنَّ الذين قالوا ربُّنا اللهُ ثم استقاموا تَتَنَزَّلُ عليهمُ الملائكةُ ألاَّ تخافوا ولا تَحزَنُوا وأبشِرُوا بالجنَّةِ التي كنتُم توعَدُون نحنُ أولياؤُكُم في الحياةِ الدنيَا وفي الآخرةِ ولكُم فيها ما تَشتهِي أنفُسكُم ولكُم فيها ما تَدَّعونَ نُزُلاً مِن غفورٍ رحيمٍ﴾ (فصلت ٣٠، ٣١، ٣٢).

(٧) خلق الله البشر جميعا من نفس واحدة وجعل العمل الصالح والاخلاص لله مقياساً للتفاضل فيما بينهم، ومقياساً للقرب من الله ولدرجة الانتماء اليه وللعزة والكرامة وعلوّ المكانة في الدنيا والآخرة.

(٨) حقن الله دماء البشر في ظل الدولة المؤمنة بالله المحققة لشريعته، وحفظ أموالهم بهذه الشريعة واعراضهم وانسابهم وابناءهم وعقولهم.

جـ - بعض النتائج التربوية:

(١) وبعد فأيَّ تربيةُ تُنتظَر من ناشيءٍ عرف كرامته ومكانته عند الله؟ لا شك أننا نتوقع منه أعلى وافضل النتائج إذا عرفنا كيف نربيه على أفضل الأساليب اللائقة بكرامته. فاذا عرّفناه أن الله كرمه بالعقل وأمره ان يتدبّر ويتفكّر فيما حوله وجب أن نعمَد إلى تربية عقله ودفعه دائماً إلى حُسن التفكير والاستدلال والتأمل فيما حوله وفي نفسه، للوصول إلى معرفة خالقه... فينمو بذلك عقله وتنمو مواهبه الفكرية.

(٢) وإذا أشعرناه بأن الله فضله بالارادة والتمييز بين الخير والشر والاختيار بينهما وجعل له الشرع مقياساً وميزانا لهذا الاختيار وجعله مسؤولا يوم القيامة عن كل أعماله فان عمل خيرا كان ثوابه الجنة وإن عمل شراً كان عقابه أليماً في جهنم، إذا ربيناه على ذلك أصبحت تربيته وحياته قائمة على الشعور بهذه المسؤولية عن أعماله. وسيجنّد عقله ويرهف مشاعره وينمي احساسه ليبتعد عن كل شر ويسعى إلى كل خير. وبهذا ينمو شعوره الديني وضميره وحسه الخلقي ويراقب ربّه ويخشاه ويستقيم سلوكه في هذه الحياة.

(٣) وإذا أعلمناه بمكانته عند الله ان هو آمن واستقام فقد منحناه ثقة بنفسه واعتزازاً بخالقه وشعوراً بكرامته وبعداً عن أي خوف أو تردّد أو عبث أو شعور بالضياع أو الحيرة أو الارتباك.

ولقد بدا أثر هذا المبدأ واضحاً منذ عهد الرسول ﷺ وصحابته وخلفائه من بعده في تربية كل من النساء والرجال.

فأما النساء فيتّضح ذلك في مثال نورده من أسئلة بعض الصحابيات لرسول الله ﷺ: عن ابن عباس في حديث طويل قال في آخره «ثم جاءته امرأة فقالت: يا رسول الله اني رسول النساء إليك وما منهن امرأة علمت أو لم تعلم الا وهي تهوى مخرجي إليك».

(الله رب الرجال والنساء والهمن وانت رسول الله، وإلى الرجال والنساء. كتب الله الجهاد على الرجال. فان أصابوا أثروا وان استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون. فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة)؟

قال: «طاعة ازواجهن والمعرفة بحقوقهن وقليل منكن من تفعله» رواه الطبراني وروى نحوه البزار[١].

وهكذا أصبحت المرأة التي كانت في الجاهلية تُوأَدُ وتورث ولا تملك من أمرها شيئاً ـ وقد شعرت (بتربية الإسلام لها) بكرامتها ـ أصبحت تطالب

---

(١) الترغيب والترهيب لعبد العظيم المنذري. ج ٣ ص ١٠ ط دمشق.

بالعدل في الطاعات والعبادات بينها وبين الرجل، فبين لها رسول الله ﷺ انّ تحقيقها لأنوثتها في منزلها وفي طاعة زوجها يعدل عند الله جهاد الرجال وأعمالهم التي لا تعملها النساء...

وفي هذا تمام شعور المرأة بكرامتها، ذلك أن الله جعل لها فيما تقدر عليه بحكم طبيعتها الأنثوية من الثواب مثل ما خص به الرجال مما يقدرون عليه برجولتهم كالجهاد. وأما الرجال فكان الرجل منهم يقول لأكبر حاكم في زمانه «والله يا عمر لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقوّمناك بحد سيوفنا» فيحمد عمر ربه.

د ـ الكرامة الإنسانية وتحرير البشرية من قيودها:

ان بناء التربية الإسلامية على مبدأ تقرير الكرامة الإنسانية معناه تحرير الإنسان من كل قيد زائف يبدد طاقاته أو يستغلها في غير مصلحته. فالكرامة الإنسانية في الإسلام هي تربية الإنسان على التحرر من ظلم الإنسان. لأن الله كرم الجميع بالانتماء إليه وولايته وعدله وخلقهم متساوين أحراراً ففيم الذل وفيم الظلم وفيم الخضوع لغير ما أمر الله؟ وفيم يستعبد الإنسان أخاه الانسان؟

(٢) ويعني هذا المبدأ تربية عقل الإنسان على التحرر من الخرافات فلا يقبل شيئاً بدون برهان ولا يعمل في غير ما خُلق له من الاستنباط والاستدلال الصحيح على وحدانية الله بالأسلوب السليم.

(٣) وشعور الإنسان بكرامته يعني تحرير قلب الإنسان وعواطفه وانفعاله من القلق والمخاوف لأنه ربّي على اللجوء إلى أعظم قوة فماذا يخاف بعد الانتساب إلى الله؟

(٤) ويعني هذا الشعور تربية المجتمع على التحرر من الزعامات الزائفة والشفعاء المستغلّين والدجالين الذين يزعمون الوساطة بين الله وخلقه. قال تعالى: ـ

﴿وإذا سألكَ عِبادي عنّي فإنّي قريبٌ أجيبُ دعوةَ الداعي إذا دعان

فَلْيَسْتَجِيبُوا لي وليؤمنوا بي لَعلَّهم يَرشُدون...﴾ (البقرة - ١٨٦).

(٥) كما يؤدي هذا المبدأ إلى تربية الإنسان على التحرر من العبث واللّهو والتخلص من استعباد الشهوات والملذات التي تقيد العقل فلا ينظر إلا بمنظارها، فإذا عرف أن الله ما خلقه عبثاً. بل خلقه ليختبره ويجازيه بأعماله وانه راجع اليه، لم يعد ثَمّ مجال للاستغراق في الملذات ونسيان الواجب قال تعالى: ﴿أفحسبتُم أنما خلقناكُم عبثاً وأنكُم إلينا لا تُرجَعونَ؟ فتعالى اللهُ الملكُ الحقُّ لا إلٰهَ إلا هو ربُّ العرش الكريم...﴾.

(٦) وإذا ربى الانسان على الشعور بهذه الكرامة نظر إلى المخلوقات الأخرى التي حوله نظرة تعقل وترفع فعرف أسرارها وسخرها لفائدة المجتمع البشري ولمصلحة الإنسانية بدلا من أن يخافها أو يستذل أمام قواها الجبارة.

(٧) وبهذه التربية على مبدأ الكرامة الإنسانية ينظر الإنسان إلى أخيه الإنسان نظرة احترام وتعاون ومساواة لا نظرة استعلاء أو تذلل، فتنتفي المظالم، ويصبح الناس سعداء يعرف كل منهم حدّه وواجبه..ويعرف كيف يتعاون ويتشاور مع أخيه الإنسان في ظل هذه العقيدة السامية. والتربية الإسلامية.

(٨) وبهذا المبدأ رُبيت المرأة على التحرر من قيود العبودية التي قيدها بها الرجل في الجاهلية، فأصبحت تشعر بمساواتها بالرجل من حيث المبدأ والمسؤولية والثواب، وتستأمر فيمن تتزوج عندما تخطب، وتتصرف بما لها إن كان لها مال. وتسأل رسول الله ﷺ عما تفعله لتحقق التسابق في طاعة الله مع الرجال. ولتحظى بالذكر عند الله وقد رأينا في حديث ابن عباس سؤال رسول النساء لرسول الله ﷺ في سبيل تحقيق التسابق في طاعة الله مع الرجال وكيف فتح لها الرسول هذا المجال وها هوذا مثال آخر: سؤال من إحدى زوجات رسول الله ﷺ كان جوابه قرآنا أنزله الله من فوق سبع سموات في شأن النساء، ليبيّن لهن التكافؤ في ثواب الأعمال مع الرجال:

عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ :

« يا نبيّ الله مالي أسمع الرجال يذكرون في القرآن والنساء لا يذكَرْنَ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات، والصائمين والصائمات، والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً » (الأحزاب آية ٣٥)(رواه النسائي[١])

وهكذا أصبحت المرأة تعتز بطاعة الله لانها عند الله هي والرجل سواء - كلٌّ يحاسب بعمله . فإن سبقت بعض الرجال بالعبادات والطاعات كانت منزلتها عند الله أعلى . . . وعلى هذا الأساس من التسابق في الخيرات أقيمت التربية الاسلامية للرجال والنساء . ولا يخفى أثر الأم، التي تعتز بكرامتها ، في تربية أولادها على العزة والكرامة . . . والصدق والاستقامة

٥ ـ مبدأ الذاتية :ـ

أ ـ تعريف

يقوم هذا المبدأ في التربية الحديثة على جعل المتعلّم يعتمد على نفسه وطاقاته وجهده الذاتي في تحصيل المعرفة والوصول الى التعلّم . وينطلق هذا المبدأ في التربية الإسلامية من مبدأ الكرامة الإنسانية . فتزويد الإنسان بالعقل وحرية الاختيار والتمييز بين الخير والشر، اقتضى أن نتركه يعتنق العقيدة الإسلامية بقناعته الشخصية دون اجبار أو فرض أو تعطيل للعقل أو منعه من التفكير والاستدلال . لذلك نجد القرآن يتّخذ أحياناً موقف المربي الذي يثير العقل فيضعه أمام سؤال يبعث على التفكير والتأمّل ثم يتركه ليجيب بنفسه - ويهتدي

---

(١) تفسير القرآن العظيم للامام الجليل اسماعيل بن كثير ت ٧٧٤ هـ (ج ٣ ص ٤٨٧) الناشر دار المعرفة - بيروت .

إلى الايمان بالله وهذا جوهر التربية الذاتية كما في قوله تعالى: ﴿أفلا ينظرونَ إلى الابلِ كيف خُلقت؟ وإلى السماءِ كيفَ رُفعَت؟ وإلى الجبالِ كيفَ نُصبَت؟ والى الأرضِ كيفَ سُطِحَت؟ فَذكِّر إنّما أنت مذكّر لستَ عليهم بمُصَيطر﴾ (الغاشية: الآيات من ١٧ الى ٢٢) وهكذا يضع العقل أمام هذه المظاهر الكونية ويتركه، ليستدل بنفسه على وحدانية الله وعظمته، وكقوله تعالى ﴿لا إكراه في الدّين قد تبيّن الرّشدُ منَ الغيّ فمنْ يَكفُر بالطاغوتِ ويؤمنْ باللهِ فقد استمسك بالعروة الوُثقى لا انفصامَ لها واللهُ سميعٌ عليمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٦) وقال تعالى ﴿أم خُلقوا من غير شيءٍ؟ أم همُ الخالقونَ؟ أم خَلَقوا السماوات والأرض؟ بل لا يوقنون﴾(الطور: ٣٥، ٣٦)،وهنا يضع القرآن العقل امام مشكلة كونية كبرى فيسأل الانسان هل خلق نفسه؟ وهل خلق من غير خالق؟ ثم يتركه ليفكر في الجواب وليهتدي بنفسه إلى أنه لا بد من خالقٍ للإنسان وللسموات والأرض.

ب ـ التربية بالممارسة والعمل:

ويتجلّى أثر هذا المبدأ التربوي في بعض أساليب التربية الإسلامية كأسلوب التربية بالممارسة والعمل[1] فقد كان رسول الله ﷺ يترك للصحابي أحياناً أن يصحح خطأه بنفسه وإذا عجز علّمه كما في حديث المسيء صلاته:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: ان رجلا دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد. فصلّى. ثم جاء فسلم عليه. فقال له رسول الله ﷺ (وعليك السلام.. ارجع فصلّ فانك لم تصلّ). فصلى ثم جاء فسلم فقال: (وعليك السلام فارجع فصلّ فانك لم تصلّ) فصلى ثم جاء فسلم فقال (وعليك السلام فارجع فصلّ فانك لم تصلّ).

فقال في الثانية أو في التي تليها (علمني يا رسول الله)! فقال: (إذا قمت

---

(١) كما هو موضح في كتاب أصول التربية الاسلامية وأساليبها: الفصل الخامس: التربية بالممارسة والعمل ص ٢٣٥.

إلى الصلاة فاسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر . . . .) الحديث[1] رواه البخاري ومسلم. وقد حاول الرسول ﷺ في أول الأمر أن يعلم الصحابي الاعتماد على نفسه في تصحيح الخطأ. فلما لم يقدر، واستعان برسول الله ﷺ، كان ذلك دليلاً على رغبته الذاتية في التعلّم وهذا من أروع الأمثلة على تحقيق مبدأ الذاتية في التربية.

وهاك: مثلاً آخر موضوعه تربية الكرامة والاعتماد على النفس في طلب الرزق، بطريق تحقيق مبدأ الذاتية.

« عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً من الانصار أتى النبي ﷺ فسأله، فقال: (أما في بيتك شيء؟) قال: (بلى حِلْسٌ(★) نلبس بعضه ونبسط بعضه. وقعب نشرب فيه الماء) قال: (ائتني بهما) فأتاه بهما. فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: (من يشتري هذين؟) قال رجل: (أنا آخذهما بدرهمين) فأعطاهما إياه واخذ الدرهمين واعطاهما الأنصاريّ وقال: (اشتر بأحدهما طعاماً، فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوماً فائتني به) فأتاه به، فشد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده ثم قال: (اذهب فاحتطب وبع. لا أرَيَنك خمسَة عشر يوماً) ففعل، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً. فقال رسول الله ﷺ: هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة » رواه أبو داود والبيهقي[2] ولهذا المبدأ نتائج تربوية منها:

١ ـ غرس التواضع وحب العمل في النفس وترك الكسل والتواكل.

٢ ـ تعزيز مبدأ الكرامة الإنسانية وإشعار الناشيء بكيانه وثقته بنفسه.

٣ ـ تعزيز مبدأ المسؤولية الفردية واشعار الناشيء بأنه مسؤول عن عمله النابع من ذاته.

---

(١) الترغيب والترهيب من الحديث ج ١ ص ١٥ ـ ١٥٥ ط دار احياء الكتب العربية بمصر.

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ج ١.

(★) الحلس بالكسر كساء على ظهر البعير تحت البرذعة ويبسط في البيت تحت حَرّ الثياب (كما في القاموس المحيط).

٤ ـ تحقيق الشخصية القوية، والظهور بالمظهر اللائق أمام الجماعة. وكسب احترام الآخرين.

جـ ـ نتائج تربوية تاريخية

ومما يوضح تطبيق مبدأ التربية الذاتية في تاريخ التربية الإسلامية:

١ ـ اتاحة المجال للسؤال من أجل الاقتناع منذ عهد الرسول ﷺ. فكانت احدى النساء تسأل عن علة بعض الأحكام التي اطلقها رسول الله ﷺ على النساء كما ثبت عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال:

« يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار ـ فاني رأيتكن أكثر أهل النار » فقالت امرأة منهن جزلة (وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟) قال: « تكثرن اللعن وتكفرن العشير. ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لبّ منكنّ » قالت يا رسول الله ما نقصان العقل والدين؟ قال: (أما نقصان عقلها فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل. وتمكث الليالي لا تصلي، وتفطـــر في رمضان فهذا نقصان الدين). رواه مسلم في صحيحه فبيّن لها رسول الله ﷺ كل ما سألت عنه.

٢ ـ واستمرت حرية الطالب في السؤال والمناقشة بعد رسول الله ﷺ في حلقات التربية والتعليم في المساجد وكان للطالب حرية مطلقة في ابداء رأيه أمام أستاذه. وفي الذهاب إلى غير ما يرى أستاذه ان كان له من الأدلّة الصحيحة ما يؤيده فكان رأي الطالب محترماً ما دام يستند الى البرهان والدليل.

٣ ـ وقامت أساليب تعليم القرآن في الكتاتيب على إسناد تعليم المبتدئين الجدد إلى من سبقهم من الطلاب النابهين. فكان الطالب يعلّم ذاته بتكرار القرآن على مسمع أستاذه. ويعلّم من هو أدنى منه لتنمو ذاته. ويشعر بمكانته بين المتعلمين.

الفصل الثالث

خصائص التربية الإسلامية

١ ـ التربية الإسلامية ربّانيّة
٢ ـ التربية الإسلامية ثابتة الأُسس
٣ ـ التربية الإسلامية موافقة للفطرة
٤ ـ التربية الإسلامية شاملة لجوانب الحياة باعتدال وتوازن
٥ ـ التربية الإسلامية موحّدة للطاقات البشريّة
٦ ـ التربية الإسلامية عالمية
٧ ـ التربية الإسلامية متفائلة إيجابيّة فعّالة

تمهيد

تمتاز التربية الإسلامية، عن سائر أشكال التربية الأخرى بخصائص مشتقة من خصائص الإسلام نفسه، فكما أن الإسلام من عند الله، ثابت موافق للفطرة البشرية شامل، عالمي، ميسر التطبيق، ايجابي، موحد لطاقات البشر، أصيل قائم بنفسه كذلك التربية الإسلامية فهي: ربانية المصدر، ثابتة الأسس، موافقة للفطرة، شاملة شمول الإسلام، معتدلة متوازنة، عالمية، مرنة التطبيق، متفائلة ايجابية، موحدة للطاقات البشرية في نطاق الفرد والجماعة كاملة، ذات أصالة وفضل على جميع أشكال التربية في العالم.

وسنعالج كل طائفة من هذه الخصائص على حدة ونورد أدلتها وبراهينها من القرآن والسنة، ومن الوقائع والمقارنات العلمية.

١ ـ التربية الإسلامية تربية ربانية:

لو تأملنا فطرة الإنسان العقلية والانفعالية لوجدنا أنها فطرة ربانية[1] ذلك

---

(١) سنفصل القول والبرهان على ذلك عند بحثنا لخاصة أخرى من خصائص التربية الاسلامية وهي (موافقتها للفطرة).

أنها تدل الإنسان بالبداهة والحدس على ضرورة الخضوع لقوة تسمو على هذا الكون، وهي التي أوجدته بهذا الاحكام والاتقان، والابداع والجمال والتناسق، فلا حادث بلا محدث والكون مملوء بالحوادث كالليل والنهار وهذه القوة تدبر شؤونه بحكمة، وتسيّر أجرامه وجزئياته بحسبان.. انها قوة الرب وحكمته وابداعه...

أ ـ فالتربية الإسلامية ربانية من حيث البداية.

فهي تبدأ بتعريف الناشيء على قدرة الرب جل جلاله وصفات كماله ونعمه عن طريق تأمل الكون وقوى الطبيعة وجميع الكائنات من حوله، منذ أن يكتمل وعيه وينضج عقله ويصبح قادراً على ذلك.

ب ـ والتربية الاسلامية ربانية من حيث الهدف والغاية

فهي باعتمادها على فطرة الناشيء تبرهن له، إذْ تَلفِت نظره. إلى ظاهرتي الموت والحياة، وإلى انه لم يكن يملك أن يوجد نفسه بالشكل الذي يريد ولا أن يجيء الى الدنيا بارادته، أو يرحل عنها برغبته، تبرهن له على أنه تابع في وجوده وفنائه وصحته، ومرضه وسعادته أو شقائه، إلى قوة أسمى وأقدر منه، وإلى مشيئة مطلقة فوق مشيئته وارادته، انها قوة الله ومشيئته، وإلى جانب هذه التبعية الخَلقية القدرية للقدرة الربانية القاهرة التي تفوق سلطة الإنسان، تبين لنا التربية الإسلامية عناية الله بالإنسان من خلال تأمل ما سخر الله لحياته من الكائنات التي يتعامل معها أو يخضع لها: من أمطار وأنهار وزروع وبحار، وغلاف جوي يحيط بالكرة الأرضية ليكون للإنسان كالماء للسمك، وقد ركب تركيباً يحافظ على حياة الإنسان، ومن تربة صالحة لاستقرار الإنسان وسكنه وزرعه وأمنه، ورزقه وسعادته...

وهذه العناية الإلهية لم تترك الإنسان حيران يتساءل عن حياته وموته وعلاقته

بالكون وبأخيه الإنسان! بل أرسل الله الرسل بشريعته وهداه ووحيه الذي ينظم للانسان كل حياته وأهدافه وعلاقاته فالتربية الإسلامية ربانية الهدف، حين تعلق قلب الناشيء بطلب رضى ربه الذي أوجده، وسيّر أموره وأحاطه بنعمه، وتنظم سلوكه في حدود الشريعة التي شرعها الله، وتربّيه على الخضوع والانقياد إلى خالقه الذي يعلم سريرة نفسه وطبيعة تركيبه وكيانه الإنساني، وعلى الحذر من أن يكون عبداً تابعاً خاضعاً لغير خالقه كالبشر الطغاة ذوي المطامع والأهواء، أو كالقوى والكائنات فهي تبين أن هدف الإنسان الأول هو السمو بالنفس وتزكيتها لتصل إلى ارضاء بارئها عن طريق طاعته واتباع شريعته . . .

جـ ـ والتربية الاسلامية

ربانية في أساليبها ومصادرها ووسائلها ووسائطها كما رأينا ذلك في حينه[1].

د ـ أثر هذه الخاصة التربوية:

١ ـ على أن أهم نتائج هذه الميزة الربانية تجلّت لنا في التربية الإسلامية على احترام النظام والقانون. ذلك أن مراقبة الرب والخوف من جلاله وقدرته، ومن المثول بين يديه يوم الحساب يجعل الناشيء المسلم أرقى أهل الأرض وأعظمهم اخلاصاً في تطبيق النظام الإلهي والتشريع الرباني وفي طاعة الحكام والساسة وأولي الأمر ما داموا يأمرون بطاعة الخالق.

٢ ـ ورأينا من نتائجها أن توحيد الرب في الالوهية من قبل جميع أبناء الأمة يجمع قلوبهم تحت لواء هذا الرب، ويوحد مشاعرهم وتصوراتهم المشتركة فيؤلفون أقوى مجتمع عرفته الإنسانية.

---

(١) أنظر كتاب أصول التربية الاسلامية وأساليبها للمؤلف. وقد بسطنا هنا ربانية المصادر، في مقدمة الكتاب.

٣ ـ وهذه الميزة تحرر العقول من الانحراف والزيغ والخرافة والوهم فلا تقبل شيئاً الا مدعوماً بالبرهان والدليل كما يأمر الرب جل جلاله.

٤ ـ وسنرى أن هذه الميزة تنبثق عنها ميزات أخرى كثيرة فعنها نتجت ميزة (توحيد طاقات الفرد والجماعة) وعنها انبجست ميزة (العالمية)، و (الفطرية)، و (التفاؤل والايجابية) و (الأصالة والفضل على جميع أشكال التربية) وأول ما سنبحثه من هذه الآثار خاصة (الثبات).

٢) التربية الإسلامية ثابتة الأسس:

أ ـ إذا عرفنا علم الله بخفايا النفس الانسانية، وابداعه في احكام وظائف هذه النفس، وتدبيره في اتمام تناسقها وتكاملها. أيقنا بأن التربية التي تستمد مبادئها ومناهجها من كلام الله وشريعته ستبقى ثابتة على مدى الأجيال، جديدة لا يبليها مر الزمان. «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير»؟ ولا يغير من صلاحها تطور حضارة الانسان. فالنفس الإنسانية في أعماقها وطبيعتها لم تتغير منذ أن خلقها الله وأودعها شهواتها وغرائزها وأسباب صلاحها ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ وجعل لها السمع والبصر والفؤاد وجعلها تشعر بمسئوليتها وتتساءل عن مصيرها وتهفو الى معرفة خالقها وتسبيحه وتقديسه وعبادته. «فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله» (الروم ٣٠)

ب ـ والتربية الإسلامية كانت وستبقى مجموعة من المبادىء والمناهج والأساليب المستقاة من شريعة الله والتي من شأنها أن تصوغ كل جيل يعتنقها من أجيال البشرية صياغة ربانية تكفل له السعادة وتسمو به نحو كماله وصلاحه شيئاً فشيئاً، حتى يحقق عبادة الله ويقيم شريعته في الحياة الفردية والاجتماعية والإنسانية وبذلك يحقق صلاحه وسعادته... لذلك كان من معاني ثبات التربية الإسلامية أنها متينة الأركان والجذور لا تزعزعها

النكبات ولا تهددها العواصف. فإذا اتّضحت اهدافها للكائن البشري، واتجه بجوارحه وسلوكه نحو تحقيق هذه الأهداف، وجد حلاوة وطلاقة وارتياحا وسعادة لا يريد معها أن يحيد عن نهج هذه التربية القويم، ولا تصرفه عنها صوارف المصلحة العاجلة أو الشهوة المنحرفة أو الهوى أو تغيّر الحكام أو الظروف المعاشية..

والتاريخ خير شاهد على هذا، فلقد كانت الفتوحات قبل الفتح الاسلامي تستهدف غاية قومية (أعني مصلحة خاصة دنيوية للقوم الفاتحين) أو اقتصادية أو عسكرية فكانت تلك الفتوحات ينحسر ظلها وتضيع معظم آثارها النفسية أو الثقافية بعد أن تستكمل غايتها المؤقتة، أو تضعف عن استكمالها. أما الفتح الإسلامي الذي كان يستهدف نشر الدين الإسلامي عن طريق التربية الإسلامية، فقد بقيت آثاره التربوية ثابتة إلى يومنا هذا. وبقيت الأجيال التي فُتحت بلادُها وفتحت معها قلوب تلك الأجيال وعقولها للنور الإلهي الذي بعث فيها الدفء والنشاط واستقرت آثاره في حضاراتها وأنماط حياتها الفردية والإجتماعية. بقيت تتابع اعتناق التربية الإسلامية الجيل تلو الجيل ولعل السبب الرئيسي لهذا الثبات النفسي والتاريخي والحضاري الذي اتصفت به التربية الإسلامية يرجع إلى خاصة من أهم خصائص التربية الإسلامية هي أن:

٣ ـ التربية الاسلامية موافقة للفطرة:

أ ـ تمهيد وتعريف: الفطرة هي الخصائص التي طبعت وجبلت عليها النفس الانسانية والتي بازدهارها تزدهر النفس، وباهمالها تذوي النفس الانسانية فتفتر همة الانسان، وتضطرب حياته وتنحرف المجتمعات فيخرب بعضها بعضا وتهدّد الحضارة بالدمار والخراب...

وذلك أن خصائص الفطرة ثابتة أصيلة نابعة من أعماق النفس لازمة لها

لزوم الحياة. وقد جاء الاسلام لترسيخ هذه الفطرة وانعاشها ﴿فَأَقِم وجهَكَ للدّين حَنيفاً. فِطرةَ اللهِ الّتي فَطَرَ الناسَ عليها. لا تَبديلَ لخَلقِ اللهِ. ذلكَ الدينُ القيّمُ ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمونَ﴾ (الروم ٣٠) وسنبحث أهم الجوانب الفطرية التي ترعاها التربية الاسلامية.

ب ـ الدين من لوازم النفس الانسانية فطرت عليه والانسان يولد وهو مزود بالاستعداد للدين. ثم يبدأ هذا الاستعداد الفطري في بروزه وتفتحه عندما يتساءل الانسان عن كل ما حوله، وهاك البرهان على ذلك:

١ ـ الدين من لوازم العقل البشري

من الثابت لدى جميع الفلاسفة ان العقل مفطور على التساؤل والبحث عن الحقيقة، فهو يطرح مثل هذه الأسئلة: «ما العالم؟ وما الانسان؟ من أين جاءا؟ ومن صنعهما؟ من يدبرهما؟ ما هدفهما؟ كيف بدءا؟ وكيف ينتهيان؟ ما هي الحياة؟ وما الموت؟ وما القانون الذي يجب أن يقود عقولنا أثناء عبورنا في هذه الدنيا؟ أي مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة؟ هل يوجد خلود بعد هذه الحياة الغابرة؟ وما علاقتنا بهذا الخلود؟».

«هذه الأسئلة» لا يوجد أمة ولا شعب ولا مجتمع الا وضع أو اقتبس من الوحي حلولاً لها ذات علاقة بالدين (أي بالخضوع لذات غيبية علوية) وأحسّ بضرورة الايمان بهذه الحلول. لهذا قال هنري برغسون (لقد وجدت وتوجد جماعات انسانية من غير علوم وفنون وفلسفات. ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة) فالرغبة الظامئة الى الاستزادة من المعرفة. وحب الوصول الى اليقين أمام تساؤل العقل عن المشكلات الكونية الكبرى مع عجز

الانسان عن الوصول الى حل شاف لهذه المشكلات بدون اللجوء الى الايمان والاعتقاد والوحي. كل ذلك يدل على أن النفس الانسانية مفطورة على التدين والخضوع الى الذات الالهية والتسليم لها بالعلم والقدرة والكمال[1]».

٢ ـ الدين ومبادىء العقل:

يقوم التفكير على ثلاثة مبادىء: مبدأ الثبات وعدم التناقض، ومبدأ السببية ومبدأ الغائية، فالعقل مفطور على الاستدلال والبحث عن الأسباب والغايات:

لهذا نجد أن الدين الاسلامي لم يفرض الجواب على هذه المشكلات الكونية فرضا بغير دليل، بل ساير فطرة العقل وبدأ معه من تأمل ما حوله تأملا استدلاليا يوصله بالرضا والقناعة الى الاقرار بوجود الله وقيوميته على الكون ووحدانيته وحكمته وابداعه وعظمته وسائر صفاته الكمالية، كما يوصله الى الايمان باليوم الآخر باسلوب منطقي فطري نابع من فطرة العقل وطبيعته.

ويعتمد القرآن على اصل من أصول التفكير الانساني فقد بنى العقل الانساني على البحث عن الأسباب فهو يؤمن بالبداهة والحدس العقلي بأنْ لاَ حادث من غير محدث. ولذلك يسأل الله الملحدين سؤالا يفحمهم ويبهتهم: ﴿أَمْ خُلِقُوا من غيرِ شيءٍ؟ أم همُ الخَالِقُونَ؟ أَم خَلَقُوا السمٰواتِ والارضَ؟ بل لا يُوقِنُونَ﴾ فهذا الانسان الذي وجد بعد ان لم يكن: أهو أوجد نفسه؟ هذا

---

(١) عبد الرحمن النحلاوي: أسس التربية الاسلامية وطرق تدريسها (دار الفكر دمشق) ص ٦ ـ ٧.

يكذبه الواقع وهل وجد من غير موجد؟ وهذا تكذبه البداهة والفطرة العقلية فهو مستحيل عقلا اذن لا بد له من موجد وكذلك فان من مبادىء الفكر الانساني التي فُطر عليها: (التفكير الغائي) أي البحث عن الغاية والهدف من كل تنظيم واتقان وابداع. فهذا الكون العظيم المتقن، والانسان الذي خلقه الله في احسن تقويم هل وجد عبثا؟ من غير هدف؟ ﴿أَفَحَسِبْتُم أَنَّما خلقناكُم عَبَثاً وأَنَّكُم إلينَا لا تُرجَعُون؟ فَتَعَالىٰ اللهُ المَلِكُ الحَقُّ لا إلٰهَ الاّ هُو ربُّ العرشِ الكريمِ﴾ (المؤمنون ١١٥، ١١٦) وهكذا ينتقل الانسان بالحسّ والمشاهدة من الكائنات ومن تأمل حياته الى الاستدلال على الخالق وعلى ابداعه واحكامه فيما خلق ثم الى الاستدلال على اليوم الاخر لان الدنيا لا بد لها من غاية ﴿أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت، فذكّر انما أنت مذكّر﴾ فهذه المرئيات والتأملات تذكر الانسان بالخالق لانه مفطور على الاستنباط العقلي والانتقال من المشهود والمحسوس الى المعقول والى المغيّب.

٣ ـ والنفس بانفعالاتها مفطورة على التدين:

فالانسان أمام الأمواج العاتية، حين يهدده الغرق في وسط البحر، لا يشعر الا بقوة واحدة عليا يستغيث بها من أعماق نفسه مهما كان منكرا لها قبل هذا الموقف، هي الذات الالهية. ﴿وَإذَا مسّكُمُ الضُّرُّ في البَحرِ ضَلَّ مَن تدعُونَ إلاَّ اياهُ، فَلمّا نجّاكُم إلَى البرِّ أعرضتُمُ؟ وكانَ الانسانُ كَفُورا﴾ (الاسراء ٦٧)

وكذلك لا تجد النفس الانسانية امام الزلازل والاعاصير المدمّرة

والفيضانات الكبرى والصواعق ونحو ذلك مما لا يملك البشر التحكم به، الا أنها تشعر بقدرة عظيمة فوق قدرة البشر، ﴿قل هو القادرُ على أن يبعثَ عليكُم عذابا من فَوقِكُم أو مِن تَحتِ أرجُلِكُم، أو يَلبِسَكُم شِيَعاً ويُذيقَ بعضَكُم بَأسَ بَعضٍ. انظُر كَيفَ نُصَرِّفُ الآياتِ لعلَّهُم يفقَهُونَ﴾ (الانعام ٦٥).

والموت الذي نراه كل يوم هل نملك ردّه عن انفسنا أو عن أي عزيز علينا، أو عن أحب حبيب الينا؟ وهل يستطيع أحد رد الروح الى الجسد في هذا الموقف الرهيب؟ ﴿فلولاَ إذَا بَلَغتِ الحُلقومَ(*) وأنتم حينئذٍ تنظرونَ(*) ونَحنُ أقربُ اليهِ منكُم ولكنْ لا تُبصِرونَ(*) فَلَولا إن كُنتُم غيرَ مدينينَ(*) تَرجِعُونها إن كُنتُم صادِقين﴾؟

جـ ـ الاسلام والدوافع الفطرية:

ومن فطرة الانسان أنه يحب المال، ويحب الزوجة ويحب الولد ويتمسك بالحياة ويتوق إلى الخلود ويسعى الى الرفاهية في الحياة، وكل هذه الأمور دوافع فطرية تدفعه الى السعي والنشاط والكدح، فماذا كان موقف التربية الاسلامية من هذه الدوافع؟

لم تطلب منا التربية الاسلامية أن نروض أنفسنا على احباط هذه الدوافع أو اضعافها. بل طلبت أن ننمّيها باتجاه الخير للمجتمع، وارضاء الله ليحققها لنا في حياة أسمى من هذه الحياة: في جنات النعيم. وهذا أفضل أسلوب للسمو بالدوافع فالمال ننمّيه لننفقه على الخير فيخلفه الله علينا في الدنيا والاخرة أضعافاً مضاعفة ﴿مَن ذَا الذي يُقرِضُ اللهَ قَرضاً حَسَناً فَيُضاعِفَه لَه أضعافاً كثيرَةً﴾؟ (البقرة ٢٤٥).

والحياة التي نكدّ ونكدح لرفاهيتها، قد نبذلها رخيصة في سبيل حياة

خالدة حقاً وما دام الموت آتياً لا محالة فلماذا لا نسخّر هذه الحياة للفوز بالنعيم في تلك الحياة ﴿إنَّ اللهَ اشترىٰ مِنَ المؤمنينَ أنفسهم وأموالَهم بأنَ لَهُم الجنَّةَ﴾[1] والولد الذي نحنو عليه ونفضّله على أنفسنا يجب أن ننجو به من عذاب الله فنربّيه على تحقيق شريعة الله واجتناب نواهيه ان كنا نحبه حقا وقل مثل هذا في جميع الدوافع والميول الفطرية والمكتسبة . . .

وبهذا تعمل التربية الاسلامية على ازدهار الجنس البشري، وضمان سعادته وانتشار حضارته وتحقيق رفاهيته، عن طريق تعبئة طاقاته ودوافعه وتوحيدها، وتوجيهها الى الأفضل والأسمى، وتبرئتها من البطش والأثرة، وتهذيبها للخلاص من وحشيتها وطغيانها . . . .

٤ ـ التربية الاسلامية شاملة لكل جوانب الحياة باعتدال وتوازن:

أ ـ **فهي تنمي الطاقات الفكرية** اذ تدعو الانسان الى التأمل في خلق السموات والأرض والاستدلال على عظمة الله واستخدام كل ما سخّر الله للانسان في هذا الكون وهذا يعني أن يعرف الانسان سرّ هذه الكائنات ونظامها ليسخرها فيما سخرها الله له فهذه دعوة الى البحث العلمي، والتطبيق التقني .

ب ـ وهي تربي في الوقت ذاته الميول والدوافع الفطرية دون أن تهمل أيّاً منها ودون أن يطغى بعضها على بعض، والأدلة على ذلك موفورة في القرآن والسنة فقد رغب عبد الله بن عمرو بن العاص أن ينقطع لعبادة الله، قال: « كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة » قال: فَإمّا ذُكِرتُ للنبي ﷺ، وَإمّا أرسلَ اليّ فأتيته فقال (ألم أُخبَر أنك تصوم الدهر

---

(١) التوبة ١١١ .

وتقرأ القرآن كل ليلة) ؟ فقلت (بلى يا نبي الله ولم أرد بذلك الآ الخير) قال (فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام) فقلت (يا نبي الله اني أطيق أفضل من ذلك) قال (فان لزوجك عليك حقا ولزورك عليك حقا ولجسدك عليك حقا) رواه مسلم[1] .

وفي رواية للبخاري ومسلم عنه ايضا قال (قال لي[2] رسول الله ﷺ انك لتصوم النهار وتقوم الليل ؟ » قلت « نعم » قال « انك اذا فعلت ذلك هجمت[3] له العين ونفهت[4] له النفس : لا صام من صام الأبد) وهكذا أمر رسول الله (ﷺ) بالاعتدال ونهى عن المبالغة في العبادة وأراد للمسلم أن يحفظ لجسمه حقه فلا يرهقه بما لا يطيق، وأن يحفظ لشهوته وزوجه حقها، فلا ينشغل عنها بقيام الليل كله بالصلاة. وهكذا تقوم التربية الاسلامية على الاعتدال والتوازن بين مطالب الغريزة والجسم ومطالب العبادة والروح فلا يطغى أحدهما على الآخر.

جـ ـوتشمل التربية الاسلامية جميع الطاقات الانفعالية والعاطفية وتوجهها باعتدال وتوازن كما شملت جميع الميول والدوافع الفطرية ووجّهتها.

فمن اعظم ميزات القرآن أنه يثير هذه الانفعالات ويربّيها[5] فقد وصف الله تعالى كتابه مبينا تأثيره الانفعالي على المؤمنين حين يتلونه فقال:

---

(١) ، (٢) الترغيب والترهيب من الحديث لعبد العظيم المنذري ج ٢ ص ٣٩ (من كتاب الصوم) ط دار احياء الكتب العربية بمصر على ذمة محمد هاشم الكتبي وشركاه بدمشق.

(٣) هجمت العين: أي غارت وظهر عليها الضعف

(٤) نفهت النفس: كلت وملت وأعيت.

(٥) للقرآن أساليب رائعة في تربية الانفعالات والعواطف منها، القصة، والحوار والموعظة، والعبرة... وقد شرحت كل هذه الاساليب في (أصول التربية الاسلامية وأساليبها).

﴿الله نَزَّلَ أحسنَ الحديثِ كتاباً مُتَانِيَ تَقشَعِرُّ منهُ جلودُ الذينَ يَخشَونَ رَبَّهُم، ثُم تَلينُ جُلودُهُم وقُلوبُهُم إلىٰ ذِكرِ اللهِ. ذَلكَ هُدَى اللهِ يَهدِي بِهِ مَن يَشاءُ ومَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَما لهُ مِن هادٍ﴾ (الزمر ٢٣).

وقال جل جلاله يربّي عندنا الخشية خالصة له: ﴿اليَومَ يَئِسَ الذينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُم فَلا تَخشَوهُم واخشونِ﴾ (المائدة ٢) ـ ومدح الذين يخشونه ولا يخشون سواه فقال تعالى: ﴿الذين يُبَلِّغونَ رسالاتِ اللهِ ويخشَونَه ولاَ يخشَونَ أَحَداً إلاّ اللهَ وكَفَى باللهِ حَسيباً﴾ (الاحزاب ٣٩) ـ كما مدح الذين يخشعون لله في صلاتهم أي تخضع جوارحهم وقلوبهم لذكر الله فقال ﴿قَد أفلحَ المؤمنونَ. الذينَ هُم فِي صَلاتِهِم خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون ١، ٢).

على أن التربية الاسلامية لم تقتصر على هذه الانفعالات الرادعة المنظمة كالخشوع والرهبة والخوف والخشية والاشفاق، بل قرنتها أو سبقتها أو أتبعتها باثارة انفعالات منشطة (وقد ترد مستقلة) كالرغبة والمحبة والرجاء والأمل فقال تعالى:

﴿إنّ اللهَ يحبُ التَّوابينَ ويُحبُّ المتَطَهِّرينَ﴾ (البقرة ٢٢٢) ومدح الله المؤمنين الذين يحبّون اخوانهم المهاجرين اليهم الفارّين بدينهم فقال تعالى مبيّنا عاطفة الحب في الله ونتائجها:

﴿والَّذينَ تَبوَّؤوا الدَّارَ والايمانَ مِن قَبلِهم يُحبُون مَن هَاجَرَ إليهِم، ولا يَجدونَ في صُدورِهم حَاجَةً مِمّا أُوتُوا ويؤثرون علَى أنفُسِهم وَلَو كانَ بِهِم خَصاصَةٌ﴾ (الحشر ٩) وقال تعالى في الجمع بين الرغبة والرهبة يصف بعض أنبيائه: (الأنبياء ٩٠).

﴿إنَّهُم كانُوا يُسارِعُونَ في الخَيراتِ ويَدعُونَنَا رَغَباً ورَهَباً وكَانُوا

لَنَا خَاشِعِينَ﴾ فهذه الآية جمعت ثلاثة أنواع من الانفعالات أحدها من الانفعالات الدافعة (الرغبة) والثاني من الانفعالات الرادعة (الرهبة) والثالث من الانفعالات المنظمة الانقيادية (الخشوع).

د ـ وتوازن التربية الاسلامية بين العواطف والانفعالات الدينية ذاتها فلا يطغى الخوف من الله على رجاء ثوابه، حتى يصل الانسان الى اليأس من شدة الخوف، ولا يطغى الأمل في الثواب على الخوف من الله حتى يصل الانسان الى الغرور، لذلك نجد القرآن يثير العاطفتين معا في آية واحدة أو آيتين متتابعتين أو سياق واحد ﴿نَبِّىء عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُور الرَّحِيمُ (*) وأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذابُ الأَلِيمُ﴾ (الحجر ٤٩، ٥٠).

هـ ـ وتوازن التربية الاسلامية بين العقل والعاطفة فتربيهما معا. فترى بعض السور ذات الآيات القصار، يتخللها حوار ترديدي[1]. فَكُلّما استيقظ العقل وفكر وتأمّل، تحركت انفعالات الخوف استجابة لترديد سؤال الحق جل جلاله كقوله ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذابِي ونُذُرِ﴾[2]؟ وقوله ﴿فَبِأَيّ آلاءِ ربّكُما تكذّبانِ﴾[3] وترى السور الأخرى تأتي بوصف جانب من عذاب جهنّم أو بذكر تهديد الله أو وعيده، أو وعده بالنعيم الابدي أو الحض على الخشوع، أو نحو ذلك مما يثير الانفعالات والعواطف، بعد أن تبعث العقل على التفكير والتأمل. ومن هذه الموازنة تأتي ثمرة السلوك المستقيم والحياة الطيبة والحضارة المزدهرة. فكما أن التيار الكهربائي لا يعطي النور أوالحركة إلا اذا التقى قطباه السالب والموجب، كذلك لا

---

(١) شرحنا (الحوار الترديدي) في باب اساليب التربية الاسلامية: الاسلوب الحواري. في كتاب «أصول التربية الاسلامية واساليبها».

(٢) القمر ١٦، ٢١، ٣٠.

(٣) الرحمن ١٣، ١٦، ١٨، ٢١، الخ..

تثمر النفس الإنسانية إلا اذا اندفع الفكر بالعاطفة واستنارت العاطفة بالفكر، فيتحول ذلك إلى إيمان وجهاد وعمل طيب وإيثار وتضحية واستقامة في السلوك...

و - وتوازن التربية الإسلامية بين الايمان والعمل وهكذا يدخل العمل في هـذا الازدواج المتزن ليقترن بالايمان الذي هو ثمرة ازدواج العقل مع العاطفة فالايمان يزيد بالطاعة أي بالعمل الصالح. وينقص بالمعصية. والقرآن ما يزال يقرن الايمان بالعمل الصالح مرة بعد مرة ليدلّنا على هذه الحقيقة ﴿إنَّ الذينَ آمنُوا وعمِلُوا الصَالِحَاتِ لَهُم جَنّاتُ النّعِيمِ﴾ (لقمان ٨) ﴿إنَّ الذينَ آمنُوا وعملُوا الصالحاتِ كانَتْ لهمُ جناتُ الفردَوسِ نُزُلاً﴾ (الكهف ١٥٧) ويطالبنا أن نقرن القول بالعمل ﴿يَا أيُّها الّذينَ آمنُوا لِمَ تقُولونَ ما لا تَفعَلونَ؟ كَبُر مقتاً عندَ اللهِ ان تقُولوا ما لاَ تَفعلونَ﴾. (الصف ٢, ٣).

وقد حذرنا رسول الله ﷺ واستعاذ ربه، من علم لا ينفع كما ورد عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ كان يقول «اللهمَّ إني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها» رواه مسلم. وهـذا التـوازن بين العلم والعمـل ضروري لسعـادة الانسانية - فالتربية الإسلامية لا ترضى من المسلم أن يكون كالآلة - كبعض الشعوب الاوربية - يعمل ويطيع دون أن يعرف هدفه من العمل ودوره في هذه الحياة ودون أن يربط كل أعماله بمصيره بعد الحياة الدنيا ويحسب حسابا لكل خطوة يخطوها في هذه الحياة.

كذلك لا يجوز في نظر التربية الإسلامية أن يصبح الناس كلهم فلاسفة أو خطباء يتبارون في البلاغة والوعظ من غير أن يطبقوا علمهم ويعملوا به وقد عقد لهذا المعنى معظم العلماء بابا في (كتاب العلم) فذكر

عبد العظيم المنذري عنوانا لهذا الباب نصه: « الترهيب من أن يعلم ولا يعمل بعلمه[1] » ثم ذكر أحاديث منها الحديث التالي: عن أسامة بن زيد أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: « يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلقَ أقتابُه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فتجتمع أهل النار عليه، فيقولون: يا فلان ما شأنُك؟ ألستَ كنتَ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه. وانهاكم عن الشر وآتيه » قال: واني سمعته يقول (يعني النبي ﷺ): « مررت ليلة أُسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون » رواه البخاري.

ز - التوازن بين النزعة الفردية والنزعة الاجتماعية

تشمل التربية الإسلامية بعنايتها نزعتين هما من فطرة الانسان: نزعة فردية تدعو الكائن البشري الى التميز والاعتماد على النفس، واثبات الذات.

ونزعة اجتماعية تميل بالانسان الى الانضواء تحت لواء الجماعة ومسايرتها والاعتزاز بها... واعتناق عقيدتها وتصوراتها المشتركة، والشعور بمشاعرها والخضوع لرقابتها ونظمها الاجتماعية.

وقد جمعت التربية الاسلامية بين هاتين النزعتين باتزان واعتدال فأما النزعة الفردية فقد بنيت التربية الاسلامية على مسؤولية الفرد عن نفسه أمام الله حين يسأل عن تطبيق شريعته تعالى واخلاص العبادة له. وقد أوضح رسول الله ﷺ أن أي فرد في الجماعة لن يُغنِيَ عن الآخر شيئاً في هذه المسؤولية كما أوضح القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى ﴿إنَّ يومَ

---

(١) الترهيب والترغيب من الحديث ص ٦١ ج ١

الفصْلِ ميقاتُهم اجمعينَ(*) يومَ لا يُغني مَولى عن مَولىً شيئاً ولا هُم يُنصَرونَ﴾ (الدخان ٤٠, ٤١).

وقال رسول الله ﷺ «يا فاطمة بنت محمد: ان محمدا لا يغني عنك من الله شيئاً» وقد بنيت هذه المسؤولية على ما وهب الله الانسان من حرية وقدرة على التمييز بين الخير والشر.

وفي مقابل تلك المسئولية جعل الله الثواب على الأعمال الصالحة أيضاً على أساس فردي فقال: ﴿فَاستجابَ لَهم ربُّهم أنّي لا أُضيعُ عمَلَ عاملٍ منكُم مِن ذكرٍ أو أنثى. بَعضُكم مِن بَعضٍ﴾[1] وهذا المبدأ مبدأ المسئولية الفردية جاء مقابل ما أعطي الناس من حرية وقدرة على التوجّه الى الخير. وقد طالَبَنا الاسلامُ بالعمَلِ مشيراً إلى أن الله زودنا باستعدادات تميز كل فرد فقال رسول الله ﷺ: «اعملوا فكل مُيَسّر لما خُلِقَ له» أي أن الله خلق كل انسان مستعدا لمهنة أو اختصاص أي مزودا بميزات فردية معينة ثم يسّر له، بواسطة المجتمع وظروف الحياة من المجالات ما يناسب استعداده وميزاته، وأما رعاية التربية الاسلامية للنزعة الاجتماعية: فقد جعل الاسلام للمجتمع دوراً في حفز فعالية الفرد وانضاج ذاتيته فقال تعالى ﴿وقُلِ اعمَلوا فَسَيَرى اللهُ عملكُم ورَسولُه والمؤمنونَ، ثمّ تُردّونَ إلى عالِمِ الغيبِ والشهادَةِ﴾ فجعل المجتمع المؤمن شاهدا على أعمال افراده.

وكذلك جعل للمجتمع سلطة ضابطة للافراد هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ولْتكُن منكُم أمّةٌ يأمرونَ بالمَعروفِ وينَهونَ عنِ المنكرِ ويُؤمنونَ باللهِ﴾[2] وجعل المجتمع شاهدا على العقوبات العلنية

---

(١) آل عمران ١٩٥ (٢) آل عمران ١٠٤.

﴿وَلْيشهَد عذابَهُما طائفةٌ مِنَ المؤمنينَ﴾ (النور ٢).

وجعل مدرسة العبادة التي تنمو فيها الشخصية الانسانية في نظام التربية الاسلامية مدرسة اجتماعية فجميع العبادات في الاسلام تؤدّى بشكل جماعي ـ وان كانت المسئولية الأولى والوعي الاساسي فيها قائمين على نضج الفرد ـ قال تعالى: ﴿وأقيمُوا الصلاةَ وآتُوا الزكاةَ واركَعُوا معَ الراكعينَ﴾ (البقرة ٤٣) ـ وقال ﴿وأذِّنْ في النّاس بالحجِّ يَأتُوكَ رجَالاً وَعلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأتِينَ مِن كُلِّ فَجٍ عَمِيقٍ لِيَشهَدُوا مَنافعَ لَهُم ويَذكُروا اسمَ اللهِ في أيامٍ مَعلُوماتٍ..﴾ (الحج ٢٧) وقال ﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا كُتِبَ عليكُمُ الصيامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الذينَ مِن قَبلِكُم لَعلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ (البقرة ١٨٣) وهكذا اتجهت التربية الاسلامية أولا الى تنمية الذاتية والميزات والاستعدادات الخاصة عند الفرد، وجعلت من المجتمع مجالا لهذه التنمية وضابطا لنزوات الفرد ودوافعه. وشاهدا على سلوكه وانتاجه ومشجعا للخيّر منها وجعلت ميزان ذلك كله وضابطه الاساسي رقابة الله وابتغاء مرضاته. وبهذا الضابط لم يستطع أحد من القادة أن يستغل حماسة الجماهير الاجتماعية لغير صالحها وخيرها وارضاء ربها. ولا كان لأحد من الأفراد أن يغش الجماعة أو يتلاعب بنظمها وقوانينها لانها صادرة عن الله. ومتجهة الى عبادته...

وفي هذا إحكامٌ رائع وتوازن دقيق بين حق الفرد وحق الجماعة بين الطبيعة الذاتية للانسان والميول الاجتماعية التي ينطوي عليها البشر.

٥ ـ التربية الاسلامية موحِّدة للطاقات البشرية:

لم تكتف التربية الإسلامية بإنصاف الفرد مع الجماعة والجماعة مع الفرد، ولا بايجاد انسجام بين العقل والعاطفة ولا بتنسيق الدوافع والموازنة

بينها وبين الميول الربانية السامية والدوافع الغريزية البشرية ولا بتدعيم العلم بالعمل والعقل بالانفعال، والفرد بالجماعة . . .

بل آلفت بين ذلك كله ونظمته تنظيماً عجيباً فوحدت جميع طاقات الانسان في نطاق الفرد والجماعة: ووجهتها وجهة واحدة من غير أن تهمل جانباً من هذه الجوانب أو غيرها، أو تطغى بجانب على جانب. فأدى هذا الاعتدال الى استقامة حياة الفرد وعدالة الحياة الاجتماعية وازدهار حضارة الأمة بل حضارة الانسانية التي انتعشت منذ أن استلمت التربية الاسلامية زمامها.

وما ذلك الآ لأن مصدر هذه التربية هو كلام الله وسنة رسوله المؤيدة من الله ونحن نعلم أن ذلك كله ﴿لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاكثيراً﴾[1] اختلافاً بين جوانب التشريع يخل بالتوازن والاعتدال الذي رأيناه ونراه في كل ملامح هذه التربية الربانية وسنعالج توحيد التربية الاسلامية للطاقة البشرية في نطاق الفرد أولا ثم في نطاق الجماعة.

أ ـ التربية الاسلامية وتوحيد طاقات الفرد:

لكي ندرك عظمة الأسلوب الذي اتخذته التربية الاسلامية في توحيد طاقات الانسان يجب أن نعرف الحقائق النفسية التالية[2]: ثم نقارن بينها وبين

---

(١) سورة النساء ٨١.

(٢) عن محاضرة للمؤلف نشرت في محاضرات الموسم الثقافي للكليات والمعاهد ١٣٨٦ هـ ثم في كتاب علم النفس ص١١٨ ـ ١٤٢ ط ١٣٩٣ لطلاب السنة الثانية بكلية الشريعة بالرياض للمؤلف وزميليه د. عرقسوسي، د. عثمان ونقل هذا البحث كما هو بعنوان (الغرائز أو الدوافع الغريزية) الدكتور فائز محمد الحاج في كتابه (بحوث في علم النفس العام =

التربية الاسلامية فنجد:

(أ) أن الله أودع عند كل انسان دوافع فطرية تدفعه إلى السلوك والحركة والعمل في هذه الحياة كالدوافع الى المرأة، والطعام والشراب، والمال والبنين.. الخ.

(ب) وهذه الدوافع الغريزية، إذا لم تهذب وتوجّه، أصبحت مصدراً للفوضى الاجتماعية فغريزة حب النساء (كما سماها القرآن) ويسميها علماء النفس (الغريزة الجنسية) تبدو آثارها في السلوك ميلاً قوياً واندفاعاً نحو تحقيق الشهوة، مهما كان موضوعها وهدفها وأسلوب اشباعها. وكذلك حب المال (غريزة حب التملك) وغيرها فاذا بقيت الغريزة بشكلها غير المهذب أصبحت وسيلة لنهب أموال الآخرين أو السطو على أعراض الناس أو غير ذلك من المساوىء.

ب ـ تعديل الدوافع الغريزية:

لذلك أودع الله في فطرة الانسان القدرة على تعديل دوافعه الغريزية وتهذيبها وتحويلها الى (عواطف) واضحة الهدف تحدد لصاحبها اسلوبا مهذباً في ارواء دوافعه دون ايذاء الآخرين أو احداث فوضى في صفوف الجماعة فالغريزة الجنسية مثلاً بدلاً من أن تكون ميلاً جسدياً نحو تحقيق الشهوة تصبح بالتربية والتهذيب عاطفة نحو الزوجة تحمل معاني الغيرة والمودة والاخلاص وتدفع صاحبها إلى كسب الرزق ليعول اسرته قال تعالى ﴿وَمِن آياتِهِ أن خَلَق

= ص ١٣٥ مع اختصارات طفيفة) وكذلك بحث التفكير والانتباه والتعب والذكاء ص ١١١ ـ ١٣٤ نقلا عن كتابنا ص ١٦٨ ـ ١٨١ والأمزجة والشخصية في كتابه ص ٢٢٧ الى ص ٢٤١ وقد أشرنا الى ذلك ايضاحاً للحقيقة وحرصاً على الامانة العلمية التي يجب أن نربي طلابنا عليها، واعتمدنا في أرقام الصفحات الطبعة الأولى.

لكُم مِن أنفُسِكُم ازواجاً لتَسكُنُوا إلَيهَا وجَعَل بَينكُم مودَّةً ورحمةً﴾ .

جـ ـ العاطفة السائدة:

والعاطفة إذا اشتدت وازداد اهتمام الانسان بموضوعها حتى طغت على كل ما سواها ، وحتى أصبحت شغله الشاغل في الحياة صار لها بين الوظائف والقوى النفسية مكان القيادة وتسمى حينئذ العاطفة السائدة . وهي الاستعداد النفسي للتأثر والتفكير والانفعال بموضوع معين يصبح محور الحياة وتسخّر الدوافع والطاقات النفسية والجسدية والعقلية لإرواء هذه العاطفة ـ وتحقيق الرغبات المنبثقة عنها بمزيد من التضحية والانفعال والعمل من أجل هذا الموضوع في كل موقف من مواقف الحياة[1] .

د ـ كيف تتكون العاطفة:

وتتكون العاطفة السائدة بالتكرار فتبدأ بموقف حاسم يبهر الانسان ويأخذ بلبه أو يستحوذ على عقله مصحوبا بإقناع وانفعال حاد . . . وتتكرر المواقف المشابهة والخبرات فتتكرر معها الانفعالات وتروي الدوافع الفطرية بما يرضي هذه العاطفة ويحقق هدفها . . . .

وهكذا حتى يصبح عند الانسان استعداد للانفعال والاندفاع والعمل والاهتمام والتفكير كلما صادف موضوع العاطفة السائدة أو تذكره فيجند جميع طاقاته ووظائفه النفسية لخدمة هذه العاطفة وتحقيق هدفها .

ولكن يؤخذ على العاطفة السائدة ـ كما يؤخذ على الهوى ـ عند علماء النفس ـ أنها يضيّقان آفاق الانسان ، ويأسران قواه الفكرية والنفسية

---

(١) علم النفس للسنة الثانية بكلية الشريعة بالرياض ط ١٣٩٣/ ١٣٩٤ هـ ص ١٣٩ لمؤلفيه د. عرقسوسي استاذ نحلاوي ، د. عثمان .

والجسدية اذ يحصرانها في موضوع واحد على حساب الموضوعات الأخرى وظروف الحياة، ومتطلباتها ومصلحة الأمة والمجتمع، كما يفعل العاشق المتيم اذ لا يرى في دنياه وحياته الا صورة محبوبته ولا يسعى الا لمرضاتها ولا ينفعل الا من أجلها.

وتمتاز العاطفة السائدة في مقابل ذلك بأنها تجميع وتنظيم عجيب لجميع طاقات الانسان، تفعل الاعاجيب والخوارق والبطولات وتجعل لصاحبها مُحيّا دائم الابتسام وقلبا دائم الميل والحنين والحماسة، وعقلا دائم التفكير وجسما دائبا على السهر والانتاج. وتتضافر هذه القوى حتى إنها لتصدر عن مبدأ واحد وترمي الى هدف واحد.

ويتساءل الباحث حيال هذه المعلومات النفسية وأمام هذه الميزة الهائلة ألا يمكن الاستفادة من العاطفة السائدة مع تفادي عيوبها؟ بلى! ولكن يتوقف ذلك على حسن انتقاء موضوع للعاطفة السائدة. فكلما كان واسع الشمول ساميا معتدلا، مسايراً لكل ظروف الحياة ومتطلباتها، موافقا للفطرة ـ كان أكثر تحقيقا لسعادة الانسان مع مصلحة الأمة والجماعة.

هـ ـ ما العاطفة السائدة في التربية الاسلامية؟

لو ذهبنا نستقصي كل نظم الشعوب وفلسفاتها وكل أساليب التربية وأهدافها ثم قارنا ذلك بما نحن بصدده من نظم التربية الاسلامية وميزاتها وخصائصها لما وجدنا نظاما وضع يده على أسمى وأشمل موضوع ينظم حياة الانسان ويجمع طاقاته ويوجهها نحو الخير، الا الاسلام، ولا شهدنا تربية تنهض بدوافع الانسان وتسمو بعواطفه وتدفع به الى الحضارة والمجد والرقي والعلم وتربي عقله وتدفعه إلى التفكير والابداع ـ كل ذلك باعتدال وتوازن ـ ما شهدنا ذلك الا في التربية الاسلامية.

لقد نظم الاسلام دوافعنا وطاقاتنا الانسانية تحت لواء عاطفة سامية في منتهى السمو شاملة في أوسع نطاق للشمول. لأنها تعلق قلوبنا بمحبة الله وخشيته والشعور بالمسئولية امامه وتوجه عقولنا لنتأمل عجائب صنعه في الكون وفي أنفسنا، وتنظم سلوكنا وفق شريعته ونظامه الذي ارتضاه لنا، ووضعه لسعادتنا... وهكذا نجد أن هذه العاطفة الربانية لا يؤخذ عليها ما يؤخذ على غيرها من ضيق الأفق والحجر على سائر الطاقات والعواطف والمصالح الأخرى بل نجدها على العكس - تتسع لتشمل جميع مطالب الحياة الفردية والاجتماعية، وتسمو بهذه المطالب فتوجهها وجهة ربانية أخروية، تبعدها عن أي احتمال للغش أو الاستغلال أو الاستئثار أو نحو ذلك من النزوات الفردية التي تفرق صفوف الجماعة وتؤدي بها الى الفوضى والدمار، فأصبح الانسان يربَّى على ألاّ يخشى الا الله ولا يسعى الا لمرضاته وفي سبيل هذا المطلب أصبحت التربية الاسلامية توقظ كل نشاط الانسان وتحفز همته، وتبعث مواهبه وطاقاته جميعا للنهوض بواقعه وواقع امته، وتحقيق العدالة والحضارة الصحيحة عن طريق عبوديته الصحيحة لله وحده في جميع ظروف حياته ومواقفها ﴿قُلْ إنَّ صَلاتِي ونُسُكِي ومَحيايَ ومَمَاتِي لله ربِّ العَالمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذلكَ أُمِرتُ وأنا أَوّلُ المُسلِمين﴾ (الانعام: ١٦٣).

واذا تمكّنت هذه العاطفة الربانية وسادت في النفس أصبح الانسان يهتمّ بالمقاصد والغايات لا بالطقوس والشكليات فيصبح سلوكه مستقيما خالصاً من الرياء والغش: ﴿لَيسَ البِرَّ أن تُولّوا وُجوهَكُم قِبَلَ المَشرِقِ والمَغرِبِ، ولكنّ البِرَّ مَن آمنَ باللهِ واليَومِ الآخِرِ والملائكةِ وَالكِتَابِ والنّبيّينَ، وآتى المالَ عَلَى حُبِّه، ذَوي القُربى واليَتامَى والمَساكينَ وابنَ السبيلِ والسّائلينَ وَفي الرّقابِ واقَامَ الصلاةَ وآتى الزكاةَ. والمُوفونَ بِعهدِهِم إذا عَاهدُوا، والصّابِرِين في

البَأساءِ والضّراءِ وحينَ البأسِ ، أُولئِكَ الذينَ صَدقُوا وَأُولئِكَ هُم المُتّقونَ﴾ (البقرة ١٧٧) .

و ـ أثر توحيد الطاقات في الشخصية الانسانية :

لقد جعلت التربية الاسلامية للانسان ، بفضل هذه العقيدة الجامعة لشتات النفس والتي أصبحت موضوع عاطفة ربانية شاملة متكاملة ، جعلت له شخصية متماسكة قوية ، لا تعرف التردد ولا تقع في شيء من الصراع الداخلي ، أو النزاع النفسي ـ الاجتماعي ولا تتعرض لأي من أعراض الأمراض النفسية . فكان من نتائج هذه التربية أن ضمنت سلامة الشخصية وقوتها وانسجامها ، وربطت قلب الانسان بالله ، وجعلت ثقته بخالق السموات والارض تهبه قوة لا تدانيها قوة على وجه الأرض ، قال تعالى في وصف الفتية الذين آمنوا بربهم : ﴿وَرَبَطْنا عَلى قُلوبهم : إذْ قَامُوا فقَالوا : ربُّنا ربُّ السمواتِ والارضِ لَن ندعوَ مِن دونِهِ إلٰهاً لَقَد قُلنا إذاً شطَطاً﴾ (الكهف ١٤) .

وهذه الاستقامة على عبادة الله وحده تعني الاستمساك بشريعته دون التمسك بالاهواء والشهوات أو الخضوع للنزوات المتعارضة ، أو للشرائع الوضعية أو للزعماء الملحدين .

وقد ضرب الله مثلاً يوضح المقارنة بين إنسان معتصم بشريعة الله موحد له مخلص في عبادته وبين انسان مشرك أو منافق يخضع للاعتبارات الدنيوية أو الشرائع الوضعية أو المصالح البشرية المتعارضة فقال تعالى : ﴿ضَربَ اللهُ مثلاً : رجُلاً فيهِ شُركاءُ مُتَشَاكسُونَ ، ورجُلاً سَلَماً لِرَجُل . هَل يَستويانِ مَثلاً ؟ الحمدُ للهِ . بَل أكثرُهُم لا يَعلمونَ!﴾ (الزمر ٢٩) ، فبين لنا أن العبد المملوك الذي يملكه اكثر من سيد ، وهم متعارضون لا يستطيع حسن التصرف فكل سيد يأمره بأمر وكذلك الانسان الذي لا يحكّم في حياته وسلوكه أوامر

الله ولا يستهدف مرضاته، بل تتحكم فيه الاطماع والنزوات والشهوات والشرائع الوضعية، والآلهة البشرية أو الوثنية أو المذهبية، أو المادية من شرقية أو غربية فتبقى ميوله ورغباته ودوافعه وتفكيره وجميع طاقاته نهبا لكل هذه الاعتبارات مشتتة لا رابط يجمعها ولا هدف يشدها اليه أو ينسق بينها على حين نجد الانسان الذي رُبّي تربية إسلامية وأسلم وجهه لله، وأخلص في اتباع شريعته، قوى الشخصية مجتمع الشمل موحد الطاقات مهذب الدوافع سامي المقاصد، يوجه كل طاقاته في جميع مواقف حياته وجهة واحدة هي ارضاء الله وطاعته ومحبته والشعور بالمسئولية امامه والرغبة في ثوابه والخوف من عقابه

ز ـ كيف وحّدت التربية الاسلامية طاقات الفرد:

لو تتبعنا سيرة عدد ممن اسلموا في صدر الاسلام ثم ربيت نفوسهم تربية إسلامية لاستطعنا أن نميز بين مرحلتين من هذه التربية:

الأولى: حصول القناعة العقلية والنفسية بضرورة الاستسلام لله ولشريعته الاسلامية، وقد يكون هذا الاستسلام مبدئياً ومبدؤه بالنطق بالشهادتين مع الاعتراف بما يتْبع هذا النطق من التزام بالشريعة واتباع للرسول ﷺ.

الثانية: تكرار مواقف تعبدية تنمّي الايمان وتوقظ الانفعالات الربانية كالخوف من الله والخشوع والمحبة ورجاء ثوابه ونحو ذلك مما ذكرناه وبيّناه في مناسبات مختلفة، حتى يصبح ذلك دافعا الى التضحية وتوجيه كل الطاقات والسلوك في الحياة بمقتضى الايمان.

وقد عبر المسلمون الأوائل عن هاتين المرحلتين فكانوا يقولون عن بعض من أسلم «اسلم، وحسن اسلامه»، فكلمة (اسلم) قد تمثل المرحلة الاولى. كما وردت اشارة الى ذلك في قوله تعالى:

﴿قالتِ الاعرابُ آمنّا. قُل لَم تُؤمنُوا ولٰكِن قُولُوا أسلَمْنا، ولمّا يدخل

الايمانُ في قُلوبكُم. وإن تُطيعُوا اللهَ ورَسولَه لا يَلِتْكم مِن اعمالِكُم شَيئاً، إنَّ اللهَ غفورٌ رَحيمٌ﴾ (الحجرات ١٤) فهذه اشارة الى المرحلة الأولى ثم يليها قوله تعالى مشيرا الى المرحلة الثانية: ﴿إنّما المؤمنونَ الذينَ آمنُوا باللهِ ورسولِه، ثُمَّ لَم يَرتابُوا وجَاهَدوا بأموالِهم وانفُسهم في سَبيلِ اللهِ، أولئكَ همُ الصادقونَ﴾ (الحجرات ١٥) فهذه المواقف التعبدية والجهادية مما يقوي الايمان وينمي العواطف والانفعالات الربانية وينسقها ويجمعها، ويوجهها ويوجه بها السلوك وكل مواقف الحياة...

وقد اشار الرسول ﷺ الى هاتين المرحلتين من مراحل التربية الاسلامية واضاف اليهما مرحلة ثالثة في حديث عظيم يعد من امهات جوامع الأحاديث في هذا الموضوع، نورده هنا باختصار لبيان مراتب الاسلام والايمان والاحسان:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال «بينا نحن جلوس عند رسول الله (ﷺ) اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبي ﷺ فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه فقال يا محمد أخبرني عن الاسلام فقال رسول الله ﷺ أن تشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا قال صدقت.... قال فأخبرني عن الايمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر... قال: فأخبرني عن الاحسان: قال: ان تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه، فإنه يراك» الحديث رواه البخاري ومسلم[1]. فالمرحلة العليا من التربية الاسلامية أن يصبح الانسان في كل أموره مراقبا ربه، فلا يعمل الا ما

---

(١) وهذا اللفظ من رواية مسلم، وقد أوردناه مختصراً واقتصرنا على ما يشهد للبحث. وتمامه في صحيح مسلم ج ١ ص ٢٩ دار الطباعة العامرة في استنبول

يرضيه، وهذا يحتاج الى كثير من ترويض النفس بالعبادة وقراءة القرآن واستحضار الخشوع والخوف والمحبة وغير ذلك من الانفعالات والعواطف الربانية وقد عبر رسول الله ﷺ عن هذه المرحلة بالحديث القدسي:

« ... وما يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ... » رواه البخاري[1].

وهكذا نجد أن دوام عبادة الله ومراقبته توجه سلوك الانسان وتجمع كل طاقاته فلا يصدر في أي عمل من أعماله الا عن شريعة الله ولا يعمل الا ما يرضيه، كما توقظ العقل فلا يقدم على عمل إلا بعد حسبان وتفكير، وتربي الضمير والشعور بالمسؤولية...

٦ ـ التربية الاسلامية تربية عالمية:

أ ـ تمهيد في المعنى اللغوى والقرآني:

يتألف لفظ عالميّ من ادخال ياء النسبة على (عالم) بفتح اللام وذلك لبيان نسبة هذه الدعوة الاسلامية، (ومن ورائها التربية الاسلامية) الى (رب العالمين). ولكن العرب اذا أرادت النسبة الى المركب نسبت (في الغالب) الى جزئه الأخير، وإذا أرادت أن تنسب الى الجمع نسبت الى مفرده. وهكذا تصبح النسبة الى (رب العالمين) (عالمي).

ولو نسبنا الى الجزء الأول من هذا المركب لأصبحت الصفة (رباني) وهي صفة تطلق في القرآن على من يتقن علم الرب اي وحيه الذي أنزله على رسله ﴿ولَكِن كُونُوا ربّانِيّينَ بِمَا كُنتُم تُعلِّمونَ الكتابَ وبِمَا كُنتُم

---

(١) رياض الصالحين (باب المجاهدة) ص ٣١ ط شركة الشمرلي بمصر.

تَدْرُسُون﴾[1] وهي أيضاً صفة أخرى من (خصائص) التربية الاسلامية غير ما نحن بصدده. وقد سبق شرحها.

ولو تتبعنا معنى لفظ (العالمين) لوجدنا المفسرين يفسرونه بأنه (كل صنف من الكائنات) «قال قتادة (كل صنف عالم)[2]». «وقال الزجّاج: (العالم كل ما خلق الله في الدنيا والآخرة) قال القرطبي: وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل العالمين كقوله (وقال فرعون وما رب العالمين؟ قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين﴾[3] والعالم مشتّق من العلامة[4] قال ابن كثير (قلت[5]: لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته» فالعالم مجموعة من الكائنات المتشابهة التي تؤلف صنفاً، ويجمع بين أفرادها نظام معيّن قدّره الله بحكمته، وقام على تصريف أموره وحياته. كعالم الحشرات وعالم الزواحف، وعالم الانسان، وعالم الجن، وعالم الملائكة، وغيرها من العوالم التي لا يحصيها ويحيط بها الا (رب العالمين) ولم يرد لفظ (العالم) مفرداً في القرآن، ولعل السر في ذلك ان الربوبية لا تقتصر عل عالم واحد، وان بين **(العالمين) روابط وعلاقات تدل على عظمة الرب**، كما يلاحظ بين عالم الذرة وعالم الجمادات، وكما بين عالم النبات وعالم الحيوان وعالم الانسان، فكل منها مسخر للآخر، ويكمله.

---

(١) آل عمران ٧٩

(٢) تفسير القرآن العظيم: اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) جـ ١ ص ٢٣، ٢٤ الناشر: دار المعرفة بيروت.

(٣) الشعراء ٢٤.

(٤)، (٥) تفسير القرآن العظيم: اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) جـ ١ ص ٢٣، ٢٤. الناشر: دار المعرفة بيروت.

ب ـ ماذا تعني هذه الخاصة تربويا:

١ ـ تنبثق هذه الخاصة من (ربّانية) التربية الاسلامية، لانها صادرة عن كتاب رب العالمين وسنة رسوله الأمين ومتجهة بأهدافها وغايتها الى الله جل جلاله على أن المقصود هنا عموم لفظ العالمين، ومن هذا العموم ندرك انها تربية شاملة لجميع البشر والكائنات من الأولين والآخرين....

فقد كان كلام الله (وما يزال) يخاطب الانسان، على انه انسان، لا على انه من قوم معينين ولا من ملة مخصوصة. فليس لله في الأرض أبناء ولا أحباء تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فكل من في الأرض مدعوّ الى اعتناق هذه العقيدة والاخذ بمنهجها التربوي.

وتتسع عالمية هذه التربية أيضاً، حتى تشمل البحث عن علاقة الانسان بالكون كله، «فلقد كانت آيات القرآن تفسر للانسان سر وجوده ووجود هذا الكون من حوله... وكان القرآن يوضح له كيف يتعامل مع خالق هذا الكون ومع الكون ايضا، كما يبين له كيف يتعامل العباد مع العباد[1]».

٢ ـ وليست التربية الاسلامية ـ على هذا ـ تربية قومية، ولا طائفية ملّية، ذلك أن رسول الله ﷺ، واضع أسس هذه التربية، عندما بلّغ رسالة ربه، «لم يشأ ان يثيرها قومية عربية تستهدف تجميع قبائل العرب التي اكلتها الثارات ومزقتها النزاعات، ولم يوجهها

---

(١) معالم في الطريق: سيد قطب ـ ص ٢١ (ط دار الشروق) وهو ـ رحمه الله ـ يستعمل لفظ (كان) للدلالة على الدوام والاستمرار، كما يستعملها القرآن.

وجهة قومية لاستخلاص أرضها المغتصبة من الامبراطوريات المستعمرة: الرومان في الشمال والفرس في الجنوب فليست غاية التربية الاسلامية أن تخلص الأرض من يد طاغوت روماني أو طاغوت فارسي الى يد طاغوت عربي[٢] »

« فالطاغوت كله طاغوت! ان الأرض لله . ويجب أن تخلُص لله . ولا تَخلُص لله الا أن ترتفع عليها راية لا اله الا الله . ويصبح الناس عبيدا لله وحده، فلا حاكمية الا لله ولا شريعة الا من الله، ولا سلطان لأحد على أحد لأن السلطان كله لله » ولأن الجنسية التي يريدها (الاسلام) وتتبناها (التربية الاسلامية) هي جنسية العقيدة التي يتساوى فيها العربي والروماني والفارسي والابيض والاسود وسائر الأجناس والألوان تحت راية الله . وهذا هو سبيل التربية الاسلامية وهذه هي طبيعتها، وخاصّيتها وعلى هذا كانت بعثة رسول الله ﷺ، اذ كانت للعالمين اجمع، للانس والجن وجميع الكائنات، لا فرق بينهم الا بالاخلاص لهذه العقيدة، وباخلاص العبودية لله، وبالصلاح وتقوى الله . قال سبحانه:

﴿وَلَقَد كَتبنا في الزَّبور مِن بعدِ الذكرِ: أَنَّ الأرضَ يَرِثُها عِبَاديَ الصَالحونَ(*) إنّ فِي هذَا لَبلاغاً لِقومٍ عَابدينَ(*) ومَا أرسلناكَ إلاّ رحمةً لِلعالمينَ﴾

﴿قُل إنّما يُوحَى إليَّ أنما إلٰهُكُم إلٰهٌ واحدٌ، فَهل أنتُم مُسلمون؟﴾[٣] .

وقال جل جلاله:

---

(١) (٢) المصدر نفسه .

(٣) الانبياء ١٠٥ - ١٠٨ .

﴿تَبارَكَ الذي نَزَّلَ الفُرقانَ عَلَى عبدِهِ لِيَكُونَ لِلعالَمينَ نَذِيرا﴾[1] وقال تعالى ﴿ومَا تَسألُهم عَليهِ مِن أجرٍ إنْ هُو إلاّ ذِكرٌ لِلعالَمين﴾[2].

٣ ـ وليست التربية الاسلامية ـ على هذا ـ ولا يمكن أن تكون ـ تربية عنصرية او طبقية تقوم على تفضيل عنصر أو رفع طبقة من الناس، ذلك أن الناس كلهم عباد الله وكلهم سواسية كاسنان المشط، وكلهم ابناء أب واحد هو آدم، وآدم من تراب، فالمربي المسلم ينظر الى الآخرين الذين لا يدينون بالاسلام على انهم اخوة له في الانسانية، تائهون يجب أن يدلهم على الله، أو منحرفون يجب علاجهم ومداواتهم ليعودوا الى فطرتهم وصحتهم النفسية والفطرية فهو ليس عدوا لأحد لأن تدينه لم يكن نتيجة تكتل لمجرد التكتل، كما تفعل الطائفية (التعصب الاعمى لطائفة ـ أيا كان اتجاهها) ولكنه تكتل على نصرة الحق ودفع الظلم ونصرة الضعيف والدعوة الى عبادة الله وحده... وتخليص الناس من عبادة الطواغيت، وانقاذهم من الخرافات والأوهام...

جـ ـ النتائج التربوية:

تظهر مآثر هذه الخاصة فيما يلي:

١ ـ لقد تركت عالمية التربية الاسلامية آثارا عميقة في الفرد والمجتمع حتى إنك لترى في تفكير ابناء التربية الاسلامية من الوعي لهذا الكون وسننه ما لا تجده عند ابناء التربيات الاخرى، فالعالم كله

---

(١) الفرقان ١.

(٢) يوسف ١٠٤.

يسبّح بحمد ربه، ويدل على عظمة خالقه ﴿تسبحُ لهُ السماواتُ السبع والأرضُ ومَنْ فيهنَّ وإنْ منْ شيءٍ إلاَّ يُسبّحُ بحمدِه، ولكنْ لا تفقهونَ تسبيحَهم إنَّهُ كانَ حليماً غفوراً﴾[1] لذلك كان على المسلم أن يتأمله ويدرسه، ليستدل على وحدانية الله، وليستخدم ما سخر له الله...

٢ ـ وانك لتحسُّ في أعماق هذه التربية من المشاعر العالمية ما لا تُحسه في أي تربية اخرى، فالمسلم أخ أو متعاطف مع كل كائن في هذا الكون يرى فيه رفيقا له في تعظيم الله وتسبيحه، وهو لذلك يعطف على كل طير أو نبات أو حيوان. وقد أمر رسول الله ﷺ بذلك. وضرب أمثلة عن رجل سقى كلبا من بئر، فدخل الجنة، وامرأة ربطت هرة فماتت فدخلت النار[2]... وبين لنا أن عصفوراً ضج إلى ربه فقال يا رب (سل فلانا فيم قتلني؟) فنهى رسول الله بذلك عن قتل الطير عبثا لغير جلب مصلحة أو درء مفسدة، وذكر لأصحابه[3] «ان رجلاً اشتد به العطش فنزل بئراً فشرب وخرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش... فنزل الرجل البئر فملأ خضه ماء ثم امسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا يا رسول الله إن لنا في البهائم أجراً؟ قال: في كل كبد رطبة اجر» متفق عليه.

أرأيت أرق من هذه المشاعر النبيلة وأسمى واشمل منها أو مثلها في التربيات الأخرى؟

---

(١) الاسراء ٤.

(٢) باختصار من الحديث ٣٣٦٩ من صحيح الجامع الصغير للألباني، ج ٣ ص١٤٣.

(٣) باختصار عن رياض الصالحين ص ٣٦ ط شركة الشمرلي بمصر

ومن تمام هذه المشاعر الرفق في كل شيء كما أمر الرسول العظيم ﷺ وربّى أصحابه على ذلك.

د ـ الأثر الحضاري والتاريخي:

بهذه التربية الإنسانية فتح أجدادنا الدنيا، فما قتلوا شيخاً ضعيفاً مسالما، ولا امرأة لم تشترك في حربهم، ولا طفلاً، ولا قطعوا شجرة مثمرة، ولا قتلوا راهبا في صومعة، ولا كاهناً في بيعة، وما كانت حروبهم إلا لإزالة الأنظمة والحكومات الظالمة الطاغية، التي كانت تمنع ايصال صوت الحق إلى الجماهير بالحكمة والموعظة الحسنة، والتي تنهب أموال الناس وتزهق أرواحهم بالباطل، وتفرق بينهم لتسيطر على عقولهم وبلادهم وأموالهم..

٧ ـ التربية الاسلامية متفائلة ايجابية فعّالة

أ ـ لم تكن التربية الإسلامية سلبية تدعو إلى الرهبانية وحرمان الانسان من اشباع دوافعه الغريزية بل أمرت بتوجيه هذه الدوافع وإشباعها بأسلوب يحقق الهدف الذي وجدت من أجله تحقيقاً يسعد الفرد والمجتمع في وقت معاً، ويسمو بكل منهما حتى يستنفد كل طاقاته في سبيل السعادة والرقيّ والنبل والطموح، غير متعدٍّ حدوده، ولا مُنزِلٍ أذىً بغيره، وغير ناسٍ حقوق الآخرين...

فالإنسان يستطيع في ظل التربية الإسلامية ـ مثلاً ـ ان يطلب الغنى، ويُرضي طموحه في جمع المال ولكنه لا ينسى أن في ماله حقاً للمجتمع فهو لا يؤذي الفقير بغناه ولا يكسر خاطره، ولا ينسى أن يُقدّم نصيباً من ماله للجهاد وللتعليم وللأيتام والعجزة ولجميع المشاريع

الخيّرة، وهو بذلك يرضي طموحاً آخر، اسمى من مجرد جمع المال. إنه يدّخر هذا المال عند الله، فينال به جنات تجري من تحتها الأنهار، يوم لا ينفع مال ولا بنون، ويوم يصبح الملك كله لله، بعد أن تفنى هذه الحياة الدنيا بكل دولها ومقوماتها وآمالها الباطلة.... ﴿مَنْ ذَا الذِي يُقْرِضُ الله قرضاً حَسَنا فيضاعِفَه لهُ أضعافاً كثيرةً﴾.

ب ـ ويقاس تفاؤل كل تربية، كما تقاس فعاليتها وايجابيّتها، بمقدار ما تربّي عند الفرد من الطموح الصادق والآمال الخيرة، الدافعة إلى الجدّ، والمثمرة القابلة للتحقيق، الباعثة على السعادة والرضى والاطمئنان...

والطموح الصادق هو التطلّع إلى أهداف سامية لكنّها واقعية بمعنى أنها ممكنة، غير مستحيلة على فطرة الإنسان، ولا غريبة عنها.

جـ ـ وتنبثق ايجابية التربية الاسلامية وفعاليتها من الأسس التي بنيت عليها، وخاصة الأسس الاعتقادية والتعبدية.

فالإيمان بالله وباليوم الآخر على النحو الصحيح الذي جاء في القرآن والسنة، وبنيت عليه التربية الإسلامية، يجعل الحياة مزرعة للأعمال، يحصد الانسان نتاجها يوم الحساب، فهو يعمل فيها جاداً، وإن كان يؤمن بأنها مرحلة مؤقتة، لكي يحصد ثمرات أعماله في جنات الخلد التي وعد الله عباده.

د ـ بيد أن هذا الطموح نحو معالي الأمور، للحصول على أعلى الدرجات، في الحياة الخالدة التي لا ريب فيها لا ينتهي ولا يقف عند حد، ولو انتهى لما كان طموحاً إيجابياً فعّالاً على الدوام.

ذلك أن طبيعة الايمان باليوم الآخر تجعل المؤمن دائماً بين الخوف والرجاء، فهو يرجو رحمة ربه ويعمل مدفوعاً بهذا الأمل الصادق،

ولكنه مع ذلك يخشى عذاب الله وغضبه، ولو غفل عن هذه الخشية لما استحق ذلك الأمل والرجاء، فهو متفائل إلى حد لا يبلغ به درجة الغرور، وايجابي إلى أمد لا يبلغ به حدّ التهور أو اللامبالاة، وهو مع ذلك حذر إلى حد لا يبلغ به أمد اليأس، وبهذا كانت التربية الإسلامية معتدلة في تفاؤلها وايجابيتها، واقعية في طموحها وآمالها.

وبهذا كانت التربية الإسلامية أصلح تربية للحياة ولدوام الحياة، ولبناء الحضارة، ولاستمرار هذه الحضارة... لأنه لا حضارة إلا مع البحث العلميّ الدائب ومع الأمل والصبر والعمل المثمر البنّاء. ولا يكون الصبر والدأب. والعلم الصحيح والعمل المثمر، كل ذلك لا يكون مع الغرور، كما لا يكون مع اليأس والقنوط...

هـ ـ وللعبادة أثر بالغ في استمرار تفاؤل التربية الإسلامية وطموحها وايجابيتها وفعّاليتها:

ذلك أن العبادة ـ وهي صلة دائمة واعتزاز بخالق الكون ـ هي التي توقظ الايمان وتبعثه باستمرار، فتوقظ معه الطموح والأمل والرجاء. كما توقظ الحذر والخوف وتدفع إلى الاستقامة والعمل الجاد المثمر والسلوك الطيب في هذه الحياة... ولو ترك الانسان العبادة وغفل عنها لتردّى في مهاوي الضنك والشقاء، ولنسي نفسه وسعادته الحقيقية، ولغفل عن انسانيته. وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ومن أعْرَضَ عَن ذكري فَإنّ له معيشة ضنكا. ونحشره يوم القيامة اعمى...﴾[1] وقوله سبحانه ﴿يأيُّها الذينَ آمنوا اتّقوا اللهَ، ولتَنظُر نفسٌ ما قدمَت لغدٍ، واتّقوا اللهَ. إنَّ اللهَ خبيرٌ بما تعمَلون﴾، ولا تَكونُوا

---

(١) طه ١٢٤

كالّذينَ نَسُوا اللهَ فأنساهُم أنفُسَهُم أولئكَ همُ الفَاسِقُون﴾[1].

و ـ كما تنبثق (ايجابية التربية الاسلاميّة) من شعور الانسان بكرامته، ومكانته في هذه الحياة، وفي هذا الكون. وأن الله استعمره في الأرض، أي طلب منه أن يعمر الأرض بالحق والعدل والحضارة.

قال تعالى ﴿وهُو أنشَأَكُم منَ الارض، واسْتَعْمَرَكُم فيها فاستَغْفِروهُ ثـمّ توبُوا إليه، إنَّ ربّي قريبٌ مجيبٌ﴾ (هود ٦١). كما وعده أن يستخلفه في الأرض قال جل شأنه:[2] ﴿وعدَ اللهُ الذينَ آمنُوا وعمِلوا الصالحاتِ ليَسْتَخلِفنّهم في الأرضِ كما استخلفَ الذينَ من قبلِهم وليُمكّنَنّ لهم دينَهُم الذي ارتَضَىٰ لَهُم، وليبدِّلَنَّهم من بَعد خَوفِهم أمناً يعبدُونَني لا يُشرِكُونَ بِي شيئاً. ومَن كَفَرَ بعدَ ذَلكَ فَأُولٰئِكَ همُ الفَاسِقُونَ﴾

وقد بيّنت لنا هذه الآية الكريمة ثلاثة أمور كرم الله بها المؤمنين، فكانت من أهم أسباب تفاؤل التربية الإسلامية وايجابيتها، هي: الاستخلاف، والتمكين في الأرض، والأمن، وجعل ذلك كله مشروطاً بشرط أساسيّ هو اخلاص العبودية لله ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئاً...﴾ ومن هنا كان تحقيق هذه الخاصّة من خصائص التربية الاسلامية ـ وسائر خصائصها ـ مرتبطاً بتحقيق غايتها، التي أوضحتها في حينها[3].

ولو ذهبنا نستقصي كل معاني الكرامة الإنسانية في الإسلام ونتائجها وأثرها في مظاهر (إيجابية التربية الإسلامية وتفاؤلها) لطال بنا

---

(١) الحشر ١٨ ـ ١٩. (٢) النور ـ ٥٥

(٣) أنظر «أصول التربية الاسلامية واساليبها» للمؤلف

الأمر ولما نجونا من التكرار والإعادة، لما سبق بسطه من ذلك فيما مضى[1] ويكفينا هنا أن نبين أن شعور الإنسان بتكريم الله له واعتزازه بذلك اكبر باعث على التفاؤل والايجابية في الحياة وتحقيق الذات، أي تحقيق الخصائص التي أوجدها الله في الانسان وانعم بها عليه، كالعلم وتسخير قوى الكون، واكتشاف سنن الله ﴿الذي علّم بالقلم[*] علّم الانسان ما لم يعلم﴾[2] والاستفادة منها. وكترجيح كفة الخير في المجتمع: شكراً على أن الله كرم الإنسان إذ جعله مميزاً بين الخير والشر، قادراً على اختيار احدهما ﴿ونَفْسٍ ومَا سوّاهَا* فَأَلْهَمَها فُجُورَهَا وَتَقْواهَا* قَد أَفلَحَ مَن زَكّاهَا* وَقَد خَابَ مَن دَسّاهَا*﴾ وهذه إيجابية تربوية انسانية، تدفع كل من رَبّي تربية إسلامية إلى أن يزكّي نفسه بطريقة ذاتية، ويهذب دوافعه ويسمو بها، وقد درج المربون المسلمون على ذلك وكتبوا فيه الفصول والرسائل حتى قال قائلهم:

لا ترعوي الأنفس عن غيّها ما لم يكن منها لها زاجرُ

ز - ومن أرقى درجات التفاؤل والايجابية، أن يكون الانسان متفائلا إيجابياً أمام المصائب: أمام المرض، وموت الولد أو الزوج، وخراب الدار أو الزرع، والفقر المدقع، أو الهم الموجع، وسائر أنواع النكبات التي لا يحصي عددها إلا الله . . . .وقد ربى الإسلام اتباعه على الصبر أما جميع أنواع المصائب والرضا بها والتفاؤل مع العمل على دفع ما يستطاع منها أو

---

(١) في فصل (مبادىء التربية الاسلامية): «مبدأ الكرامة الانسانية»

(٢) العلق ٤، ٥. (٣) الشمس: ٧ - ١٠.

تخفيفها ، وأن يبتسموا ابتسامة التفاؤل والصبر وهم يطمعون بثواب الله على الصبر والتحمّل وحمانا الاسلام من الحَنَق أو إنزال غضبنا وسخطنا على شيء موهوم نسميه تارة الدهر وتارة المرض وتارة الحظ، وتارة الظروف . فنهانا عن سب الدهر ونهى ام السائب عن قولها ﴿الحمى لا بارك الله فيها﴾ وبين لها بعض فوائدها في تهذيب النفس وغفران الله عز وجل ، وانها « تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد[1] » . وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا يقولنّ أحدكم : يا خيبة الدهر . فإن الله هو الدهر » رواه البخاري[2]

وكذلك نهى رسول الله ﷺ عن التشاؤم من الريح فقال (فيما رواه عنه أبيّ بن كعب) « لا تسبو الريح ، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر ما أُمرت به » رواه الترمذي[3] وقال ﷺ « ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة[4] » فإذا كانت المصيبة مما يرجى بعض خيرها في المستقبل أمرنا الاسلام ان نطلب خيرها ونحذر شرها كما في حديث (لا تسبوا الريح) وهذه إيجابية موضوعية عملية .

---

(١) رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه (رياض الصالحين ص ٦٠٦)

(٢) الأدب المفرد (الحديث: ٧٦٩)

(٣) (رياض الصالحين ص ٦٠٦).

(٤) رواه مسلم عن عائشة (صحيح الجامع الصغير للألباني ج ٥ ص ١٧٨ ح ٥٦٣٤)

الفصل الرابع

مشكلات وقضايا معاصرة تعالجها التربية الإسلامية

١ ـ الطفولة ومشكلاتها

٢ ـ مشكلة الحرية والنظام

٣ ـ الإعداد للحرب والسلم

٤ ـ المرأة والتعليم

٥ ـ مشكلات التعليم

٦ ـ النزعات الشائعة والتربية الإسلامية

أولاً ـ قضية الطفولة وعلاجها في التربية الاسلامية

تمهيد وتعريف بالمشكلة :

تؤلف الطفولة مشكلة، بل سلسلة من المشكلات، وعتها الإنسانية منذ فجر تاريخها، وحاولت كل امة أن تضع لها حلولاً.

- فحمل الطفل في بطن أمه مشكلة، أشار إليها القرآن مبيناً الحالة النفسية لأول أم حملت طفلاً ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّت بِهِ، فَلَمَّا أثقَلَت دَعَوا اللهَ رَبَّهما لَئِن آتيتَنَا صَالِحاً لَنَكونَنَّ من الشَّاكِرِينَ﴾ (الاعراف ١٨٩) فكان همّ الأبوين أن ينجبا ولداً صالحاً، صالحاً للحياة، صالحاً في قوّته وكمال خَلقه وطباعه، وينتج عن هذه المشكلة البحث في اختيار الأبوين وفي كل ما يؤثر في الجنين....
- ثم يأتي إرضاع الطفل وهو مشكلة قائمة بذاتها. ونسبة الطفل إلى أبيه وينتج عن ذلك قبول مسؤولية تربية الطفل. وقبوله عضواً في أسرة الأبوين أو أحدهما، وما ينتج عن ذلك من حقوق هذا المولود على المدى

البعيد، كحق الغذاء والكسوة والتعليم، والبنوّة...

- وقد كان لكل من التربية اليونانية والرومانية والأوربية القديمة موقفها من مشكلة المسؤولية التربوية، ومن مسألة قبول الطفل عضواً حياً في الانسانية، أو إفقادهالحياة والحكم عليه بعدم الصلاح لعضوية المجتمع. ومن المشهور في التاريخ القديم[1] «أن الاسبارطيين[2] كانوا يقتلون الأطفال الذين تكون بنيتهم ضعيفة. وكان ذلك تحت مراقبة موظفين تعيّنهم الحكومة ولهؤلاء الحق في أن يحكموا بوجوب قتل الطفل أو الاحتفاظ به.

أما في أثينا[3]، فقد كان ذلك الحق بيد الوالد، الذي كثيراً ما نجده يتساهل ويحتفظ بولده، وإن كان ضعيفاً نحيلاً، مدفوعاً بعامل الشفقة والحنان الأبويّ»

ثم نشأت في عصر النهضة الأوربية مشكلة اعتبار الطفولة مرحلة لها طبيعتها يجب احترامها، واحترام حاجات الطفولة بل يجب معاملة الطفل على أساسها، ويجب تنظيم المدارس والمناهج ودور الحضانة ورياض الأطفال على ان تبقى للطفل طفولته، ونعامله على أنه طفل...

- أما في العصور الأوربية الوسطى فقد نشأت مشكلة أخذ الطفل بالشدة

---

(١) تاريخ التربية - عبد الله مشنوق - الطبعة الثانية - دار السلام بيروت ص ٣١.
(٢) المنسوبين إلى اسبارطة إحدى عاصمتي الاغريق قديماً
(٣) العاصمة الثانية للاغريق القدماء.

والحزم لاخراج عنصر الشر من نفسه، وهكذا بنيت هذه المشكلة على مشكلة التساؤل عن طبيعة الشر ومدى تأصّلها في نفس الطفل، وسنعالج اهم مشكلات الطفولة من وجهة نظر التربية الإسلامية حسب التصنيف التالي:

أولاً: مشكلات الطفولة قبل الولادة

أ ـ مشكلة الانجاب وتزايد النسل:

ما من دين سماوي ولا مذهب وضعيّ اهتم بزيادة النسل اهتمام الاسلام بالنمو السكاني من اجل تحقيق اهداف الأمة، فقد جعل الاسلام **انجاب الأولاد الصالحين هدفاً أساسياً من أهداف الزواج** نبه اليه الرسول ﷺ، عندما حضّ على الزواج. والأحاديث في ذلك متعددة جمع بعضها ابن قيّم الجوزية[1]، ومنها حديث: عن معقل بن يسار: قال جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: أني أحببت امرأة ذات حسن وجمال وانها لا تلد. أفأتزوجها؟ قال: «لا»! ثم أتاه الثانية فنهاه. ثم أتاه الثالثة، فقال «تزوجوا الودود الولود، فاني مكاثر بكم» رواه ابو داود والنسائي[2].

وعن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: «انكحوا أمهات الأولاد، فاني أباهي بكم يوم القيامة، رواه أبو داود والنسائي[3]» وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «النكاح سنتي ومن لم يعمل بسنتي

---

(١)، (٢)، (٣) في كتابه (تحفة المودود بأحكام المولود) وهو من عيون تراثنا في التربية الاسلامية وهذه الأحاديث في ص ٦ وما بعدها ط. المطبعة الهندية العربية في بمباي على نفقة خليفة بن حمد آل ثاني.

فليس مني وتزوجوا فاني مكاثر بكم الأمم » رواه ابن ماجه[1] . وقد روى حماد بن سلمة عن أبي صالح عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : « ان العبد لترفع له الدرجة ، فيقول : أي ربّ أنّى لي هذا ؟ فيقول « باستغفار ولدك لك من بعدك » رواه أحمد في المسند ورواه ابن ماجة والبيهقي وحسنه السيوطي في الجامع الصغير وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » (انتهى كلام ابن القيم) وفي هذا المعنى يقول الله عز وجل[2] ﴿إنا نحنُ نُحيي الموتَى ونكتُب ما قدّمُوا وآثارَهُم وكلَّ شيءٍ أحصيناهُ في إمامٍ مبينٍ﴾ وفي الحديثين السابقين تفسير للفظ (آثارهم) ، فقد جعل الاسلام الأولاد من أهم الآثار التي يتركها الانسان بعد وفاته ويحاسب عليها ، فالتربية والاهتمام بالنشء من العبادات التي اهتم بها الاسلام .

ب ـ مشكلة تحسين النسل :

يحضّ الإسلام على **حسن اختيار الأبوين عند الزواج بقصد تحسين النسل** وهذا مظهر من مظاهر رعاية الطفولة في الإسلام ، ولعله من أعظم مظاهر الاهتمام بها . فالإسلام بهذا يهتم بالمولود من قبل أن يولد بل من قبل أن يكون في بطن أمه ولاختيار الأم حِكَم منها تأثيرها الوراثي (البيولوجي) وقد نبه عليه الرسول ـ ﷺ ـ بقوله :

---

(١) تحفة المودود وهو في صحيح ابن ماجه حديث رقم ١٨٤٦ في النكاح كما حققه عبد القادر ارناؤوط قال : « وفيه عيسى بن ميمون وهو ضعيف . لكن له شواهد يقوي بعضها بعضا » « صحيح ابن ماجه » ط . دار البيان بدمشق .

(٢) سورة يس آية ١٢ .

عن عائشة أن النبي (ﷺ) قال «تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا اليهم» رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي، وهو صحيح[1].

الحكمة الثانية التأثير التربوي الاجتماعي. فالأم تربي أولادها على ما ربيت عليه ولذلك قال (ﷺ) فيما رواه عنه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله «تنكح المرأة على إحدىٰ خصال: لجمالها، ومالها، وخلقها ودينها فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك» رواه أحمد باسناد صحيح والبزّار وأبو يعلىٰ وابن حبان في صحيحه وفي حديث معقل بن يسار السابق يقول (ﷺ) «تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم»[2].

فاختيار المرأة لهدف تربوي جزء من الخطة التربوية التي اختطّها الإسلام وذلك بتحرّي خصائصها أهمها:

١ ـ الكفاءة، ومن معانيها التقارب أو التعادل في النسب، وهذا المعنى هو الظاهر المراد هنا، لأنه اقترن بالنطفة، وهي ماء الرجل يقذف به في رحم المرأة فيخلق منه الولد بإذن الله. ولولا أن ماء المرأة له أثر واضح في بعض صفات الولد لما جاء التصريح بهذا (التخيّر)، وتأثير المرأة قد يأتي بالوراثة من بعض أجدادها كما يقول علم الوراثة اليوم. وكذلك تأثير الرجل في أولاده عن طريق النسب والوراثة ولذلك جاء هذا الحديث يجمع نوعي الاختيار: حسن اختيار المرأة لمن يخطب وحسن اختيار الرجل اذا جاء خاطباً وذلك قوله (ﷺ). «فانكحوا الأكفاء،

---

(١) الجامع الصغير للسّيوطي وانظر صحيح الجامع الصغير للشيخ محمد ناصر الدين الالباني. ج ٣ ص ٣٧ ح ٢٩٢٥.

(٢) تحفة المودود ص ٦ ـ ١٠.

وأنكحواإليهم » وعبر (بالأكفاء) ليتمّ التفاهم وتترسّخ المودة عندما يتحقق التكافؤ حيث قال: (فانكحوا الأكفاء) أي من النساء. (وأنكحوا) (بالهمز) (اليهم) أي زوّجوا الاكفاء من الرجال اذا خطبوا بناتكم أو من كنّ تحت ولايتكم.

٢ ـ اختيار ذات الدين، أي التي استقام سلوكها على طاعة الله، واتباع شريعته، والايمان بقضائه وقدره وجنته وناره فهذه المرأة تهيء لزوجها وأولادها العش الآمن، والبيت المسلم، ثابتة أركانه وأصوله موزقة أغصانه ومن هذا البيت تبدأ التربية الإسلامية.

وكذلك المرأة يختار لها وليها رجلاً ذا خلق ودين. ورد ذلك في قوله ﷺ « إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه[1] ».

٣ ـ اختيار المرأة الودود: أي شديدة المحبة، العطوف. فهذه أقدر على حسن تربية الأولاد، والتفاني في رعايتهم، والسهر على مريضهم إذا مرض. ومواساة زوجها ومقاسمته أعباءَ الحياة ان افتقر أو حلت به كارثة أو مصيبة...

فالمحبة والمودّة والعطف والرحمة من أهم الصفات التي تمتاز بها الأم لذلك نص عليها الحديث ونبه الى ضرورة التأكد منها عند الخطبة وطلب الزواج، وهكذا ترك الإسلام أمر الاختيار في الزواج للأفراد وأوليائهم. ولكنه وضع لهذا الاختيار معايير وأهدافاً، ليضمن من ورائها تحسين النسل والنهوض بالأمة في مجال التربية والاخلاق، ولم ينسَ أن يجعل للتربية وحسن رعاية الطفولة نصيباً أوفى حين اوصى باختيار الودود الولود، فالمرأة العطوف الودود هي التي تستطيع ارواء حاجات الطفولة عند أولادها وعلى رأسها الحاجة إلى المحبة كما سنرى.

(١) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم عن ابي هريرة/.

ثانياً: مشكلات الطفولة بعد الولادة::

أ ـ مشكلة التعرف إلى طبيعة الطفل: أهو شرّير أم خيّر؟

من أهم الأسس التربوية في الاسلام: أن الطفل يولد على الفطرة السليمة وما هو بشيطان ولا ينطوي على الخُبث، كما كان سائدا عند الاوربيين في القرون الوسطى، اذ كانوا ينهالون على الطفل ضربا أو يضيقون عليه...

وقد أعلن رسول الله ﷺ مبدأ سلامة فطرة الطفل بقوله: «كلّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه، كما تولد البهيمة جمعاء هل ترون فيها من جدعاء؟

(رواه البخاري في كتاب الجنائز (الحديث الثمانون، والثالث والتسعون) ورواه مسلم في صحيحه وأبو داود في سننه).

وبعد ظهور الإسلام بقرون عديدة، وبعد أن تتابع علماء الإسلام ومربوهم يربون الأجيال المسلمة على هذا المبدأ، جاء «جان جاك روسو» في فرنسا يبحث عن حل لهذه المشكلة في نهاية القرون الوسطى الأوربية وعند مطلع عصر النهضة الأوربية (ت ١١٩٢ هـ ١٧٧٨ م) حين قال في أول كتابه (أيميل) «كل شيء يصنعه خالق البرايا حسن، وكل شيء يفسد بين يدي الإنسان[1]» ثم يقول «نحن نولد ضعفاء، ونحن محتاجون إلى القوة... وكل ما ليس لدينا عند ولادتنا وكل ما نحتاج إليه فإننا نناله بالتربية. وتأتينا هذه التربية من الناس، أو من الأشياء أو من الطبيعة فنشوء أعضائنا وخصائصنا :شوءاً باطنيا هو تربية الطبيعة[2]. وما نتعلمه من أعمال في هذا النشوء هو تربية الناس. وما نكتسبه

---

(١) قراءات في الفكر التربوي دكتور محمد ناصر ط الكويت. نقلا عن عادل زعيتر ترجمة لكتاب (ايميل) (نقلاً عن: (مدخل إلى التربية في ضوء الاسلام) للاستاذ عبدالرحمن الباني).

(٢) هذا من أثر الوثنية اليونانية في التربية الأوربية المعاصرة التي تؤله الطبيعة وقد أوضحت =

بتجربتنا الخاصة مما يحيط بنا هو تربية الاشياء...»

ولكن النتائج التي ترتبت على تطبيقات هذا المبدأ اختلفت عند اتباع روسو عما كانت عليه عند المربين المسلمين اختلافاً كبيراً، وهذا ما يتضح لنا عند علاج المشكلة التالية:

ب ـ مشكلة المسؤولية التربوية

بينما نادى (روسو) وأتباعه بترك الطفل وشأنه يتربى في الطبيعة بناء على تجاربه واحتكاكه بالأشياء المحيطة به، وبالغوا في ذلك حتى نشأت فيما بعد ظاهرة الاباحة والتدليل[1] وخروج الناشئين عن كل ضابط يضبط سلوكهم واستفحلت هذه الظاهرة بعد منتصف القرن العشرين الميلادي.

- كان علماء الاسلام يرون ضرورة مراقبة الطفل وتعليمه مبادىء الاسلام المناسبة لفطرته عملا بعموم بعض الآيات والأحاديث التي وَضَعت في عنق الأبوين المسؤولية التربوية كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾ سورة التحريم آية (٦). أي أدبوهم حتى يلزموا شريعة الله، وبذلك تحفظونهم من عذاب الله يوم الحساب وقوله ﷺ: «ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن»[2] نقله ابن القيم عن تاريخ البخاري، من رواية بشر بن يوسف عن عامر بن أبي

= ذلك في كتاب «أصول التربية الاسلامية واساليبها» عندما عالجت «مزالق المدرسة الحديثة».

(١) بنيامين سبوك: مشكلات الآباء والامهات ص ٤١٧ ـ ٤١٨ ترجمة محمد علي العريان ط دار المعرفة بمصر. وانظر مقدمة (اصول التربية الاسلامية) للمؤلف.

(٢) تحفة المودود لابن القيم الجوزية ص ١٣٣ ط المطبعة الهندية على نفقة علي بن عبد الله آل ثاني.

عامر عن أيوب بن موسى القرشي عن أبيه عن جده عن النبي (ﷺ) والمنذري في الترغيب والترهيب عن الترمذي[1]. وقوله ﷺ: كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته[2] فالأمير راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وامرأة الرجل راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم» رواه البخاري من حديث نافع عن ابن عمر. فمسؤولية الرجل عن أهل بيته تعمّ الزوجة والولد. وقد صرح الرسول في هذا الحديث (ﷺ) عن مسؤولية المرأة أيضاً عن البيت والولد، أي عن تربية الأولاد وعدم تركهم للحاضنات والمرضعات.

وروى ابن ماجه عن ابن عباس عن النبي ﷺ:

«أكرموا أولادكم واحسنوا أدبهم[3]» أي تربيتهم، وهكذا وفّق الاسلام بين مبدأ (فطرة الطفل الخيّرة) ومبدأ (مسؤولية الأبوين في تربية الطفل) فجعل هذه المسؤولية حامية لتلك الفطرة وناهضة بها.

جـ ـ مشكلة حماية الطفولة

لم يكتف الاسلام بتهيئة الأم الصالحة والعشّ الآمن لرعاية الطفولة ولا وقف عند الأمر بتأديب الأطفال وحسن تربيتهم.

بل سن أحكاماً، وتشريعات تكفل نمو الطفل وتجبر الأبوين على رعايته وتعهده حتى يبلغ سن الرشد وقد جاء بذلك من الاهمال أو ترك الابوين له، أو قتله إن كان مريضاً أو ضعيفاً أو كان ابواه فقيرين..

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) الترغب والترهيب ج ٣ مطبعة البابي الحلبي الطبعة الثالثة ص ٧٢.

(٣) تحفة المودود ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

١ ـ فأمر بارضاع الطفل وحضانته حولين كاملين. قال تعالى: ﴿والوالدات يرضعْن أولادَهنّ حولين كاملين، لِمَنْ أرادَ أن يُتِمَّ الرَّضاعَة﴾ ﴿وعلى المولود له رزقُهنّ، وكسوَتُهنّ بالمعروفِ لا تكلَّفُ نفسٌ الاّ وُسعَها﴾ ﴿لا تضار والدةٌ بولدها ولا مَولودٌ لهُ بولدهِ. وعَلى الوارثِ مثلُ ذلكَ﴾ قال ابن القيم[1]: فدلت الآية على عدة أحكام.

أحدها أن تمام الرضاع حولين، وذلك حق للولد اذا احتاج اليه وأكد بقوله «كاملين» لئلا يحمل اللفظ على حول وأكثر.

ثانيها: أن الأبوين اذا أرادا فطامَه قبل ذلك بتراضيهما وتشاورهما، مع عدم مضرة الطفل فلهما ذلك.

ثالثها: ان الاب إذا أراد أن يسترضع لولده مرضعة أخرى فله ذلك وان كرهت الأم ـ الا أن يكون مضارا بها وبولدها ـ فلا يجاب الى ذلك.

٢ ـ وحمى الاسلام الطفلة من استهتار المجتمع بها فأوصى بتربيتها ما لم يوص بمثله للطفل. ورغّب في الاهتمام بتأديبها لأنها ستصبح أما في المستقبل ولأن بعض الجاهلين كان يستهين بالمولودة إذا جاءته أنثى... فعيّرهم الله على ذلك بقوله:

﴿وإذا بُشّرَ أحدُهُم بالأنثىٰ ظَلَّ وجهُهُ مُسوَدّاً وهوَ كظيمٌ يتوارى منَ القومِ منْ سوءِ ما بُشّر به! أيُمسِكه على هونٍ، أم يَدسُّهُ في التّراب؟! الا ساءَ ما يَحكُمونَ!!﴾ (النحل آية ٥٨ وآية ٥٩) وبشر رسول الله (ﷺ) من أحسن تربية البنات بالجنة فقال:

---

(١) الترغيب والترهيب ج ٣ مطبعة البابي الحلبي ص ٧٢ وقد علق عليه بقوله «وفي ن ط «الزموا أولادكم».

« من ابتلي من هذه البنات بشيء، فأحسن اليهن كنّ له ستراً من النار[1] »
رواه أحمد عن عائشة. وروى أحمد مثله عن ابي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله (ﷺ) « لا يكون لاحد ثلاث بنات أو بنتان أو أختان فيتقي الله فيهنّ، ويحسن اليهنّ إلا دخل الجنة[2] ».

٣ ـ وحمى الاسلام الأطفال اليتامى من الضياع، أو من أكل أموالهم أو اهمال تربيتهم وحضانتهم ففي آية الرضاع (وقد أوردناها: في الصفحة السابقة) قوله تعالى ﴿وعَلَى الوارث مثلُ ذلكَ﴾ أي إذا توفي والد الطفل، فعلى الذي يعوله من الورثة مثل ما على الأب الحقيقي من الاهتمام بارضاعه والانفاق على المرضعة واطعامها وكسوتها..

وقال تعالى: ﴿إنّ الذينَ يأكلونَ أموالَ اليتامى ظلماً إنّما يأكُلُونَ في بُطونِهِم نارا وسَيَصْلَونَ سَعيرا﴾ وعن ابي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ)(*) « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه » وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما[3] رواه البخاري.

قال ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري: قال شيخنا في شرح الترمذي « لعل الحكمة في كون كافل اليتيم شبهت منزلته بمنزلة النبي (ﷺ) لكون النبي شأنه أن يبعث الى قوم لا يعقلون امر دينهم فيكون كافلاً لهم ومعلماً ومرشداً وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه ولا دنياه فيعلمه ويرشده ويحسن أدبه[4] ».

---

(١) ، (٢) تحفة المودود ص ١١ ـ ١٢ لابن القيم طبعة الهند على نفقة علي بن عبد الله آل ثاني.
(٣) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٣٤٦.
(٤) شرح او حاشية على الترغيب والترهيب علقها مصطفى عمارة ـ طبعة البابي الحلبي بمصر =

وإنما خص الإسلام اليتامى بهذه الأحكام:

١ ـ لما تستدعيه حالهم من الرعاية الخاصة ولما قد يتعرضون له من الضياع بعد أن توفي عائلهم.

٢ ـ أو لحمايتهم من طمع بعض من لا يخشى الله في سلب اموالهم، ولتعليم الناس ضرورة التكافل والتراحم والتعاطف في الظروف التي لا تستقيم فيها حياة الأمة إلا بذلك ومنها وفاة العائلين التي تنشأ عنها ضرورة رعاية اليتامى والأرامل وامداد المساكين.

وقد امتاز الاسلام، دون غيره من النظم والشرائع، بهذه الرعاية دون حاجة إلى مؤسسات رسمية الى أن اتسعت الحضارة الإسلامية واستقلت المحاكم الشرعية في تنفيذ احكامها فأقامت مثل هذه المؤسسات لحفظ أموال اليتامى والحكم لمن يستحق أن يكون وصيًا عليهم أو ناظرا لشؤونهم فأقامت صندوقاً لحفظ اموالهم وهيئة من الصلحاء لرعاية شؤونهم.

وهذه المؤسسات الملحقة بالمحاكم الشرعية والتي لا تزال تمارس أعمالها الى يومنا هذا، لا نظير لها في محاكم أي أمة في الدنيا مهما بلغت حضارتها، لأن تشريعاتهم الوضعية ليس فيها قوانين خاصة باليتامى كما في الشريعة الاسلامية.

وكل ما يفعلونه من حضانة الأيتام من قبيل الصدقة والانسانية وليس حقا ثابتاً في شرائعهم، وهكذا نرى أن التربية الاسلامية قامت بأعظم دور عرفته الانسانية في حماية الطفولة المبكرة من الضياع والفناء.

= الطبعة الثالثة (★) الأدب المفرد للامام البخاري: (فصل الله الصمد توضيح الادب المفرد) ص ٢٣١ ج ١ الحديث ١٣٧ ط المطبعة السلفية بمصر (تأليف فضل الله الجيلاني).

ثالثاً ـ مشكلات احترام طبيعة الطفولة وحاجاتها:

يظنّ كثير من الباحثين أن أوربا في عصر النهضة هي التي نادت باحترام طبيعة الطفولة، وقد بالغت حتى جعلت ذلك هو الهدف الأهم للتربية. والواقع أن التربية الاسلامية قد سبقت أوربا إلى مراعاة طبيعة الطفولة وحاجاتها دون مبالغة ولا إسفاف، وإليك بعض نماذج من معاملة الرسول ﷺ للاحداث، يشهد بها الأطفال الذين رباهم في كنفه:

أ ـ معاملة الاطفال حسب طبيعتهم:

كان أنس بن مالك طفلاً يخدم رسول الله ﷺ وقد نشأ عنده ووصف لنا حكمته في الجمع بين الرفق في الأطفال ومراعاة طفولتهم، وبين حسن توجيههم ورفع معنوياتهم والنهوض بهم، وإغنائهم بخبرات الحياة وبالآداب الاجتماعية. قال أنس: «ما مَسِسْتُ ديباجاً ولا حريراً ألْيَنَ من كفّ رسول الله ﷺ ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ.

«ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين. فما قال لي قط: أفّ. ولا قال لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا؟» متفق عليه (ص ٢٢٧ رياض الصالحين الناشر دار القلم بيروت).

ولا غرو فقد كان رسول الله ﷺ يدعو الى الرفق في الأمور كلها، وهو القائل: «ان الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطى على سواه» رواه مسلم (ص ٢٢٩ رياض الصالحين). وقد أكّد هذا المعنى بقوله: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» (ص ٢٣٠ رياض الصالحين) والاطفال أحق من غيرهم بالرفق والرحمة لذلك كان رسول الله ﷺ رفيقاً بهم رحيماً بصغيرهم يداعب الصغار فعن محمود بن الربيع قال:

« عقلت من النبي ﷺ مجة مجها في وجهي وانا ابن خمس سنين من دلو »
(رواه البخاري في كتاب العلم في باب متى يصح سماع الصغير ج ١ ص ٢٢) .

فقد كان رسول الله ﷺ يتوضأ من دلو كما يفهم من الحديث فمجّ بعض الماء من فمه وهو يتمضمض على وجه محمود هذا وهو ابن خمس سنين مداعبة وملاطفة له . وهكذا قدم الاسلام حلولاً نظرية وقد طبقها عملياً لحل هذه المشكلة

ب ـ توجيه الاطفال وتأديبهم:

ولكن الرفق لا يمنع من التوجيه والتعليم فقد كان رسول الله (ﷺ) يوجه الأطفال الواعين ويعلمهم آداب الطعام والتيامن والاستئذان ونحو ذلك من الآداب العملية في حينها وفي مناسبتها ليطبقوا ذلك عمليا ويتدربوا على الأخلاق الفاضلة حتى تصبح عندهم عادات سلوكية فردية أو اجتماعية .

عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصفحة فقال لي رسول الله ﷺ « يا غلام : سمّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » متفق عليه[1] .

وقد وجه القرآن الأطفال الى ضرورة الاستئذان قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ، والذين لم يبلُغوا الحلمَ منكُم ، ثلاثَ مراتٍ من قبلِ صلاةِ الفجر وحينَ تضعونَ ثيابَكُم منَ الظهيرةِ ومن بعدِ صلاةِ العشاءِ ثلاثُ عوراتٍ لكُم ليسَ عليكُم ولا عليهِم جُناحٌ بعدهنّ ، طوّافونَ عليكم ، بعضُكم على بعضٍ كذلكَ يبينُ اللهُ لكُم الآياتِ واللهُ عليمٌ حكيمٌ﴾ (سورة النور ٥٨) .

---

(١) رياض الصالحين ص ٢٦٢ ط دار القلم بيروت . ووكالة المطبوعات بالكويت .

وأراد رسول الله ﷺ أن يربي أحد الأطفال على الاستئذان عندما نزلت هذه الآية فقد روى البخاري في الأدب المفرد[1] عن أنس قال:

كنت خادما للنبي ﷺ، قال، فكنت أدخل بغير استئذان فجئت يوماً فقال: كما أنت يا بنيّ، فانه قد حدث بعدك أمر لا تدخلنّ، الآ باذن وهكذا أمره بتطبيق الآية الكريمة فور نزولها.

وكان يعلم الأطفال التيامن في تقديم الطعام والشراب ويعاملهم به ان كان أحدهم عن يمينه ﷺ:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتيَ بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟» فقال الغلام: «لا والله لا أوثر بنصيبي منك أحدا. فتلّه رسول الله ﷺ في يده» متفق عليه[2].

جـ ـ تقويم أخطاء الأطفال

ما كانت شدة المحبة لتمنع رسول الله ﷺ من زجر أو عتاب شديد يوجهه الى بعض من كان يربيهم عندما يرتكب خطأ يتعلق بتطبيق حدود الله واحكام شريعته فقد تبنّى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وكان يدعَى حبّ رسول الله ﷺ ثم ربّى ابنه أسامة بن زيد واحبه فكان يوصف بأنه حب رسول الله وابن حبه، وهذا حديث المرأة المخزومية يبين لنا الموقف التربويّ الذي وقفه رسول الله ﷺ مع أسامة بن زيد:

---

(١) فضل الله الصمد توضيح الأدب المفرد (حديث ٨٠٧ ج ٢) فضل الله الجيلاني ط المطبعة السلفية.

(٢) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ليحيى بن شرف النووي ص ٢٢٦ ط دار القلم بيروت: قال النووي: قوله تلّه: أي وضعه، وهذاالغلام هو ابن عباس رضي الله عنهما.

«عن عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ ثم قالوا: من يجترىء عليه الا اسامة ابن زيد حبّ رسول الله ﷺ؟

فكلّمه اسامة. فقال رسول الله ﷺ «يا أسامة: اتشفع في حد من حدود الله تعالى؟!».

ثم قام فخطب ثم قال: انما أهلكَ مَنْ قبلَكُم انهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» متفق عليه[1] وكان اسامة يومئذ ما يزال غلاما أو فتى في دور التربية والتوجيه فقد أمّره رسول الله ﷺ فيما بعد في مرض وفاته على جيش لمحاربة الروم وعمره (١٧ عاما) كما ثبت في كتب السيرة. وكان يعلّم بعض الاطفال كتمان السر: عن ثابت عن انس قال أتى عليّ رسول الله (ﷺ) وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا فبعثني في حاجة، فأبطأت عن أمّي فلما جئت قالت: ما حبَسَكَ؟ قلت: بعثني رسول الله لحاجة. قالت ما حاجته؟ قلت انها سر. قالت لا تخبرنّ بسرّ رسول الله احداً» رواه مسلم **قال** أنس: والله لو حدثت به أحد لحدثتك به يا ثابت[2].

د ـ مشكلة حاجات الطفولة وعلاجها في التربية الاسلامية:

تمهيد وتعريف:

ظهرت هذه المشكلة عندما ظهر التناقض بين أسلوب التربية الأوربية

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣٤. والترغيب والترهيب من الحديث ج ٣ ص ١٠٦ ط محمد هاشم الكتبي بدمشق في مطبعة دار احياء الكتب العربية مصر.

(٢) رياض الصالحين ص ٢٩٣.

الموروثة من القرون الوسطى وبين حاجات الطفولة التي اكتشفها علماءالنفس في عصر النهضة، وحاجات الطفولة هي المتطلبات والظروف التي ينبغي توفيرها للطفل كي يكتمل توازنه ونضجه النفسي، ولتنمو شخصيته وتتكامل، وقد قامت التربية الاسلامية على رعاية هذه الحاجات باعتدال واتزان وتكامل ففاقت بذلك كل تربية اخرى وهاك بعض الأمثلة على ذلك:

١ ـ الحاجة إلى الأمن والسلامة:

وهي الحاجة إلى إزالة مخاوف الطفل، والى شعوره بالثقة بمن حوله ثم يكتسب الثقة بنفسه على مر الزمن، شيئاً فشيئاً، وهنا تكمن براعة المربي والمربية (أعني الأم والأب) المسلمين وأمانتها وحسن تصرفها في هذا المجال.

(أ) فتحقيق الجو المنزلي المستقر، والعلاقات الأسرية المتينة والجو العائلي الآمن، أول شرط من شروط ارضاء الحاجة الى الأمن عند الاطفال وازالة خوفهم من فراق أحد الأبوين، أو شجارهما أو نزاعهما. والاسلام بآدابه وتعاليمه السامية قد أوجد ذلك كله. فنهى الرجل عن اظهار الكراهية للزوجة وعن تقبيحها أو شتمها، وعن كل أسباب الشجار وأمر الزوجة ألا تدخر وسعاً في الاخلاص لزوجها وألاّ تدخل منزله رجلا غريبا، الا باذنه. ونهى عن السهر بعد صلاة العشاء، وعن ارضاء الشهوة بغير العلاقات الزوجية المشروعة، وأمر بالاستئذان وستر العورات، وكل ذلك في سبيل تحقيق الطمأنينة للأولاد واشعارهم بالأمن والسلامة والثقة والاستقرار...

(ب) والأنس بما حولنا من كائنات، وحوادث كونية، كلها مِثلنا،

مخلوقة من مخلوقات الله ، هذا الأنس من أهم نتائج تعاليم الاسلام ومن آثار العقيدة الاسلامية (وهي أول أساس من أسس التربية الاسلامية) التي يجب رعايتها في نفس الطفل على مر الزمن، فيكسب بذلك الثقة بربه والأنس بمخلوقات الله ومن ثم يصبح عظيم الثقة بنفسه . لا يخشى شيئاً من ذلك كالظلام والبحر والشلاّل والحيوانات والرياح والامطار والبرق والرعد . . .

٢ ـ الحاجة الى الاحترام والتقدير:

وهي الشعور بضرورة الرضا عن النفس، والظهور امام المجتمع بالمظهر الذي يؤدي الى كسب إعجابه والتآلف معه، على أساس من العمل المجدي وتحقيق المصلحة العامة .

وقد قدر الإسلام الطفولة فكان الرسول (ﷺ) يسلم على الأطفال ويجعل لهم صفا أو مكانا في المسجد يصلون مع الجماعة خلف الرجال ثم تأتي بعدهم صفوف النساء فإذا نبغ الطفل وتفوّق على الرجال في أمر من الأمور وجب أن يأخذ مكانه اللائق به في الجماعة . وآية ذلك حديث عمرو بن سلمة قال: قال أبي: (وكانوا في المدينة (يثرب) قبل هجرة الرسول ﷺ) « جئتكم من عند النبي لله حقا » قال: (أي الرسول ﷺ) « اذا حضرتكم الصلاةُ، فليؤذّن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنا » قال عمرو **ابن سلمة**: « فنظروا فلم يكن أحد أكثر مني قرآنا . فقدّموني وأنا ابن ست أو سبع سنين » رواه البخاريّ وأبو داود والنسائي[1] .

وكان هذا الطفل يتلقى الركبان وكلما جاء أحد من مكة ومعه قرآن

---

(١) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ج ٢ ص ٣٦ .

سمعه منه فحفظ الكثير من كتاب الله بما آتاه الله من الذكاء وسرعة البديهة وقوة الحافظة فاستحق بذلك أن يؤمّ القوم في الصلاة ولم يضره أنه ولد صغير، فقدّمه قومه للامامة عملا بتشريع الرسول ﷺ وأقرّهم الرسول على ذلك. فانظر ما اشد تقدير الاسلام واحترامه للطفولة.

٣ ـ الحاجة الى المحبة:

هي الشعور بالميل إلى الآخرين، والأنس بهم، على أساس من التعاطف والمودة المتبادلة، وصلة القربى، أو الانتظام في سلك نظام اجتماعي واحد فقد ضرب رسول الله ﷺ المثل بنفسه لأصحابه في رحمة الأطفال وتقبيلهم ومحبتهم فقد روى البخاري عن عدي بن ثابت قال: سمعت البراء يقول:

رأيت النبي (ﷺ)، والحسن على عاتقه، وهو يقول «اللهم اني أحبه فأحبه» رواه البخاري. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (رقم الحديث ٨).

«جاء اعرابي الى النبي ﷺ فقال: أتقبلون صبيانكم؟ فما نقبلهم! فقال النبي ﷺ أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟ (رواه البخاري[1])

وعن أبي هريرة قال:

«قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع:

«ان لي عشرةً من الولد ما قبلت منهم أحداً»

فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال:

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج، ١ ص ٤٢٦ المطبعة السلفية

« من لا يرحم لا يرحم[1] » وفي هذا حضّ على رحمة الأطفال والعطف عليهم . وبهذا يغرس في قلبهم الاستعداد للعطف والمحبة عندما يكبرون . . .

وهذه الحاجة ذات اتجاهين أو حدّين ، فكما أن الطفل يشعر بحاجة الى محبة الأبوين والأقرباء له ، كذلك الأبوان والجدان ومعظم الأقرباء يشعرون بحاجة الى التمتع بمحبة الاطفال لهم فهذه الحاجة المتبادلة يغذّي بعضها بعضاً والطفل أيضاً بحاجة الى أن يحبّ الآخرين .

ونمو الطفل يتوقف في جانب من جوانبه على هذه المحبة المتبادلة فقد ثبت في علم النفس التربوي كما ذكر آرثرت « جيرسيلد[2] » أن « محبة الكبار للطفل عنصر هام لنموه نمواً سوياً فالشخص يظل طيلة حياته توّاقا إلى اليقين بأنه مرغوب فيه ، وبأنه ينتمي الى جماعة معينة ويستطيع الاعتماد على ولاء سواه واخلاصه .

ومثل هذه المظاهر في فترة الطفولة لا تولّد الرضى والأمن فحسب بل تزود الطفل أيضاً بالقدوة التي يحاول أن يبرزها في الوقت الملائم ، ولذلك فان الطفل المحروم من الحب دون باقي أفراد أسرته يكون في موقف يبعث على الرثاء » ثم يقول جير سيلد :

« وليس من الغريب أن نجد ـ كما ثبت فعلاً في بعض البحوث ـ ان نمو الأطفال الذين يعيشون في بيوت يسبغ عليهم افرادها الرعاية ، يكون أفضل من نمو الأطفال الذين ينشؤون في مؤسسات عامة . وليس من المتعذر من الناحية السلبية أن ندرك لماذا يكشف الأطفال الذين يشبون تحت رعاية جمعية في

---

(١) المصدر ذاته رقم الحديث ٥٩٩٧

(٢) علم النفس التربوي : آرثر جيتس ورفاقه تعريب ابراهيم حافظ ورفاقه باشراف الدكتور عبد العزيز القوصي ط ١٩٥٤ مكتبة النهضة المصرية ص ١١٦ ـ ٢١٧ ج ١ .

ملاجيء الأيتام عن اتجاهات دفاعية ويكونون أقل استعداداً لتوقع أو تقبّل تودد الآخرين اليهم» ثم يقول مبينا الأثر السيء لانعدام محبة الأولاد.

« ... فقد تبين من نتائج احدى الدراسات أن ضعف المحبة المتبادلة بين الآباء والابناء قد يكون عاملا من عوامل الجنوح، وربما كان أسوأ من ذلك مصير الأطفال الذين لا يتمردون أو يردّون الاساءة، بل يتحملون آلامهم في صمت وعلى صورة قلق ومخاوف».

وهكذا يتضح لنا من هذه الدراسات التربوية وغيرها بعض أسرار ما رأينا من التربية النبوية، وبعض حكمها، حين عاتب رسول الله ﷺ بعض الاعراب الجفاة الذين لا يقبلون الأطفال ولا يرحمونهم بل هدد بعضهم بأن لا يرحمه الله فقال «من لا يرحم لا يرحم» ووصف البعض الآخر بأن الله قد نزع الرحمة من قلبه بل اننا لندرك بعض حكم القرآن العظيم حين جعل من أهم نتائج الحياة الزوجية ايجاد جوّ من المودة والرحمة يترعرع فيه الاطفال وينبتون نباتاً حسناً، وتنمو نفوسهم نموا سويا لا يعرّضهم للجنوح أو النقمة أو القلق فقال تعالى ﴿ومن آياته أن خَلَقَ لكم من أنفسِكُم أزواجاً لتسكُنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة..﴾ (الروم: ٢١)

كما يتضح لنا سر توجيه رسول الله ﷺ الى العدل بين الأولاد في المحبة والعطاء وكل ما يدل على المحبة من تصرفات، فيما رواه عنه النعمان بن بشير وذلك لئلا يتعرض بعضهم إلى الحقد على أخيه أو الجنوح، أو الشعور بالمهانة أو القلق، أو نحو ذلك من الآلام والأزمات النفسية ومن أساليب المحبة النبوية مخالطة الأطفال والسلام عليهم تألفا لقلوبهم وادخالا للسرور على نفوسهم.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه «وكان طفلا يخدم رسول الله ﷺ» إن كان النبيّ ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير يا أبا عمير ما فعل النُّغير؟»

(اسم طير كان يلعب به) (صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب الانبساط الى الناس) وفي هذا قدوة للمدرس والمربي لئلا يتعالى على طلابه أو أبنائه بل يخالطهم ويفهم مشكلاتهم ويشعرهم الاهتمام بأمورهم وأي شيء أفضل من هذا الأسلوب لكسب محبة الناشئين واستمالة قلوبهم الى الله فيصبح بذلك مسموع الكلمة عندهم، محطاً لقبول نصائحه، موطنا لاستجابتهم له إذا دعاهم إلى الله.

٤ - الحاجة الى الانتماء:

وهو ارتباط الطفل بمجتمعه على أساس شعوره بالصلة التي تصله بفرد يحميه كالأب، أو بمؤسسة أو هيئة اجتماعية يعتز بها كالاسرة أو الأمة. وقد أقر الاسلام صلة القربى وأمر أن يدعى الولد لأبيه، فقال تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله﴾ فاعتبر هذه الصلة أساساً لارواء الحاجة الى الانتماء عند الانسان سيراً مع فطرته التي فطره الله عليها وقد ثبتت هذه الفطرة لدى علماء النفس المحدثين كما رأينا فيما نقلنا آنفا عن (آرثرت جيرسيلد) قوله «فالشخص يظل طيلة حياته تَوّاقاً الى اليقين بأنه مرغوب فيه وبأنه ينتمي الى جماعة معينة ويستطيع الاعتماد على ولاء سواه واخلاصه». بيد أن الاسلام يسمو بهذا الانتماء والولاء فيقيمه على أساس رباني كالانتماء إلى الله والانضواء في كنف ولايته، لنيل نصره وحمايته فيجب على الابوين والمجتمع المسلم غرس هذا المعنى في نفس الطفل أول ما يشتد عوده وينضج تفكيره وشعوره الدينيّ فيوحي اليه المربي عن طريق القصص القرآني ان الله ينصر رسله والذين آمنوا دائماً وفي كل المواقف التي يثبتون فيها على ايمانهم ونصرة دينهم...

وأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم وكذلك عن

طريق قصص السيرة النبوية والمغازي وسلوك عظماء الصحابة والتابعين كالصحابي الذي قال:

دعّـي القـوم ينصر مـدّعيـه ليَلحقـه بـذي الحسـب الصميم
أبي الاسلام لا أب لي سـواه اذا افتخـروا بقيس أو تميم

وكذلك يجب أن يعيش الطفل في مجتمع متكافل على أساس هذا الولاء فيشعر أن الآخرين وخاصة الكبار يحبونه بمقدار ما يثبت ولاءه لله ولجماعة المسلمين ويتفانى في الدعوة الى الله والدوام على طاعته. كما يجب أن نحدّثه عن حاضر العالم الاسلامي ومشكلات الامة الاسلامية وأن نتألم أمامه لما يؤلم أي قطر اسلامي، يحاول المستعمر الصليبي أو الصهيوني أن ينتزع الاسلام من صدور أبنائه، وان نكثر من اقتناء المجلات التي تهتم بشؤون المسلمين في جميع اقطار الأرض اهتماماً خالصاً لله ونضعها بين أيدي أبنائنا وطلابنا..

٥ ـ الحاجة الى اللعب:

اللعب لون من النشاط الترفيهيّ، يخرج اللاعب فيه من بعض تبعات الأنظمة الصارمة ويعفي نفسه من الأهداف الضاغطة التي تصاحب النشاط الجدّيّ عادة فاللعب نشاط قد تحرر مؤقتا من ملاحظة الغاية والتقيد بالأنظمة.

وقد اختلفت غايات اللعب وتنوعت النظريات التي تفسره: ولعل أقربها الى الصواب النظرية الاعدادية، فالالعاب الحربية تعتبر إعداداً للقدرة على المقاتلة الحقيقية وألعاب البنات تُعدّهن ليكنّ في المستقبل أمهات وان كنّ لا يعرفن هذا الهدف تماماً في الطفولة المبكرة.

وللّعب حاجة غريزية في النفس، أودع الله عند الطفل (والكبير

أحيانا) ميلا قويا الى تحقيقها لحكمة يريدها الله، إما لاعداده وإما لصرف طاقاته الزائدة بأسلوب يقوي جسمه واما لتهدئة أعصابه واستعادة نشاطه وتغيير جو قاتم سيطر على نفسه.

وأيا كانت الحكمة التي يفسر بها اللعب فان الاسلام والتربية الاسلامية قد راعيا هذه الغريزة عند الناشيء. وكان رسول الله ﷺ يراعي، عند معاملة الأطفال، حاجتهم إلى اللعب والمرح ففي صحيح البخاري عن عائشة قالت:

«دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنّيان بغناء بُعاث، **فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه، فدخل أبو بكر فانتهرني وقال:** «مزمار الشيطان عند رسول الله (ﷺ)؟» فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال «دعهما» فلما غفل غمزتهما فخرجتا.

وكان يوم عيد يلعب السودان بالدّرَق والحراب، فإما سألتُ النبي ﷺ واما قال «أتشتهين تنظرين»؟ فقلت «نعم» فأقامني وراءه خدّى على خده وهو يقول «دونكم يا بني ارفدة» حتى اذا مللت قال «حسبك؟» قلت: «نعم» قال: «فاذهبي[1]» وفي رواية أخرى له أيضاً قالت عائشة (معلقة على هذا الحديث) «فاقدروا قدر الجارية الحديثة السنّ، الحريصة على اللهو[2]» وفي هذا الحديث امران تربويان:

١ ـ مشروعية اللعب الحربي للرجال لما فيه من تسلية وقوة في وقت معا.

٢ ـ مشروعية اللهو والغناء البريء المباح والتفرج على اللعب للصغار لما

---

(١) صحيح البخاري ـ كتاب العيدين وانظر شرح صحيح الامام مسلم للامام النووي ج ٦ ص ١٨٥ ـ ١٨٦ كتاب العيدين.

(٢) صحيح البخاري كتاب النكاح وصحيح مسلم كتاب العيدين.

فطروا عليه من الحرص على اللهو كما صرّحت بذلك السيدة عائشة.

وهكذا أخذت التربية الإسلامية هذه الحاجات بعين الاعتبار على حين كانت التربية الأوربية في القرون الوسطى تعاقب الأطفال على فرط حيويتهم ولهوهم ولعبهم وتعتبر ذلك ناشئاً عن شيطان يدنس نفس الطفل؟...!

ثانياً ـ مشكلة الحرية والنظام وعلاجها في التربية الاسلامية:

١ ـ معنى الحرية ومنشؤها وحاجة التربية اليها:

يكون الكائن حرا عندما يتحرك من تلقاء نفسه: ويتصرف منطلقاً متحرراً من أي قيد ملزم قاهر، أو سلطة خارجية اجبارية.

والحرية بهذا الشكل المطلق لا توجد في عالمنا الا في الذهن البشري، ولا تنسب الا الى خالق العوالم والأكوان. فهو وحده المتّصف بالمشيئة المطلقة المجردة من أي قيد أو شرط خارج عن ذاته وسلطانه.

ولكن الشعور بالتمتع بالحرية هو الأمر الذي يحتاج اليه كل انسان... فكل كائن حي، ينمو، وكل نمو يحتاج الى حركة يقوم بها الكائن من تلقاء نفسه. وكلما احسّ الانسان، ابان نموه ونشاطه، بالنجاح التلقائي والوصول الى اهدافه من غير مساعدة، ازداد ثقة بنفسه، وازداد طلباً للمزيد من النجاح والاعتماد على النفس، وهذا أمر نابع من طبيعة الانسان وفطرته.

وهو أمر يساعد على نمو مدارك الناشيء ونمو شخصيته وسرعة تقدمه في مجال التربية والتعلّم. ولذلك كانت عملية التربية لا تتم بشكل سوّي الا إذا كانت مصحوبة بقدر كاف من الحرية المعتدلة تعطى للناشيء أثناء تربيته وتعلّمه، وقد رأى علماء التربية وعلم النفس المحدثون أن

الحرية حاجة من حاجات الطفولة الفطرية، وهي الحاجات التي لا بد من اروائها ليعيش الطفل حياة سوية وينمو نمواً طبيعياً.

فلو وضعنا طفلاً في غرفة تحوي كل الالعاب والمآكل المحببة اليه ثم أغلقنا الغرفة وشعر الطفل بأنها موصدة لا يستطيع الخروج، لاتجه الى الباب يقصد الخلاص من هذا السجن تاركاً كل ما يليه من لذات ومسرات...

٢ ـ معنى النظام وضرورته:

عرفنا أن الحرية حاجة من حاجات الطفولة، ولكن يجب أن نعرف أيضا أن هناك حاجة أخرى تقابلها ولا تقل عنها أهمية هي الحاجة إلى السلطة الضابطة الموجّهة:

فكل طفل يشعر بحاجة في قرارة نفسه الى من يرشده ويوجهه، وهو يتجه، لارواء هذه الحاجة إلى الكبار لشعوره بأن عندهم ما ليس عنده من العلم بالأمور، ولذا فهو يأنس الى رأيهم ويرغب أن يرشدوه الى ما ينفعه، وينبهوه الى ما يضره..

وقد يبدو عليه التردد والقلق والحيرة والارتباك اذا لم يجد من يروي عنده هذه الحاجة، ويتلفت ينظر إلى من حوله كأنه يسترشدهم أو يرجو موافقتهم...

فإذا كبر الانسان ولم يكن له أي سلطة ضابطة طوال طفولته، أضحى مترددا ضعيف الشخصية، تعوزه الارادة والقدرة على التصميم، والأخلاق الثابتة المستقيمة، والعزم والحزم والثبات.

والنظام هو مجموعة الارشادات والتعليمات والأوامر التي تصدر عن

السلطة الضابطة الموجهة، وتتكرر، ويتكرر تطبيقها على شكل يجعل الحياة أسهل وأجدى وأكثر اختصاراً للجهد والوقت، ويجعل المجتمع أكثر تفاهماً وتعاوناً بين أفراده، ويضبط حياة الفرد ودوافعه ويرسخ عنده الاخلاق الحميدة والعادات المفيدة، وينفي عنه التردد والكسل.

٣ ـ عرض المشكلة:

إذا كان لكل من الحرية والنظام جذور فطرية واستعداد أودعه الله في نفس الكائن البشري فما وجه المشكلة؟ ولماذا نضع هذا البحث في عداد المشكلات التي تحلها التربية الاسلامية؟

الواقع ان المشكلة تتجلى في الأسئلة التالية التي يضعها كل باحث في هذا الموضوع:

(١) ما هي الحدود التي يجب أن يقف عندها كل من الحرية والسلطة الضابطة.

(٢) من يكون مصدر الأنظمة؟

(٣) ما هي المسوغات النفسية لتقبل هذه الأنظمة.

(٤) ما هي الروادع والزواجر عندما تخالف الأنظمة.

(٥) ما هي المرغبات والمكافآت؟

(٦) كيف يتحقق استمرار النظام في حياة الفرد والمجتمع، اي كيف نربي الأجيال على الحرية والنظام في وقت معا؟

وقبل البحث عن حلول لهذه الأسئلة يجب أن نعرف مصدر الحرية والسلطة ومعناهما في التربية الإسلامية.

٤ ـ الحرية في عرف الإسلام وفي ميزان التربية الإسلامية:

على أننا لو رجعنا إلى أسس التربية الإسلامية لوجدنا أن نظرة

الإسلام إلى الإنسان مبنية على الكرامة والحرية، إلى جانب عبوديته لله. وأن العبودية لله هي التي تحرر الإنسان من كل الطواغيت والقيود البشرية والمادية والدنيوية.

وأن هذه العبودية لله وحده يجب أن تبنى على التذكير والاختيار لا على السيطرة والاجبار ﴿فذكر انما أنت مذكر، لست عليهم بمصيطر﴾ (الغاشية ٢١، ٢٢).

ومما يدل على ذلك أيضاً أنه لما ضاق صدر رسول الله ﷺ واستبطأ استجابة قريش لدعوته خاطبه الله جل جلاله بقوله: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا! انّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم: أيّهم أحسن عملا؟﴾ (الكهف ٦, ٧) فبين الله أنه خلق الانسان وخلق له الأرض وما عليها ابتلاءاً له واختباراً. ومعلوم أن الابتلاء والاختبار يقتضي حرية الاختيار، وعلى ذلك كله ينبني الحساب والجزاء.

فالحرية هنا هي القدرة على الاختيار بين الخير والشر انها ميزة وهبها الله للانسان، وموهبة فطرية لا تعطي ثمارها الا بايجاد الجو الصالح والفرص المناسبة لها ليتم الاختيار، في جو من التفكير السليم، انطلاقاً من المرئيات والمشهودات الى ما تدل عليه من عظمة الله وضرورة الخضوع له وتوحيده.

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت؟ وإلى السماء كيف رفعت وإلى الأرض كيف سطحت؟ فذكر انما انت مذكر، لست عليهم بمصيطر﴾ (الغاشية ١٧، ٢٢). ثم انها حريّة موجّهة هادفة، غايتها الشعور بالمسؤولية، وبالتعرض للحساب على هذه الحرية، وعلى كل ما أعطانا الله معها من النعم في هذه الحياة. ﴿ان الينا ايابهم ثم ان علينا

حسابهم﴾ (الغاشية ٢٥ ، ٢٦) . وبهذا المفهوم تكون الحرية منطلقا من منطلقات الحياة والتفكير ، وحافزا على الجد والعمل وحسن التدبير ، وعلى اليقظة والوعي ، والتسامي والحذر ومن هذا ندرك ان الاسلام لم يكتف باعطاء الحرية للانسان لكي يتوصل بنفسه الى الايمان بالخالق وبضرورة توحيده بالعبادة ، بل جعله مسؤولا عن تطبيق هذه العقيدة في سلوكه ، وعن توجيه حياته الوجهة التي تقتضيها .

٥ ـ المسؤولية وحدود الحرية:

وهكذا نجد أن كل حرية في الاسلام منوطة بمسؤولية . وهذا ما يجب أن يربى عليه كل ناشيء .

فحرية التفكير منوطة بالمسؤولية عن كل ادوات التفكير ، من سمع وبصر وعقل . والتسرع في الحكم بدون علم صحيح من الأمور المنهى عنها والتي يحاسب الانسان عليها ﴿ولاَ تَقْفُ ما ليسَ لك به علمٌ . إنّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلٌّ أولئكَ كانَ عنهُ مسئولاً﴾[١] .

وحرية العمل منوطة بالمسؤولية عن نتائج هذا العمل ان خيرا فخير وان شراً فشر .

﴿إعمَلوا ما شِئتُم إنّه بما تعمَلونَ بَصيرٌ﴾[٢] .

﴿فَمن يَعمَل مثقالَ ذرةٍ خيراً يَرَهُ . ومن يعمَلْ مثقالَ ذرةٍ شراً يرَه﴾[٣] .

وحرية الطعام والشراب محدودة بالمسؤولية عن الاسراف وعن شكر

---

(١) الاسراء ٣٦ (٢) فصلت ٤٠

(٣) الزلزلة ٩،٨

النعم وذكر اسم الله والابتعاد عن المحرمات من الأطعمة والاشربة.

﴿...وكُلوا واشربُوا ولا تسرفُوا إنهُ لا يحبُ المسرفينَ﴾[1]

﴿ولا تأكُلوا ممّا لم يُذكر اسمُ اللهِ عليهِ وانهُ لفسقٌ﴾[2]

﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير، وما أهلّ لغير الله به، والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة...﴾[3].

ولك الحرية في الكلام بشرط أن تبتعد عن الغيبة والنميمة والكذب وقول الزور واللغو والتفحش، والسحر، والتلفظ بكل سوء، وقل مثل ذلك في سائر ضروب السلوك.

٦ ـ التربية الإسلامية والسلطة الضابطة الموجهة:

أ ـ منشأ السلطة:

ان الكلام عن الحرية والبحث عن حدودها وما تستلزمه من المسؤوليات هو الذي يدلنا على المصدر الحقيقي للسلطة التي يحق لها أن تصدر أنظمة تنسق حريات الناس وتمنعهم من الشطط في استغلالها، او الطغيان بها.

فليست حرية الانسان مطلقة، انه ليس حر التصرف بكل ما يعنيه. بل أن هناك أشياء لا يملكها، وحدوداً لا يستطيع أن يتخطاها.

فحياة الإنسان التي تبدو له من أهم الأمور التي تخصه وتعنيه وحده، لا يستطيع أن يتحكم في مبدئها، ولا في نهايتها، ولا في

---

(١) الاعراف ٣٠

(٢) المائدة ٤.

(٣) الانعام ١٢١

كثير من نكباتها ومفاجآتها بل انه ليشعر بكل تأكيد أن هناك قوة فوق قوته وإرادة أو مشيئة فوق ارادته تفرض عليه الموت والحياة، والزلازل والأعاصير والفيضانات، والمرض والشفاء.... وأن عليه، على رغم ما يتخذ من الأسباب، أن يستسلم لهذه السلطة العليا. وهذا دليل من الأدلة على وجود الله وقدرته، وعلى وجوب الخضوع له، وتوحيده بالألوهية وبالقدرة المطلقة وبالتشريع لتوجيه حرياتنا ورسم حدودها وأهدافها، فهو المصدر الأول والحقيقي لجميع السلطات وكل ما سواه من الحكام والمربين والقواد والأغنياء والمخططين يجب أن يكونوا تبعا له، لأنهم لا يملكون ما يملك من القدرة والحكمة والغنى والحاكمية والقهر والجبروت، والابداع والقيام بتصريف كل ما في السموات والأرض. بل لأنهم تبع له في كل ما يملكون، ولولا أنه وهبهم قدرا من حرية الاختيار، ليبلوهم، لكانوا كالاشجار والاحجار والمعادن والأنهار والبحار، التي يسخرونها بما أودع الله فيها من خصائص جعلتها طوع أيديهم، وبما آتاهم الله من قدرة على تسخيرها ومعرفة ببعض أسرارها وسننها..

ب ـ مصدر الأنظمة ومسوغاتها النفسية:

نستنتج مما سبق أن التشريع الالهي، هو مصدر جميع الأنظمة التربوية لان الله هو السلطة العظمى المطلقة المهيمنة على حياة الانسان، ولأنه هو الذي خلقه ويعلم ما يصلحه وما يفسده...

وهذا أعظم مسوّغ يجعل العمل بهذه الأنظمة والدفاع عنها متعة يتحمس لها كل مرب وناشيء سار على خط التربية الاسلاميةوألزم نفسه بأهدافها لأن تحقيق هذه الأنظمة هو غاية كل مرب

وناشيء، ما دام يستهدف بذلك تحقيق مرضاة الله، والشعور بلذة طلب العلم، وتحقيق تزكية النفس والسموّ بها الى بارئها، والنهوض بالأمة الاسلامية وتحقيق مجدها وسؤددها والفوز بالجنة وبرحمة الله والنجاة من عذاب الله وناره وغضبه، ونحو ذلك من الأسس التربوية التي ربي عليها في حدود التربية الاسلامية.

وعلى هذا تصبح السلطة التنظيمية في التربية الاسلامية نابعة من نفس الناشيء والمربي فهي بذلك سهلة التطبيق مضمونة النتائج.

٧ ـ كيف يربَّى الناشيء على الحرية والنظام في ظل الاسلام:

أ ـ تربية الحرية في نفس الناشيء:

قد يقال ان الحرية شعور فطري بالحاجة الى الانطلاق وعدم التقيد، وهو موجود عند الهررة والطيور ومعظم الحيوانات، فلماذا نبحث عن أسلوب لتربية هذا الشعور عند الانسان؟

والجواب على هذا من وجهين:

أولا: لا بد لكل نزوع فطري من تهذيب وتوجيه. وتربية الحرية بهذا المعنى تعني توجيهها نحو الخير وتهذيبها بالشعور بالمسؤولية عنها. فلا يتعدى الناشيء بحريته حدود التعاليم الاسلامية، وبالتالي لا يتعدى العرف الاجتماعي الاسلامي السائد، ولا يؤذي المجتمع ولا يخرج على مصلحته ولا يطغى على مصالح الآخرين، وخير وازع لتهذيب النزوع الى الحرية: هو الخوف من الله واليوم الآخر، ومن الحساب والجزاء بين يدي أسرع الحاسبين.

ثانيا: الشعور بالحرية هو شعور بالكرامة، ونبذ لكل هوان أو ذل، وهو ناشيء عن الايمان بالأخوة الانسانية، فكل البشر ابناء

آدم، لا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى، ولا يستذل أحد أحدا، فالكل سواء تحت لواء رب العالمين، يعتزون بالولاء له، ويشعرون بعزة الانتماء اليه، فلا يقبلون استعباد اي بشر لهم، ولا يخضعون الا لمن يأتمر بامر رب العالمين.

وقد يمر الفرد، أو المجتمع، بأزمة تجعله يألف الذل والهوان فينطبق عليه قول الشاعر:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميّت ايلام

إن إيقاظ الاعتزاز بالله ورسوله والأمة الاسلامية خير وسيلة لتربية الشعور بالحرية والدفاع عنها والمطالبة بها عند فقدانها « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » وقصة عبد الله بن عمرو بن العاص والي مصر مع احد افراد الشعب المصريّ المسلم الذي سبقه في مضمار الخيل، فتلقى منه ضربة بالسوط فشكاه المصريّ الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، مشهورة، حين قال عمر بن الخطاب لعبد الله: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً وهي خير دليل على الاعتزاز بالحرية في ظل الاسلام.

ب ـ غرس النظام عند الناشئين في التربية الاسلامية:

يحتاج المربي لتحقيق النظام الى مراحل متعددة، فهو يعتمد على العوامل التالية:

١ ـ تربية النفس على الخضوع والطاعة للسلطة.

٢ ـ وتربية الارادة على التقيد بالمواعيد والتعاليم.

٣ ـ تربية الضمير[١] على تقديس النظام والدفاع عنه والتضحية في سبيله.

---

(١) هذه تسمية معاصرة، وللاسلام تسمية أخرى سنبينها في الصفحة التالية.

٤ ـ تربية العقل على البرهان على صحة هذا النظام والايمان بجدواه وضرورته، ولزومه لزوماً قطعياً لا مجال معه لأي شك أو تردّد، برهاناً تلقائياً صادراً عن قبول ورضى.

وقد توفرت جميع هذه العوامل في أسس التربية الإسلامية، وما على المربي إلا أن يجعل أنظمة المؤسسة التربوية التي يرعاها، ومناهجها ترتبط بل تعتمد اعتماداً كلياً على تلك الأسس التعبدية، والاعتقادية، والتشريعية، والأمثلة على ذلك كثيرة:

(١) كأن يجعل أهدافها تحقيقاً للغاية المثلى التي خلق الانسان من أجلها وهي اخلاص العبودية لله عز وجل، فيصبح النمو العقلي والثقافي موجهاً الى معرفة الله تعالى وآثار رحمته وقدرته في هذا الكون الرحيب ومعرفة شريعته وأوامره والنمو الجسمي موجها الى طاعة الله تعالى ونصرة دينه، والنمو العاطفي الوجداني موجها الى الخوف من الله ومحبته والخشوع له والخضوع لأوامره رغبة في رضاه ورهبة من غضبه، ويصبح مصدر هذا الخضوع هو السلطة العليا التي تصدر عنها جميع الأنظمة.

(٢) ويغدو تنظيم حياة الإنسان اليومية بما رتب الله له من عبادات يومية كالصلوات المفروضة في أوقاتها المحدودة، كما يصبح تنظيم أوقات المؤسسة التربوية ومواعيدها مرتبطاً بتحقيق الأهداف القريبة والغاية القصوى التي وجدت المؤسسة من اجلها.

ويجد الناشئون والعاملون في هذه المؤسسة مرونة في

أنفسهم وطواعية لهذه الأنظمة. لما ربوا عليه من تلبية نداء ربهم في الصلوات الخمس، وفي الصيام والحج، وبهذا تكون طاعة النظام والتقيد بالمواعيد وتنفيذ التعليمات بدقة شكلا من عبادة الله ما دام ذلك كله قد ارتبط فعلاً وقولاً ونية بتحقيق العبودية الخالصة لله تعالى.

(٣) على أن هذا التقيد، عن طواعية ورغبة، بجميع التعليمات والمواعيد الجزئية للنظام التربوي يحتاج إلى مصابرة ومرابطة وتذكير مستمر وجهاد للنفس، فهو لا يأتي فجأة، ولا بد له من وقت طويل، وصبر مرير. ذلك أن الاجيال الحاضرة ليست كلها قد ربّيت تماماً على أسس التربية الاسلامية.

فالعمل هنا يكاد يكون مزدوجا. فيجب على المربي أن يرقق القلوب ويذكر دائماً بالمعاني الربانية، وأن يربطها في الوقت ذاته بكل صغيرة وكبيرة من أنظمة المؤسسة التربوية وتعاليمها، ويوضح أنها وجدت تحقيقاً لتلك الغاية التي نؤمن بها جميعاً، ونعمل لتحقيقها ارضاء لرب العالمين...

ومن تكرار هذا التذكير والارتباط الوجداني المستمر بالله عز وجل، والذي يربط بين الناشيء والمربي، والخضوع المستمر للأنظمة الربانية خضوعاً مقترناً بالمحبة والرغبة والرهبة، ينشأ في النفس سلطة داخلية نازعة وازعة، تنزع باستمرار الى تحقيق هذا النظام والدفاع عنه والتضحية في سبيله وتزع صاحبها (أي تردعه) عن كل مخالفة لهذا النظام أو بعد عنه. ولعل هذه السلطة الداخلية هي ما يسمونه

(الضمير)، ويسميها القرآن والحديث (القلب)★.

(٤) أما البرهان العقليّ على ضرورة هذا النظام فيجب ان يسبق ذلك كله. فالبرهان العقلي على لزوم العبودية لله[1] والخضوع لسلطته التنظيمية في جميع أمور حياتنا، هو ما بدأ به القرآن، منتقلا من المشهودات التي نراها ونحسها، والتي تدلنا على عظمة الله وقدرته علينا، ورحمته بنا، ورزقه ايانا، ومنحه كل هذه النعم التي نعيشها ونَنعَم بها، إلى ضرورة اخلاص الطاعة له والعبودية لوجهه الكريم، والعمل بجميع ما أنزل على رسوله من تنظيم وتشريع، اصلاحاً لحياتنا، وتزكية لنفوسنا، وتحقيقاً لسعادتنا. فيجب ألا نتجاوز هذه المرحلة قبل تربية العقل على الايمان الجازم بكل هذه الأمور، ليبنى عليها ما بعدها من المراحل ويصبح الخضوع للنظام أمراً معقولاً.

٨ ـ عوامل النظام في القرآن والسنة:

ان من يتتبع آيات القرآن وسنة الرسول (ﷺ) يجد أن هذه العوامل موجودة في مصادر التربية الاسلامية وجوداً لا يرتقي اليه الشك:

(١) فالعامل العقلي هو الذي رباه القرآن بآياته المكية وتابع تربيته بالمدني منها، عندما ربى الايمان في النفوس عن طريق البرهان والنظر في آثار قدرة الله عزّ وجل، وألزم المشركين، بأسلوبه البرهاني الرائع، بضرورة اخلاص العبودية لله عز وجل، بعد أن

(★) كقوله تعالى: ﴿فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ وقول الرسول (ﷺ) (استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك)

(١) بسطنا ذلك في الاساس الاعتقادي والفكري من أسس التربية الإسلامية.

برهن على ربوبيته وبيّن اعترافهم بها، كما أن تعليل كثير من الأوامر والتشريعات وبيان فوائدها للبشر من أهم ما يدعم هذا العامل ويقويه.

(٢) والعامل الانفعالي العاطفي، انما ربّاه القرآن في النفوس بهذه الآيات المكية الداعية الى الايمان وبما تبعها أو رافقها من تربية للعواطف السامية بايقاظ الانفعالات الربانية كالخشوع والخوف والرغبة والرهبة وهكذا ربّى الاسلام في نفوس الصحابة النوازع والروادع الثابتة، فأصبحت قلوبهم (أو ضمائرهم) مصدراً ذاتياً لكل خير، ولكل استعداد للخضوع للنظام والسلطة دون وجل أو تردد، وللدفاع عن هذا النظام وفدائه بأرواحهم وأموالهم...

(٣) والعامل النزوعي الارادي تمّاه القرآن بالحض على اعتزام الطاعة والتضحية في سبيل الله، وعلى الصلوات والعبادات الراتبة التي بها ربّى الاسلام عند الناس ارادة جبارة، وعادات خيرة ثابتة، ودأبا واستمرارا على النظام والطاعة. حتى صار النداء للصلاة هو وسيلة للنداء للحرب أو لأي أمر جَلَلٍ يهمّ المجتمع الاسلامي.

ذلك أن الاستجابة لهذا النداء أصبحت جزءاً من كل نفس، وامرا يكاد يجري في العروق، في جميع كيان المؤمن الذي اعتاد أداء الصلوات والاستجابة لها في المساجد. فعلى من أراد تخريج جيل نظامي أن يربي الناشئين على أداء العبادات في أوقاتها والاستجابة لها حيث ينادى بها من غير تردّد ليضمن استجابتهم للأوامر والأنظمة المرتبطة بها وبطاعة الله تعالى.

وقد اعتمد العهد الاسلامي الأول، عهد الرسول وخلفائه

الراشـديـن، أسلـوب الاصطفـاف للصلاة والحرب، وتسـويـة الصفوف لئلا تختلف القلـوب، فكـان ومـا زال مظهـراً رائعـاً وأسلوباً حياً من أساليب ترسيخ النظام في النفوس يمتاز بما فيه مـن روابط اجتماعية، تـربـط بين القلـوب وتقـوي العـزائم، وتجسـد الاعتزاز بالمجتمع الإسلامي والولاء له، والتعاون معـه، وتـوحـد المشاعر..

ثالثاً ـ مشكلة الفراغ:

أ ـ منشأ الفراغ النفسي في نظر التربية الاسلامية:

لقد نشأت هذه المشكلة عن انعدام الهدف من الحياة، وعن الفراغ الفكري الناشيء عن انعدام التصورالصحيح لهذه الحياة وعدم معرفة سبب وجودنا فيها ومهمتنا الموكولة الينا في هذا الوجود ومصيرنا ومصير الكون والغاية من هذا التنظيم الرائع للكون ومن هذا الابداع العجيب الدقيق المحكم للانسان ولسائر الاحياء والكائنات..... (لماذا وجد كل هذا بهذه الدقة والاحكام؟).

ان بعد الناس عن الوحي الالهيّ والعقيدة الصحيحـة، وعجـزهـم، بسبب هذا البعد، عن الجواب الشافي لهذه الأسئلة (عن أصل الانسان ومصيره... ونحو ذلك...) وبعدهم عن الايمان الصحيح بخالق الكون وبمصيرهم ومسؤوليتهم عن هذه الحياة... كل ذلك هو سبب هذا الفراغ الذي يعانونه.

فليست مشكلة الفراغ مشكلة أصلية نابعة من فطرة الانسان، وانما هي مشكلة طارئة، نابعة من زيف الحضارة المعاصرة، كما نبعت مشكلة

التلوث في الجو والبحر ومشكلة الكثافة السكانية، ونحوهما مما يحاول العلماء اليوم وضع علاج لها ولكنهم لا يبحثون عن السبب الحقيقي لهذه المشكلات في أعماق النفس الإنسانية، فتأتي علاجاتهم كالمسكنات والمخدرات تلهي الانسان أو تشغله عن آلامه النفسية كاشباع ما يسمونه بالهوايات الفنية، وكاصطناع مشكلات كاذبة تعرض على شكل قصص أو أفلام خيالية. وقد تكون مثيرة لغرائز الانسان اثارة مدمرة لصحته أو مجتمعه كالغريزة الجنسية المنحرفة وغريزة حب التخريب والتدمير والقتل بغير حق وحب المغامرة الكاذبة التي لا تستهدف الخير...

ب ـ علاج المشكلة في التربية الاسلامية (التربية ملء النفس والعقل والوقت):

ان هذا المبدأ التربوي الذي طرحته التربية الاسلامية منذ أربعة عشر قرناً لا يعترف بوجود فراغ، ولا يترك للنفس الانسانية أي مجال للشعور بالفراغ. وهذا المبدأ هو المحصّلة اللازمة والنتيجة الطبيعية لكل أسس التربية الاسلامية ومبادئها التي شرحنا آنفا.

فالمسؤولية عن الحياة، والحساب بين يدي الله، والشعور بأن الدنيا دار اختبار وابتلاء، كل ذلك يجعل للحياة قيمة أسمى من أن يحصر الانسان همه في دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، أو سلطان يطلبه، أو رفاهية ينشدها أو مال يجمعه ويثمره، حتى إذا انتهى من أعمال الدنيا راح يطلب المغريات الكاذبة ليملأ فراغه النفسي! كلا! ليس الأمر كذلك في ظل التربية الاسلامية!.

إن التربية الاسلامية تربي الناشيء على أن ينظر الى كل ساعات الحياة ولحظاتها على أنها أمانة في عنقه، عليه أن يشغلها في الخير، وتربّيه على أن يجد لذة نفسية عظيمة كلما ساهم وسابق في عمل الخير أو دفع الشر عن

نفسه وأمته. فكل لحظة من حياته يتقرب فيها من ارضاء ربه هي متعة جديدة تشعره بالمزيد من قيمته عند الله الذي اوجده ليبلوه في هذه الحياة ثم يجزيه الجزاء الأوفى، كما تشعره باثره الطيب في المجتمع وفي البيئة والكون والانسانية. ﴿الذي خَلَق الموتَ والحياةَ ليَبلوَكُم أيُّكُم احسنُ عَملاً وهو العزيزُ الغفورُ﴾ (الملك ٧) وقد جعل الله التسابق في الخيرات نابعاً من نية الانسان وهدفه ووجهته: ﴿ولكلٍّ وجهةٌ هو موليها فاستَبقُوا الخيرات. أينما تكُونُوا يَأتِ بِكُمُ اللهُ جميعاً إنَّ الله على كل شيءٍ قَديرٌ﴾[1]. وربط هذا التسابق بمصير الانسان حين يأتي الله بجميع البشر ويعرف جميع اتجاهاتهم ونياتهم، كما ذكر في الآية. فهل يبقى بعد هذا مجال للشعور بأي نوع من أنواع الفراغ؟!

ولم يكتف الاسلام بهذه الأسس والمبادىء العامة التي تجعل الحياة دار اختبار ومسؤولية بل صرّح رسول الله (ﷺ) في مواقفه التربوية لصحابته بأن الانسان مسؤول يوم الحساب عن أيام عمره وطاقات جسمه وعقله، ونتائج سعيه... عن ابي بردة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما افناه؟ وعن علمه ماذا عمل به؟ وعن ماله: من اين اكتسبه؟ وفيما انفقه؟ وعن جسمه فيما ابلاه؟» رواه الترمذي. وقال: «حديث حسن[2]».

ج ـ التربية الاسلامية تؤقت للانسان يومه:

ولكي تسهل التربية الاسلامية على الناشىء اغتنام جميع اوقات العمر

---

(١) البقرة ـ ١٤٨

(٢) الترغيب والترهيب من الحديث لعبد العظيم المنذري جـ ٤ ص ١٣٥ ط مطبعة عيسى البابي الحلبي على ذمة محمد هاشم الكتبي.

فيما أمره الله . فقد نظم الله لنا حياتنا فقسم الزمن الى ليل ونهار وجعل لنا مهمة في كل من هذين القسمين فقال: ﴿وجَعَلنا اللَّيْلَ لِباساً﴾، وجعلنا النهارَ معاشاً﴾ (النبأ ١٠، ١١). ﴿هُو الذي جَعَلَ لكُمُ اللَّيلَ لِتَسْكُنوا فيه والنهارَ مُبْصِراً إنّ في ذلك لآياتٍ لِقومٍ يَسمَعونَ﴾ (يونس ٦٧) فجعل الليل للسكون النفسي والراحة والهدوء والنهار للسعي والجد وطلب العلم. ثم قسم النهار والليل تقسيماً مرتبطا بعبادة الله. فجعل طلوع الفجر مبدأ لليقظة والعبادة ثم طلب الرزق. وجعل صلاة العشاء نهاية المطاف في رحلة السعي والجد، والحد الفاصل بين السعي النهاري ونوم الليل فنهى الرسول (ﷺ) عن السمر بعد صلاة العشاء.

وقسم الرسول شطر النهار من الصباح الى الزوال الى ست ساعات: ففي صحيح البخاري وموطأ مالك: ان رسول الله ﷺ قال[1]: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح (في الساعة الاولى[2]) فكأنما قرّب بدنة. ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة. ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة. فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» فهذه خمس ساعات حدد فيها ثواب المبكرين الى الجمعة والساعة السادسة لخروج الامام وحضور الخطبة عندما يحين وقت صلاة الظهر.

وكذلك أصبحت الصلوات الخمس في التربية الإسلامية خير مقياس

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ ٢ ص ٣٦٦ واللفظ للبخاري.

(٢) هذه الزيادة في الموطأ. نقلها عنه الامام ابن حجر صاحب فتح الباري جـ ٢ ص ٣٦٦ وهي متممة لرواية البخاري لذلك ادخلتها في البحث بين قوسين، فهي من كلام الرسول ﷺ.

لتنظيم أوقات النهار . ذلك أن الله شرع الصلاة لتؤدى في اوقات محدودة .

قال تعالى: ﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم . فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾ (النساء ١٠٣) .

وكان جبريل قد حدد لرسول الله ﷺ أوقات الصلوات الخمس، ثم أصبح ذلك شعاراً للمجتمع المسلم بعد أن رباه رسول الله (ﷺ) التربية الإسلامية ودليل ذلك ما جاء في (باب مواقيت الصلاة) في صحيح البخاري:

حدثنا عبد الله بن مسلمة « قال: قرأت على مالك، عن ابن شهاب، أن عمر بن عبد العزيز أخّر الصلاة يوماً وهو بالعراق، فدخل عليه ابو مسعود الانصاري فقال: « ما هذا يا مغيرة؟! إني قد علمت أن جبريل نزل فصلى، فصلى رسول الله، ثم صلى فصلى رسول الله، ثم صلّى فصلى رسول الله، ثم صلى فصلى رسول الله ثم صلى فصلى رسول الله ثم قال بهذا أمرت؟[1] » .

فقال عمر لعروة: « اعلم ما تحدّث: أوَ إنّ جبريل هو أقام لرسول الله وقت الصلاة؟ » قال عروة « كذلك كان بشير بن ابي مسعود يحدث عن أبيه » .

د ـ التربية ملء العقل:

لم تترك التربية الاسلامية الخيار للناشيء في أن يفكر أو لا يفكر،

---

(١) فتح الباري « مصدر ذكرته سابقا » .

تفكيرا منطقياً استدلالياً . بل جعلت هدفه الوصول بعقله وبالادلة الواقعية والحسية الى معرفة عظمة الله وألوهيته والى الايمان باليوم الآخر . وجعلت التفكر في الكائنات ، واكتشاف بعض أسرارها وقوانينها لتحقيق هذه الغاية ، جزءاً لا يتجزأ من مهمتها التربوية . وبوسع هذا الهدف الشامل لكل الكائنات بما فيها الانسان نفسه ، أن يستوعب جميع الطاقات الفكرية على اختلاف ميولها ومراميها وأن يستقطب اليه جميع الباحثين المتخصصين مهما تنوعت اختصاصاتهم من طب الى فيزياء الى كيمياء الى جيولوجيا الى رياضيات الى علم حيوان الى الميكروفيزياء . . الى كل اختصاص يمكن أن يحدث . . . اليس كل مختص من هؤلاء يبحث في حدود السموات والارض؟ والله يقول:

﴿إنّ في خَلقِ السّمٰواتِ والأرضِ وَاختلافِ اللّيلِ والنّهارِ والفُلكِ الّتي تَجري في البَحرِ بِمَا يَنفعُ النَاسَ ومَا أَنزلَ اللهُ من السّماءِ مِن ماءٍ فَاحيَا بِهِ الأرضَ بَعدَ مَوتِها وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وتَصريفِ الرياحِ والسَّحابِ المسخّرِ بَينَ السماءِ والارضِ لآياتٍ لقومٍ يعقلونَ﴾ (البقرة ١٦٤).

﴿إنَّ في خَلقِ السّمٰواتِ والارضِ وَاختلافِ اللّيلِ والنَّهارِ لآياتٍ لأُولي الألبابِ الذينَ يَذكُرونَ اللهَ قياماً وقُعوداً وَعلىٰ جُنوبِهِم وَيَتَفكّرونَ في خَلقِ السَّمٰواتِ والارضِ ربَّنا مَا خَلقتَ هذا بَاطِلاً سُبحانَكَ فَقِنا عَذابَ النارِ﴾ (آل عمران ١٩٠ ـ ١٩١).

وهكذا لم يترك الاسلام جانبا من جوانب العقل الاّ ربّاه ووجّهه الى الخير والحق والمعرفة الصحيحة ، فأين تبقى مشكلة الفراغ أمام هذه التربية الفكرية التي تستغرق جميع الأوقات وتستهلك كل الطاقات؟!

هـ ـ التربية ملء النفس والمشاعر:

ايقظت التربية الإسلامية جميع عواطف النفس الانسانية وانفعالاتها وربتها ووجهتها الى الخير كالحب والعطف والاطمئنان والامل والرجاء ونحوها من الانفعالات الدافعة الى الخير.. والخوف والخشية والرهبة ونحوها من الانفعالات الزاجرة التي تردع عن الشرّ... وكالخشوع والخضوع ونحوهما من الانفعالات المنظمة التي تدعو الى طاعة الله والولاء له والسير في حدود شريعته. وقد بينا كيف[1] ألفت التربية الاسلامية بين جميع هذه العواطف والانفعالات وجمعتها في عاطفة سائدة ربانية وجندت في خدمتها جميع طاقات الانسان ووجّهتها كلها نحو تحقيق مرضاة الله، التي بها تتحقق سعادة الانسان وتستقيم حياته وتقوّي شخصيته مما لا يدع مجالا لأي فراغ نفسيّ عند الانسان... وما دمنا في البحث عن اطلاق جميع طاقات الانسان واحاسيسه فلا بد لنا من التعرف على رأي الاسلام في تربية الذوق الفني.

و ـ موقف التربية الاسلامية من الاحساس بالجمال:

يشير القرآن الى الجمال على أنه من نعم الله التي أوجدها لنا لنستمتع بها وذلك من خلال تعداد الفوائد والنعم التي جعلها في الانعام قال تعالى: ﴿والانعَامَ خَلَقَها لكُم فِيهَا دِفْءٌ ومَنافِعُ وَمِنها تَأكلونَ وَلَكُم فِيها جَمالٌ حين تريحون وحين تسرحون﴾ (النحل ٥, ٦) وحقاً: ان مما يبهج النفس تأمّل قطعان الماشية وهي تغدو مع اشراقة الشمس وتروح مع

---

(١) أنظر بحث أساليب التربية الإسلامية ـ التربية بالحوار العاطفي ـ كتاب أصول التربية الإسلامية ص ١٩٢، بل أنظر في صفحات من هذا السفر (الخاصة الرابعة) من خصائص التربية الإسلامية بعنوان (التربية الاسلامية موحدة للطاقات البشرية) ص ٩٩ ـ ١٠٨.

هدأة الأصيل. وحين تنتشر في الفَلَوات تأكل من رزق ربها وكذلك يشير القرآن الى اختلاف الوان الجبال والدواب والشجر والثمر ﴿وَمِنَ النَخلِ مِن طَلعِها قِنوانٌ دَانيةٌ وجناتٍ مِن اعنابٍ والزيتونَ والرُّمَّانَ مُشتَبهاً وغيرَ مُتشابهٍ انظُروا إلىٰ ثَمَرِه إذا أَثمَرَ وَينعِه...﴾ (الانعام ٩٩).

ويلفت الرسول ﷺ انظارنا الى ان الجمال من خصائص الذات الالهية، وأن تجمّل الانسان بالثوب الجميل مما يحبّه الله. فقد ثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: «ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا» قال: «ان الله جميل يحب الجمال». «الكبر بطر الحق وغمط الناس» رواه مسلم والترمذي[1].

وقد أنزل الله القرآن بأسلوبه الرائع الجميل فصرف الشعراء عن الشعر إبّانَ نزوله، والقصّاصَ عن القصص الجاهلي واخبار غزو القبائل، والحكماء عن حفظ سجع الكهان أو تعاطيه. وانساق الجميع في نشوة جمالية عاطفية مع آيات القرآن وسوره يرددونها، ويستمتعون بما فيها: من قصص ممتعة ووصف حي لمواقف القيامة وحوارٍ غنيّ بالحكمة والعبرة والمنطق السليم والحجج والبراهين، وتشريعاتٍ محكمة شاملة تزخر بالسعادة والحياة وعلاجٍ لكل موقف يحتاج الى علاج... فملأت التربية الاسلامية بهذا كل نفس بما تشتاق اليه من حب الجمال واستقطبت كل هواية فنيةعند كل ناشيء وفنان ووجّهتها نحو الخير والجمال..

---

(١) الترغيب والترهيب من الحديث جـ ٣ ص ٢٣٤.

ز ـ التربية باطلاق جميع الطاقات:

وهكذا لم تترك التربية الاسلامية أيا من الطاقات العاطفية والوجدانية ولا العقلية ولا الجسمية الا جنّدتها لتحقيق الهدف الاسمى من هذه التربية . مراعية في ذلك جميع الاعمار والطبقات محققة التوازن والانسجام وتوحيد هذه الطاقات وقد كناعرضنا لذلك في عدة مباحث ومناسبات ، بقي علينا هنا أن نوضح اطلاق العنان للطاقات الجسدية .

فالاسلام يعتز بالمؤمن القوي في جسده ويستغل بعض الاوقات التي تخلو من عبادة مفروضة ومن طلب الرزق ليمرن الناس على القوة الجسدية وحمل السلاح وكان رسول الله ﷺ يرعى بنفسه بعض سباقات الخيل[1] والعاب الحبشة بالحراب[2] في مسجده في ايام العيد وكان الصحابة ينظمون مباريات لرمي السهام[3] بعد صلاة المغرب ليتمرنوا على اصابة الهدف وهكذا كانت مظاهر (النشاط) والتسلية في التربية الاسلامية ، وسيلة للقوة والفروسية والبأس . وكانت الالعاب تعد اللاعبين للحرب أو لمواقف الحياة كما كانت العاب البنات تعدهن ليصبحن امهات ، فليس اللعب في الاسلام لقتل الوقت الذي يسمى اليوم (وقت الفراغ) فالوقت كله في الاسلام ثمين والمسلم مسؤول عن كل لحظة من لحظاته . فإذا أراد أن يريح عقله من عناء التفكير أو البحث العلمي لجأ الى لعب مفيد يجمع بين التسلية والاعداد وصرف طاقات جسمه فيما يعود بالنفع عليه وعلى مجتمعه . . .

---

(١) ص ١٠٦ أصول التربية الإسلامية للمؤلف .

(٢) شرح صحيح الامام مسلم للامام النووي ج ٦ ص ١٨٥ ـ ١٨٦ (كتاب العيدين) .

(٣) صحيح البخاري ج ١ ص ١٤٠ ط دار الفكر بدمشق .

رابعاً ـ مشكلة التقنيّة

أ ـ تمهيد:

التقنية أو التقدم التقني في لغة الحضارة المعاصرة معناه تطوير الانسان وتربيته حتى يغدو قادرا على استخدام قوى الطبيعة وطاقاتها ومخزوناتها، لتحقيق مصلحة أو فائدة فردية او اجتماعية لقوم أو فرد أو رهط من الناس، أو للانسانية جميعا.

وقد نشأ عن استخدام الآلة لتسخير قوى الطبيعة واستنباط النتائج التي تحقق مصلحة الانسان، مشكلات فردية واجتماعية، دعيت بمشكلات العمل: منها السأم والضجر، واستعباد الآلة للانسان ونشأت خلافات واحقاد بين العمال وارباب العمل. وكانت (التربية الاسلامية للتقدم التقني) قد وجهت الانسان توجيها رائعاً أبعد عنه جميع (مشكلات العمل المعاصرة) بل أصبح يهزأ بهذه المشكلات ويعجب لها كيف وجدت؟.

على أن السبب الرئيسي لمشكلات التقنية هو: عدم بنائها على أسس نفسية فطرية ثابتة، أو مبادىء، أو عقيدة راسخة توجه العمل التقني توجيهاً يشيع في النفس الرضا والحماسة للعمل، والمحبة والتعاون بين العمال وارباب العمل، والأمانة والثقة ونحو ذلك مما سنرى...

أسس التربية الاسلامية للتقدم التّقني:

تقوم التربية الاسلامية للتقدم التقني على مجموعتين من الاسس والمعطيات التربوية والنفسية.

١ ـ أسس فكرية تربي العقل على التفكير المنهجي المستنير وعلى استخدام قوى الكون وتسخيرها وشكر الله عليها . . .

٢ ـ وأسس نفسية تربي الانسان على احترام العمل والشعور بالمسؤولية وحب الاتقان، والتوجيه المهني، والتعاون على الخير مع اخيه الانسان، والقناعة والغنى النفسي والتكافل الاجتماعي وسنعرض مع كل طائفة من هذه الاسس الفكرية المشكلات المعاصرة التي تعتبر تلك الاسس علاجا لها .

ب ـ الأسس الفكرية للتربية الاسلامية التقنية:

يمتاز التصور الاسلامي عن الانسان والكون والحياة بالشمول والاحاطة والترابط المنطقي والتناسق والانسجام بين كل هذه التصورات؟ والناظم الاساسي الذي ينتظمها هو الايمان باله واحد هو الخالق والمسير والمدبّر والمبدع لكل من عالم الانسان وجميع عوالم الكائنات، مهما صغرت أو عظمت . والاساس الفكري للتربية التقنية في الاسلام يقوم على أربع دعائم:

(١) الايمان بوحدة سنن الله في الكون فجميع قوى الطبيعة تخضع لسنن موحدة أودعها فيها إله واحد فهي تنطبق وتتحقق في كل زمان ومكان من هذا الكون الكبير، والارض التي نعيش عليها جزء من هذا الكون، خلقها الله ورتب سننها وقدّر فيها أرزاقها ومعادنها واقواتها . . . وهذا الاساس هو الذي قام عليه التفكير العلمي في أوربا منذ عصر النهضة بعد أن اقتبسه الغربيون من علمائنا المسلمين، فاكتشفوا وحدة قوانين الكون . وهو اساس قائم على توحيد الله عز وجل . فمن البدهي أن يكون للكون بسائر جوانبه ومظاهره سنن واحدة، ما دام القائم على تدبير شؤونه ربا واحدا .

(٢) الايمان بأن كل ما في الكون مسخر للانسان وهذا الاساس هو المبدأ الذي قامت عليه الصناعة والتقنية في اوربا، فمنذ أن سعى الغربيون الى تسخير كل قوى الطبيعة، وجميع الاكتشافات العلمية والبحوث التي حددت سنن وقوانين هذه القوى، لمصلحة الانسان بدأت الثورة الصناعية في أوربا.

وكان القرآن هو السباق الى القول بمبدأ تسخير هذه القوى لمصلحة الانسان وقد ربّانا القرآن، بهذا المبدأ على الاستعداد العقلي للتربية التقنية.

ذلك أن كل آية من آياته التي تحكي لنا تسخير الله قوى الكون من أجلنا نقول للانسان: (استخدم حرارة الشمس التي سخر الله لك، واستخدم الرياح والانهار والحديد والجبال والبحار، وكل شيء سخره الله لك وجعل مفتاحه بيدك[1]) وهذه قاعدة تشمل كل ما في الأرض. ألم يقل الله تعالى:

﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً؟﴾ (البقرة ٢٩).

(٣) الشمول: وهو النظرة الشاملة التي تعتبر عمل الانسان وداره ومدينته وحياته جزءاً من الكون الكبير الذي تكتنفه العناية الالهية، تلك العناية التي كرّمت الانسان وجعلت له القيادة في الكون.

والشمول أيضاً: هو الشعور الشامل الذي يجعل مهنة الانسان وكسبه ومعمله ونظرته الى العمال أو صاحب المعمل جزءاً من مهمته التي خلق من اجلها وسخرت له هذه الحياة وجميع الكائنات لتحقيقها انها تحقيق العبادة لله، والعمل على نصر الله ورسله

---

(١) أصول التربية الاسلامية واساليبها للمؤلف ص ٤٣ ط دار الفكر بدمشق.

بتحقيق شريعته وعدالته في الأرض.

فإذا عرف الانسان مكانته السامية في العمل والحياة شعر بلذة العمل وأصبح للمعمل معنى في نفسه: انه جزء مسخر لتحقيق اهدافه السامية، انه جزء من كيانه النفسي المتحرر من كل عبودية، التواق الى كل سمو ورقي ونهضة صحيحة. وهذا الشعور هو الذي يعالج مشكلة استعباد الآلة للانسان غير المؤمن كما يعالج مشكلة السأم والضجر من الاقتصار على عمل معين رتيب يكرره العامل تكرارا آليا طوال يومه.

(٤) تربية العقل على الدقة والتقدير والحسبان:

هذا هو الأساس الرابع من أسس التربية الاسلامية للتقدم التقني ويقوم على الاعتقاد بأن سنن الله في تدبير الكون وتنظيم قواه، قائمة على تقدير وحسبان وترتيب مقنن وفق اقدار معينة: فالليل والنهار والشمس والقمر وسائر مظاهر الحركة الكونية والفلكية، كل ذلك خاضع لهذا المبدأ الرباني العظيم.

قال تعالى ﴿وآيةٌ لهمُ اللَّيلُ نَسلَخُ منهُ النهارَ فَإذَا هُم مُظلِمُونَ(*) والشمسُ تَجري لِمستَقَرٍّ لَها، ذَلِكَ تَقْديرُ الْعَزيزِ الْعَليمِ(*) والقَمرَ قَدّرناهُ مَنازِلَ حتّىٰ عادَ كالعُرجونِ القَديمِ(*) لا الشّمسُ يَنْبَغي لَها أنْ تُدْرِكَ القَمرَ، ولا اللَّيلُ سابِقُ النّهارِ، وكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحونَ﴾ (يس ٣٧ - ٤٠).

وكذلك جميع ما على الأرض من جبال وسهول ومياه ونبات مقدرة مقننة، وكذلك الكائنات الحية التي يرزقها الله: ما ينزل أرزاقها الا بقدر معلوم قال تعالى: ﴿والأرضَ مددناها وألقينا

فيها رواسيَ، وأنبتنَا فيهَا من كلِّ شيءٍ موزونٍ وجَعلنَا لكُم فيها مَعايشَ ومَن لستُم لهُ برازقينَ. وإنْ مِنْ شيءٍ الاّ عندنَا خزائنُه، ومَا نُنزلهُ إلاّ بقدرٍ مَعلومٍ﴾ (الحجر ١٩ - ٢١).

ان هذه التربية على الدقة والحسبان لكل شيء هي من اهم ما تحتاجه الحياة التقنية. فالصناعة الحديثة كلها قائمة على حساب وتقدير، وكل شيء فيها مقدر بقدر معلوم. وعلى العامل أن يقرأ درجات الحرارة والضغط والتمدد ويتقيد بكل الأرقام والمعلومات الحسابية التي تعطى له، أثناء عمله، مرة بعد مرة وكلما احتاج الأمر..

وما من تربية تغرس هذا المعنى في النفس كما تغرسه التربية الاسلامية غرسا شاملاً مستمراً، فكل اعمال الانسان في التربية الاسلامية محسوبة عليه: عمره وشبابه ووقته وماله... كل ذلك بالاضافة الى أن نظرته الى الكون هي في صميمها نظرة قائمة على التقدير والحسبان كما لاحظنا في الآيات السابقة وقد بيّن الله لنا كيف علّم الحساب للانسان بتكرار الليل والنهار وتقدير الاشهر القمرية والفصول الأربعة:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلنَا الليلَ والنهارَ آيتينِ. فَمَحَونَا آيةَ الليلِ وَجَعَلنَا آيةَ النهارِ مبصرةً، لِتبتَغُوا فضلاً من رَبِّكم، وَلتَعْلَموا عَدَدَ السِنينَ والحسَابَ، وكلَّ شيءٍ فصّلناهُ تفصيلاً﴾ (الاسراء: ١٢).

وقال سبحانه ﴿خالِقُ الاصباحِ وجَعَلَ اللّيلَ سكَناً والشَّمسَ والقمرَ حُسباناً ذلكَ تقديرُ العزيزِ العليمِ﴾ (الانعام ٩٦).

والحق ان علم الحساب قام في الاصل على تكرار الوحدات

المتساوية وعدها واضافتها بعضا الى بعض، إما على شكل مجموعات مختلفة العدد (الجمع) واما على تكرار مجموعات متساوية العدد (الضرب) .... الخ.

واقدم الوحدات المتساوية التي عرفها الانسان هي الايام والاشهر والسنوات، فهي رفيقة حياته، ومن تعدادها تعلّم الانسان الحساب، كما رأينا في الآيات الآنفة. وما زال المسلم يحسب أوقات النهار ويقسّم ساعاته ليعرف أوقات الصلاة حتى أصبح الحساب جزءاً من حياته اليومية. وعلى هذا يمتاز العامل الذي ربّي تربية اسلامية، بقابليته للثقافة التقنية، التي يجب ان تعطى له ليصبح صديقاً للآلة، حريصاً على جودة الانتاج واعياً لعمله لا يعتريه ملل ولا يأس، وبهذا تحل التربية الاسلامية أعظم مشكلة من مشكلات التقنية المعاصرة. مشكلة الملل والضياع من الآليات، التي كثيرا ما ينتج عنها ادمان السكر أو الانتحار عند الشعوب غير المؤمنة.

ج ـ الأسس النفسية النزوعية للتربية التقنية:

وهي التي تربي في الانسان أخلاقاً عملية كحب العمل، والجدية في الحياة والشعور بالمسؤولية، ونحو ذلك مما سنرى ولعل أول هذه الأسس وأهمها أثراً في التقنية والنزوع الى العمل:

(١) التربية الهادفة، المنزهة عن العبث:

انها التربية على الجد واستحضار الهدف. وتتضح هذه الجدية والتربية الهادفة في كل جوانب التربية الاسلامية: ففي التربية الفكرية نجد: أنّ نظرة الاسلام الى أصل الكون ومصيره وسبب

الخلق أبعد ما تكون عن الاهواء أو الاسباب الواهية، فالكون كله انما خلقه الله لهدف وغاية: قال تعالى: ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين(*) ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون﴾ (الدخان ٣٨ ـ ٣٩).

وهذه التربية تبعث في النفس دافعاً يجعل الانسان يبحث عن الاسباب والاهداف. فإذا كان الرب الذي لا يسأل عما يفعل قد خلق السموات والأرض لهدف واضح واجل مسمى، فجعل هذه الحياة الدنيا امتحانا للبشر، فاذا انتهى أجل الامتحان، أفنى الله هذا الكون، ثم يقوم الناس لرب العالمين ليحاسبهم...

اذا كان ذلك كذلك فأجدر بالانسان أن ينزه اعماله ومشاريعه في هذه الحياة عن العبث والضياع، وألا ينظر الى أمر ذي بال من امور هذه الدنيا الا ويبحث عن سببه وغايته.

والعلم الحديث، والتربية التقنية كلها قائمة على هذه النظرة الجادة التي تبحث عن اسباب الظواهر الكونية ونتائجها العلمية والصناعية..... وبهذه النظرة يربط العامل التقني بين كل مراحل الانتاج وينظر الى عمله نظرة تأمل وتفكير، ويقف منه موقف المهتم الناصح، والناقد المصحح، لا موقف العابث المتفرج.

وقد ربى الله في نفوسنا هذه الرغبة في معرفة الاسباب عندما بين الله لنا بعض الاسباب القريبة لبعض الظواهر الكونية، ثم ربطها بقدرته وهي (السبب الكلي والنهائي) فجمع لنا بذلك بين العلل والاسباب الكونية الظاهرةالمشهودة وبين التعليل بالقدرة الالهية، قال تعالى في تعليل نزول المطر واحياء النبات ﴿وَاللهُ

الّذي أرسَلَ الرّياحَ فَتثيرُ سَحاباً، فَسُقناهُ إلى بَلَدٍ مَيّتٍ، فَاحيَينا بهِ الأرضَ بَعدَ مَوتِها كَذلكَ النُشُور﴾ (فاطر ٩).

(٢) التربية على الاستقامة والشعور بالمسؤولية:

ان الشعور بالمسؤولية يتناول الحياة في التربية الاسلامية من سائر جوانبها فقد كرم الله الانسان وجعله مختارا بين الخير والشر، قادرا على تزكية نفسه وكلفه بتطبيق الشريعة الالهية وحمله هذه الامانة ليمتحنه، وخلق الموت والحياة ليبلو الناس، وتظهر أعمالهم ثم يحاسبهم عليها، ﴿الذي خَلَقَ الموتَ والحياةَ ليبلوَكُم: أيُّكُمْ أحسنُ عملاً وهُو العزيزُ الغفورُ﴾ (الملك ٢) والانسان مسؤول عن جميع اعماله ﴿فَمنْ يعمَلْ مثقالَ ذرةٍ خيراً يرَهُ ومَن يعمَلْ مثقالَ ذرةٍ شراً يرهُ﴾ (الزلزلة ٨,٩) كما أنه مسؤول عن جميع أقواله تسجل عليه ليحاسب يوم القيامة ﴿ما يَلفِظُ من قولٍ الا لديهِ رقيبٌ عتيدٌ﴾ (ق ٧٨) وهذا الشعور مبني على الرقابة الالّهية التي لا تفارق الانسان ﴿ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوَس بهِ نفسُهُ ونحنُ أقربُ اليهِ من حبلِ الوريد﴾ (ق ١٦) مما يجعله شعورا أصيلا نابعاً من أعماق النفس بحكم تربيتها تربية اسلامية. والتربية التقنية أحوج ما تكون الى هذا الاخلاص الدائم في العمل والشعور الحقيقي الدائم بالمسؤولية، دون حاجة الى رقيب بشري.

وقد شملت التربية الاسلامية المسؤولية بشتى انواعها ولكن اهمها في نظر التربية التقنية:

المسؤولية عن المال، باعتباره مال الأمة[1] فهو أمانة في عنق ابنائها فلا يتلف العامل المسلم شيئاً من المواد الاولية ولا يهمل العناية بالآلة، لأن الله يحاسبه على ذلك كله.

والمسؤولية عن الوقت[2]، فيجب عليه أن يصرف وقته في العمل الذي تعهد به لصاحب العمل. وهو من أشد الناس شعوراً بهذا الواجب لأن الاخلال به يجعله غاشا، معاقباً معذباً في جهنم على غشه، والاسلام بريء ممن يقيم على الغش، ويستمر عليه وهو متعمد، عالم بذلك لقوله ﷺ « من غشنا فليس منا » رواه مسلم[3] بل ربما اعتبر خائناً للأمانة والله يقول: ﴿إنّ اللهَ يأمركُم أن تُؤدّوا الامانات إلى أهلِها﴾[4] أو غادرا بالعهد لقوله ﷺ « اربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: « إذا اؤتمن خان، واذا حدّث كذب، واذا عاهد غدر، واذا خاصم فجر » (متفق عليه)[5] والغادر يفضح بين جميع الخلائق يوم القيامة: عن ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم قالوا: قال النبي (ﷺ): « لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال هذه غدرة فلان » (متفق عليه)[6]. على أن التحذير من الغش والغدر ليس خاصاً بالعامل، بل يشمل العامل

---

(١) أوضحت ذلك في كتاب أصول التربية الإسلامية وأساليبها ص ٦٦ ط دار الفكر بدمشق.

(٢) كما أوضحت ذلك عند بحث (مشكلة الفراغ وعلاج الاسلام لها).

(٣) وهو جزء من حديث أوله « من حمل علينا السلاح فليس منا . . . » رياض الصالحين ص ٤٥٣ ط دار القلم ببيروت.

(٤) النساء ٥٧

(٥)، (٦) رياض الصالحين ص ٤٥٤ باب تحريم الغدر.

ورب العمل على السواء، فيحرم على كل منهما أن يغش الآخر أو يخونه أو يغدر بالعهد الذي عاهد عليه. وعقود العمل كلها عهود. من أخل بها فقد خان الأمانة وغدر بالعهد، وبالاضافة الى هذه النصوص العامة خص النبي ﷺ رب العمل بالتهديد والعقوبة اذا غدر بالاجير: كما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: قال الله تعالى: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل اعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً، فاستوفى منه ولم يعطه أجره» (رواه البخاري)[1].

هذه التربية على الشعور بالمسؤولية تجنّب الانسان جميع المشكلات القائمة بين العمال وارباب العمل، وتوفر على المجتمعات آلاف الخصومات ومئات المظاهرات والاضرابات التي تستنزف أموال الأمم والشعوب وتعطل مصالحهم، فلا ضرورة لها اذا شعر الجميع بالمسؤولية أمام الله، وأدوا واجبهم وحفظوا حقوق غيرهم. لذلك كله وجب أن تكون التربية الاسلامية من أهم أسس التربية التقنية والفنية في جميع المدارس الصناعية. فالصناعة، العارية عن الدين والخلق، كالسلاح بيد الجاهل الهائم على وجهه يعبث به، لا يرعى الاّ ولا ذمة، ولا يملك لنفسه زماماً ولا يعرف اين يتجه!!

(٣) التربية على حب العمل وتقديره واتقانه:

لعل من أهم مشكلات الجيل الاسلامي المعاصر كراهية الاعمال الصناعية

(١) رياض الصالحين ص ٤٥٤ باب تحريم الغدر.

والزراعية، والاقبال على الاعمال الادارية والتجارية، مع أن عصرنا عصر التقنية التي تقوم على وجود رغبة في العمل وهوى له، وشعور بأهميته ومكانته . . . ولكن الناشيء لا يشعر بأهمية العمل ومكانته الا إذا كان المجتمع كله يهتم بالعمل والعاملين.

لذلك ربّى رسول الله ﷺ المسلمين على هذا الاهتمام، فبيّن شرف العمل واهميته عند الله في مناسبات شتى، ويجب احياء هذه التربية لتخليص الأمة الاسلامية من الافتقار الى موارد الغذاء والآلات والمصنوعات، ومن أدلة هذه التربية ما صح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «ما بعث الله نبياً الا رعى الغنم» فقال اصحابه «وانت؟» قال: «نعم! كنت ارعاها على قراريط لاهل مكة» اخرجه البخاري في كتاب الاجارة، فبين الرسول (ﷺ) ان من شرف الانبياء ومكانتهم أن كانوا يعملون ويكسبون ويحترفون. وعن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال:

«ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده. وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» رواه البخاري وغيره[1].

وهكذا ربط النبي ﷺ هنا بين لذة الكسب وتحصيل القوت وضروريات الحياة، وبين شرف العمل، والعامة ماتزال منها طبقة على هذه الفطرة، تحب الكسب الحلال، وأن يغتذى المرء (من كد يمينه وعرق جبينه) كما يقولون.

وقد فضل الاسلام الكاسب الذي يقوم بأود المتعبد، على المتعبد الذي لا يعمل ولا يكسب، لما يدل عليه الحديث الآتي:-

عن أبي قلابة أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قدموا يثنون على صاحب لهم

---

(١) الترغيب والترهيب من الحديث لعبد العظيم المنذري ج ٢ ص ٢٢٧ ط هاشم الكتبي بدمشق.

خيرا : قالوا : « ما رأينا مثل فلان قط : ما كان في مسيرة الآ كان في قراءة ولا نزلنا في منزل الا كان في صلاة »! قال : ﷺ « فمن كان يكفيه ضيعته ؟ . . . . حتى ذكر ـ : ومن كان يعلف جمله أو دابته ؟ » قالوا : (نحن !) قال : فكلكم خير منه ! رواه ابو داود في مراسيله[1] ويقوي هذا الحديث في الدلالة على هذا المعنى قوله (ﷺ) « اليد العليا افضل من اليد السفلى . وابدأ بمن تعول » رواه الطبراني باسناد حسن وهو في الصحيحين وغيرهما[2] بنحوه من حديث حكيم بن حزام ، وهكذا ربط الرسول (ﷺ) شرف العمل بكرامة الانسان ، لأن العمل يعف صاحبه عن التسول ويجعل الأهل يعتزون بمن يعولهم . وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لأن يأخذَ أحدُكم أحبله فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه ، خير من ان يسأل الناس أعطوه أم منعوه[3] » رواه البخاري . فالعمل يحفظ للانسان كرامته ويشعره بعزة نفسه ، واستقلاله وقد علم رسول الله (ﷺ) انصاريا بشكل عملي اهمية الكسب ، وأرسله ليحتطب ، فعاد الانصاري وقد كسب عشرة دراهم فقال له رسول الله (ﷺ) (هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة[4]) . رواه ابو داود والبيهقي .

وقد جعل رسول الله ﷺ العمل من اجل الكسب جزءاً من الجهاد في سبيل الله : ان كان القصد منه شريفاً : عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : مرّ على النبي ﷺ رجل ، فرأى اصحاب رسول الله ﷺ من خلقه ونشاطه .

---

(١) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٧٠ بمطبعة دار احياء الكتب العربية بمصر .
(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ١٥ .
(٣) الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٢٢٧ ورياض الصالحين ص ٢٠٥ .
(٤) الترغيب والترهيب من الحديث ج ١ ص ٢٥٤ للامام المحدث عبد العظيم المنذري .

فقالوا « يا رسول الله: لو كان هذا في سبيل الله! فقال الرسول (ﷺ): « ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله. وان كان خرج يسعى على أبويـن شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وان كان يسعى على نفسه يعفّها فهو في سبيل الله. وان كان يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان » (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح[1]).

وقد حضّ الاسلام على النشاط في العمل والبكور اليه واتقانه عن صخر بن وداعة الغامدي الصحابي أن رسول الله (ﷺ) قال: « اللهم بارك لأمتي في بكورها » رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان[2] وقال رسول الله (ﷺ) « ان الله يحب اذا عمل أَحَدُكُم عملا أن يتقنه) رواه البيهقي في شعب الايمان عن عائشة[3] على أنّ احترام العمل وحبه لا ينبغي أن يقتصر على قصد كسب المال من أي طريق كان، فالتربية الاسلامية تعتبر كسب المال، كما رأينا، وسيلة لأهداف انسانية كالانفاق على الوالدين أو الأولاد والزوجة، كما انها حريصة على التقيد بآداب الاسلام في الكسب، كعدم الغش، وحسن التقديم والتقيد بالشروط والعهود ـ وفي هذا المعنى يقول رسول الله ﷺ (يا أيها الناس: ان الغنى ليس عن كثرة العرض[*] ولكن الغنى غنى النفس وان الله يؤتي عبده ما كتب له من الرزق. فأجمِلُوا في الطلب: خذوا ما حلّ، ودعوا ما حَرُم » رواه ابو يعلى[4] ولقد تركت هذه التربية النبوية اثرا في الاجيال الاسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين فقد كان

---

(١) الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٢٢٨

(٢) الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٢٢٨

(٣) صحيح الجامع الصغير للألباني ج ٢ ص ١٤٤ ح ١٨٧٦

(*) أي كثرة المال.

(٤) هذا الحديث عن أبي هريرة، الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٢٣٢.

عمر بن الخطاب يقول (أرى الرجل يعجبني، فاذا قيل: لا صناعة له سقط من عيني[1]).

وكان مشاهير علمائنا ذوي حرف وصناعات، فكان ابو حنيفة (بزازا). واشتهر من علماء اللغة (الزجّاج) وكانت بعض عواصم الاسلام مصدراً لبعض الصناعات، فقد نقل الاوربيون صناعة نوع من القماش ما زال اسمه مشتقا من (دمشق) (دامسكو).

خامساً ـ مشكلة الاعداد للحرب والسلم:

أ ـ عرض المشكلة:

تنبع هذه المشكلة من أن غريزة الغضب والمقاتلة والاستئثار بالخير، أصيلة في نفس الانسان، ومن هنا كان وجود الشر في المجتمع البشري امرا لا بد منه، وكان الاقتصار على المسالمة والموادعة، دون اعداد القوة للدفاع وردع الشر، أمر يؤدي الى التهلكة، بسبب استفحال الأذى واتساع نطاقه، كما يؤدي الى أن يسود الظلم، ويُحكَم الناسُ بشريعة الغاب، شريعة القسوة والوحشية وتغليب القوى على الضعيف لمجرد أنه قوي، وان كان غاصباً ظالماً طاغياً هاتكاً للاعراض، غادراً كافراً باغياً مستبداً...

على أن هذا الجانب النفسي من الميل الى الشر والظلم لم يقتصر على الأفراد بل تعداه الى الحكومات والجماعات المنظمة، وتسرب الى العقائد والأفكار.

فوجدت الدعوة الاسلامية نفسها «تواجه[2] جاهلية اعتقادية تصورية، تقوم عليها أنظمة واقعية عملية، تسندها سلطات ذات قوة مادية».

---

(١) التراتيب الادارية للكتاني (٣/ ٢٣)

(٢) سيد قطب: معالم في الطريق ص ٥٧ ـ ط دار الشروق ـ بيروت.

ومن ثم كان على التربية الاسلامية أن تعد جيلا[1] « يواجه هذا الواقع كله بما يكافئه »: « يواجه[2] هذا الواقع بالدعوة والبيان لتصحيح المعتقدات والتصورات، ويواجهه بالقوة والمقدرة والسلاح، لازالة الأنظمة والسلطات القائمة على تلك المعتقدات والتصورات الآثمة . . . تلك السلطات التي تحول بين جهرة الناس، وبين التصحيح بالبيان للمعتقدات، بل تخضعهم بالقهر والتضليل، وتعبّدهم لغير ربهم الجليل ». وهكذا كانت المهمة مزدوجة تقتضي تربية للدعوة والبرهان والبيان، وتربية للحرب ورباطةالجأش وقوة الجنان.

ومما يعقد هذه المشكلة أن على التربية الاسلامية أن تعد جيلا لا يسترسل - أثناء السلم - في النعيم، ولا يخلد الى الراحة فيفقد قوته وبأسه وقدرته على الجهاد، أو يفقد روح الجهاد، ولا يستسلم - أثناء الحرب - للغضب والأحقاد والوحشية فيصبح همه القتل والتعذيب ناسياً أهدافه السامية التي يجاهد من أجلها، وانسانيته، فاقداً كل رحمة أو رغبة في هداية الآخرين وانقاذهم من العبودية لغير الله . . .

ب - حل المشكلة:

ولحل هذه المشكلة يترتب على التربية الاسلامية اعداد المجاهدين - وهم ابناء الأمة الاسلامية جميعاً - بتعبئة قواهم الفكرية والجسدية باستمرار، وطاقاتهم النفسية للجهاد وتوجيههم الوجهة التي تجعلهم يجاهدون في سبيل الله، لا يحيدون عنها، ولا ينسونها، ولا يتوانون أو يضعفون عن تحقيقها، مهما كانت العقبات ،ومهما تضافرت عليهم المصائب والنكبات، وهذا لا يكون الا باعداد تربوي خاص له اساليبه وخطواته وأسسه وركائزه التي نقتبسها من الاسلام.

---

(١)، (٢) المصدر السابق نفسه.

الاعداد التربوي للجهاد المستمر

ان دراسة آيات الجهاد وأدلته في القرآن والسنة تدل على أنه، لا بد من بناء التربية الجهادية على أمور أهمها:

١ ـ وضوح الهدف الذي يجاهد الانسان لتحقيقه، وهو هدف التربية الاسلامية[١] وغايتها القصوى، ويمكن تلخيصها هنا بما يناسب الجهاد على النحو الذي عرضه سيد قطب[٢]:

«ان هذا الدين اعلان عام لتحرير (الانسان) في (الارض) من العبودية للعباد، ومن العبودية لهواه ايضا... وذلك باعلان ألوهية الله وحده ـ سبحانه ـ وربوبيته للعالمين»

٢ ـ ترويض النفس على تمثل هذا الهدف واخضاع جميع الطاقات النفسية: الفكرية والعاطفية والنزوعية، لتحقيقه.

وقد اصبح هذا من بدهيات الاعداد الحربي المعاصر، فجميع القيادات العسكرية تقريباً، تنظم للمجندين ـ اذا اقتربت الحرب ـ دورات عسكرية يؤدون فيها تمارين، ويقومون بهتافات حماسية، وندوات جماعية، تستمر فترة كافية في نظرهم لتعبئة جميع قواهم وتوجيه وظائفهم النفسية، وحماستهم نحو الحرب والقتال.

بيد أن هذا الاعداد المؤقت قد تنطفىء جذوته إذا استمر القتال وقتاً طويلا. لذلك نجد التربية الاسلامية تضع منهجاً لاعداد مستمر يجعل حياة الناشىء كلها جهاداً، فكلما دعا داعي الحرب وجدت الامة عندها

---

(١) سبق أن شرحناها في كتابنا (أصول التربية الاسلامية واساليبها)

(٢) معالم في الطريق ص ٥٩.

جيشاً منظماً متمثلاً أهدافه، عارفا بفنون القتال يقبل على الموت بمحض رغبته.

ولا يتحقق هذا المنهج ولا ذلك الاعداد، الا اذا ربي الناشيء على أن الحياة وجدت فعلا لتكون جهاداً مستمراً، وانبثق ذلك من عقيدته وايمانه بالله.

ج ـ الاساس الاعتقادي للجهاد المستمر:

نستشف مما تقدم ان هذا المبدأ التربوي ـ الجهاد المستمر ـ ينطلق من عدة أسس ومبادىء وتصورات اعتقادية بنيت عليها التربية الاسلامية وقد سبق ان شرحتها وبينت أدلتها وسنوردها هنا موجزة كما يقتضي البحث الذي نحن بصدده على النحو التالي: ـ

أ ـ الحياة دار ابتلاء واختبار: وهذا المعنى يمثل جانباً من جوانب العقيدة الاسلامية وهو يمثل أدنى مراتب الجهاد: ان يوطّنَ المرء حياته على ان الله خلق الانسان في الدنيا، وخلق الموت والحياة، ليختبر جميع البشر ويبلوهم ايهم احسن عملا، وعلى هذا تكون الحياة فترة مرحلية لا يفضلها المجاهد على الموت في سبيل الفوز بمرضاة ربه.

ب ـ مجاهدة النفس: وهي تربية الناشيء على تهذيب نوازعه وتوجيهها نحو مرضاة الله، وذلك انه لكي يكون هذا الاختبار عادلا، جعل الله الانسان قابلا للخير والشر قادراً على التمييز بينهما، وعلى اختيار احدهما دون الآخر فالجهاد هنا بذل الجهد لتغليب كفة الخير على الشر في النفس وفي السلوك ولو أدى ذلك الى التعرض للموت في سبيل الخير والحق.

ج ـ جهاد الشيطان واعداء الحق: وهو تربية الناشيء على الحذر من

وساوس الشيطان وهذا من تمام الامتحان والابتلاء فقد أوجد الله الشيطان على رأس دعاة الشر يوسوس في صدور الناس ويحضّهم على الشرك ويزينه لهم كما انه يجمع اتباع الشر ليقاوموا عقيدة التوحيد ويزينوا للناس باطلهم وشركهم وكفرهم بالله بشتى الاساليب والمغريات. ويتفننون في ذلك ويستعملون كل ما بلغته الحضارة والعلم، أو توصل اليه العقل والدهاء في كل عصر من العصور.

ومن طبيعة أعداء الحق في كل ملة من مللهم، أنه لا يهدأ لهم بال ولا يقر لهم قرار حتى يصرفوا أهل الحق أو العقائد الاخرى الى اعتناق عقيدتهم والانخراط في ملتهم ﴿وَلَن تَرضىٰ عنكَ اليَهودُ وَلاَ النَّصارَى حَتَى تَتَّبِعَ مِلتَهُم[1] ﴾ ﴿وَقَالُوا كُونوا هُوداً أَو نَصَارىٰ تَهتَدُوا قُل بَل مِلَّةَ ابراهيمَ حنيفاً ومَا كانَ مِنَ المشركين﴾[2]. وانهم ينفقون في سبيل ذلك كله ما أوتوا من أموال وطاقات وقوى مادية أو معنوية. ويجندون كل ما يستطيعون من جهود وجموع ومخترعات واستشارات ومؤامرات وانهم يعملون بصمت ويلجؤون الى الكذب والغش والخداع والمكر... وهكذا يتجلى الشر في أهدافهم ووسائلهم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطفِئُوا نُور اللهِ بِأفواهِهِم واللهُ مُتِمُّ نورِه وَلَو كَرِهَ الكافِرُون﴾[3].

د ـ الجهاد بالدعوة الى الحق ضرورة دفاعية ـ هجومية:

وازاء هذا الواقع الذي يتصف به أهل الكفر والباطل وأتباعه من الجنة والناس وجموعهم وحشودهم ونظراً لما تتمتع به الشريعة الاسلامية من صراحة واستقامة على الحق وايمان به، فقد اوجب الله على اتباع هذه الشريعة أن

---

(١) البقرة ١٢٠ (٢) البقرة ١٣٥

(٣) الصف ٨

يكونوا في كل الأحوال دعاة الى الحق الذي يؤمنون به ـ لانه ليس من المروءة ولا الانسانية أن يرى الانسان نفسه على الحق، وغيره على الباطل ثم لا يغير ذلك الباطل ولا يدعو اهله الى الحق. ولو سكت أهل الحق على الباطل لضعف ايمانهم بحقهم أو لتعرضوا لمغريات الباطل أو لهجوم أهله ومكرهم، فالدعوة الى الحق شكل من أشكال الجهاد لدفع الباطل والدفاع عن الحق. والتربية الاسلامية ـ على هذا ـ دعوة لجهاد دائم يصدر عن ايمان ويقين واعتقاد، في جميع الظروف في الحرب والسلم، لأن الباطل قائم لا يزول من الدنيا يزيّنه الشيطان للناس حتى تقوم الساعة.

هـ ـ الجهاد لاعلاء كلمة الله:

من أعظم مهام التربية الاسلامية الحقة تنشئة الجيل على الاعتزاز بالعقيدة الاسلامية والعمل بها والدعوة اليها والعمل على نشرها، وهذا هو الهدف الاساسي من الجهاد، لا لأجل الدفاع فقط، ولكن لتكون كلمة الله هي العليا ولتكون الغلبة والنصر دائما لها... ذلك أن للشريعة الاسلامية مكان الصدارة دائماً بين الاديان والملل الأخرى لأنها هي الحق وكل ما سواها من العقائد باطل. والحق لا يجوز أن يخضع للباطل.

قال تعالى: ﴿هُوَ الذِي أرسلَ رَسولَهُ بالهُدَى ودِينِ الحَقِّ، ليُظهِرَه عَلَى الدّينِ كُلّه ولَو كَرِهَ المُشركونَ﴾ (التوبة ٣٤ ـ الصف ٩).

وعن ابي موسى رضي الله عنه أن اعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟»

فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل

الله » (رواه البخاري ومسلم)[1].

وعلى هذا يجب أن يربى الناشيء المسلم، فلا يخضع لأي نظام آخر أو عقيدة أخرى غير الاسلام. ولا يعطي الذلة من نفسه طائعاً غير مكره، فان لم يستطع اقامة شعائر الله وجب عليه أن يهاجر إلى بلد تقيم شعائر الله لئلا يكون ممن وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم. قالوا فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض!» قالوا «ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها؟» «فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا».

و ـ الجهاد لاعلان الولاء لله ولرسوله ولنصرة

ابناء الامة الاسلامية:

وهو تربية الاجيال بعواطفها وتفكيرها، وسلوكها الفردي والاجتماعي على نصرة دولة الاسلام واعزازها واعلاء شأنها، وتربيتهم كذلك على نصرة المستضعفين أو الاقليات المسلمة التي تشاركنا الولاء لله ورسوله، وعلى الاهتمامات الاخرى التي تحقق هذا الولاء. لذلك جاءت الاشارة الى هذا الجهاد في القرآن الكريم مقرونه بالاشارة الى الهجرة، قال تعالى: ﴿إنَّ الذينَ آمنُوا وهاجروا وجَاهدُوا بأموالِهم وأنفُسِهم في سَبيلِ اللهِ والذينَ آوَوا ونَصَرُوا أولئك بعضُهم أولياءُ بعضٍ والذينَ آمنُوا ولَم يُهاجرُوا مَالكُم مِن وَلايَتِهم من شيء حتى يهاجروا وإنِ استَنصَروكُم فِي الدينِ فَعلَيكُم النصرُ إلا عَلَى قومٍ بينكُم وبينهُم ميثاقٌ واللهُ بمَا تَعملونَ بَصيرٌ﴾ (الانفال ٧٢).

وهذا الجهاد يقتضي تربية الناشيء المسلم على الاهتمام بالامة الاسلامية في

---

(١) الترغيب والترهيب من الحديث لعبد العظيم المنذري ص ١٢١ جـ ط عيسى البابي على نفقة محمد هاشم الكتبي.

جميع أصقاع الارض ودراسة أوضاعها بقصد العمل على انعاشها وانقاذها . . . كما يقتضي تربية الناشيء على تفضيل الاخوّة في الله والولاء للمسلمين والجهاد في سبيل الله على أي ولاء آخر أو مصلحة أخرى كما قال تعالى : ﴿قُل إن كانَ آباؤُكم وابناؤُكم واخوانُكم وازواجُكم وعَشيرتُكم وأَموالٌ اقترفتُموها وتجارةٌ تخشونَ كسادَها احبَّ اليكُم مِنَ الله ورسولهِ وجهادٍ في سبيلِهِ فَتَربّصُوا حتّى يَأتيَ اللهُ بأمرهِ. واللهُ لا يَهدِي القومَ الفاسقينَ﴾ (التوبة ٢٤).

ولعل أصرح آية تعلن مبدأ الجهاد من اجل اخلاص الوّلاء قوله تعالى : ﴿أم حسبتم أن تتركُوا ، ولمّا يعلمِ اللهُ الذينَ جَاهدُوا منكُم ، ولَمْ يتَّخِذُوا مِن دونِ الله ولا رسولهِ ولا المؤمنينَ وليجةً؟ واللهُ خبيرٌ بما تعملونَ﴾ (التوبة ١٦)

قال اسماعيل بن كثير الدمشقي في تفسير القرآن العظيم (ص ٣٤٠ ج ٢ ن دار المعرفة ببيروت) :

« وليجة . أي بطانة ودخيلة ، بل هم في الظاهر والباطن على النصح لله ورسوله » قلت : والنصح هو من اخلص معاني الولاء واشكاله .

ز ـ الجهاد للتربية على الصبر والفداء والتضحية

ولامتحان المؤمنين للدلالة على صدق إيمانهم :

من طبيعة النفس الانسانية التعلق بملذات الحياة ، والخلود إلى الراحة . والخروج الى القتال يقتضي ترك الملذات ، وتوطين النفس على المشقات وتعريضها للموت في سبيل الله : في سبيل هدف أسمى من هذه الحياة ألا وهو الخلود في النعيم والجنات ، والشعور برحمة الله ورضوانه وقد اقتضت حكمة الله أن يجعل الجهاد امتحاناً للايمان بالله ، وبما وعدنا الله من جنات النعيم حين اشترى منا أنفسنا ﴿إنَّ اللهَ اشترى منَ المؤمنينَ أنفُسَهُم وأموالَهُم بأنَّ لَهُمُ الجنَّةَ يقاتلون في سبيلِ الله فَيَقتُلونَ ويُقتَلونَ وَعداً عَليهِ حقاً في التوراة والأنجيلِ

والقرآن ومَن أوفَى بعهدِهِ مِنَ اللهِ فاستَبْشِرُوا بِبَيْعِكُم الَّذي بايعتُم بِهِ وذلكَ هوَ الفوز العظيم﴾ (التوبة ١١٢). ويبدو أن هذا الابتلاء عام في كل زمان لذلك جاءت الآيات فيه مطلقة شاملة لكل المسلمين ﴿آلم(*) احَسِبَ الناسُ ان يتركُوا أن يَقُولوا آمنّا وهُم لا يُفتَنُون؟(*) ولقد فَتنّا الذينَ من قبلِهم، فَلَنعلمنَّ الذينَ صدقُوا ولنعلمنَّ الكاذبينَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿أم حسِبتُم أنْ تدخُلُوا الجنّةَ ولما يعلَم اللهُ الذينَ جاهدُوا منكُم ويعلَمَ الصابرينَ﴾[2]. قال ابن كثير بعد الاشارة الى هذه الآيات: (والحاصل انه تعالى لما شرع الجهاد بيّن ان له فيه حكمة، وهي اختبار عبيده: من يطيعه ممّن يعصيه).

ح ـ الجهاد لتبليغ الدعوة لجميع أهل الأرض

ونشرها وتحقيق عالمية التربية الاسلامية:

قال تعالى يأمر نبيه ان يدعو جميع البشر الى اتباعه ﴿قُل يا أيُّها الناسُ إني رَسولُ اللهِ اليكُم جميعاً، الذي لهُ ملكُ السمواتِ والارضِ لا الهَ الا هوَ يحيي ويُميتُ، فآمنوا بالله ورسوله النبيِّ الاميِّ الذي يؤمنُ باللهِ وكلماتِه، واتبعوهُ لعلكُم تَهتدُونَ﴾ (الاعراف ١٥٧).

وقال سبحانه يأمر رسوله أن يثبت على الحق لنشر القرآن في جميع انحاء العالم ويجاهد الكفار بالدعوة اليه، ومحاجتهم بحججه:

﴿ولَو شِئنا لَبَعثنا في كلِّ قريةٍ نذيراً، فَلا تطعِ الكافرينَ وجَاهدهُم بِهِ جهاداً كبيراً﴾[3] فجعل القرآن وسيلة للجهاد. قال ابن كثير في[4] تفسير الآية

---

(١) العنكبوت ١، ٢، ٣.
(٢) آل عمران ١٤٢
(٣) الفرقان ٥١ ـ ٥٢
(٤) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٣٢١ للامام اسماعيل بن كثير الدمشقي ط دار المعرفة ببيروت.

الاولى ﴿ولو شئنا لبعثنا . . . .﴾ ولكنا خصصناك يا محمد بالبعثة الى جميع أهل الأرض وأمرناك أن تبلغهم هذا القرآن » ثم قال (وجاهدهم به) (يعني بالقرآن قاله ابن عباس) وهكذا يتبين ان اتباع الرسول ﷺ والعمل على حفظ القرآن وفهمه بقصد تبليغه للعالم شكل من أشكال الجهاد وخاصة إذا كان الهدف اقناعهم بدعوته والعمل بأوامره . . .

ط ـ الجهاد باعداد القوة:

وهو تربية الجيل على فنون الحرب وتحمّل المشاقّ واستخدام جميع وسائل الحرب الحديثة، والعيش في جو القتال والجهاد.

قال تعالى: ﴿واعدّوا لهم ما استَطعتُم من قوةٍ ومن رِباطِ الخَيلِ تُرهبُونَ به عدوَّ اللهِ وعدوَّكُم وآخَرينَ مِن دونِهم لا تَعلَمونَهُم . اللهُ يعلمَهُم ومَا تُنفِقُوا مِن شيءٍ في سبيلِ اللهِ يُوفَّ إليكُم وانتُم لا تُظلَمونَ﴾ (الانفال ٦٠) وعن عقبة ابن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله (ﷺ) وهو على المنبر يقول:

« وأعِدُّوا لهم ما استَطَعتُم من قُوةٍ » الا أن القوة الرمى الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي » (رواه مسلم وغيره)[1] .

وكان رسول الله ﷺ يشجع بنفسه المباريات التي تقام في الرماية: عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ في قوم ينتضلون فقال: « ارموا بني اسماعيل فان اباكم كان راميا . ارموا وانا مع بني فلان » فأمسك احد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله ﷺ مالكم لا ترمون؟ قالوا (كيف نرمي وانت معهم)؟ قال النبي (ﷺ) « ارموا وأنا معكم جميعاً » (رواه البخاري والدار قطنى وزاد) « فرموا عامة يومهم فلم يفضل أحدهم الآخر او

---

(١) الترغيب والترهيب لعبد العظيم المنذري ج ٢ ص ١١٠ (الناشر محمد هاشم الكتبي بدمشق).

قال فلم يسبق احدهم آخر[1]) وهكذا ربّى رسول الله ﷺ اصحابه على اتقان الرمي وما زال الرمي واصابة الهدف اعظم مظاهر القوة الحربية إلى يومنا هذا

وحذر رسول الله (ﷺ) من ترك الرمي : عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) « من عُلّم الرمي ثم تركه فليس منا » أو (فقد عصى) » رواه مسلم[2] .

ي ـ الجهاد في السلم والحرب:

يتبين من كل ما تقدم ان الجهاد والتربية على القوة والصبر تكون في حالة السلم اعداداً للحرب ، وفي الحرب دفاعاً عن السلم واعداداً له ، فإرهاب اعداء الله غايته ان تضعف شكيمتهم ويتشردوا فلا يصمموا على الحرب . والتنكيل بالاعداء يكف بأسهم ويشرد من خلفهم من الاعداء ، قال تعالى : ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُم فِي الحربِ فَشَرِّد بِهِم مَنْ خَلفَهُم لَعَلَّهُم يذَّكَّرُونَ﴾ (الانفال ٥٧) كما ان الجهاد بالعلم والحجة وتبليغ القران والشريعة الاسلامية يجب ان يسبق القتال . لأن غاية القتال افساح الطريق أمام الحق ليستتب وأمام دعوته لتنتشر ، وازالة عروش الطواغيت التي تخشى من ظهور الحق على سلطانها فتقف في سبيله .

واعداد الاجيال المسلمة يجب أن يكون دائماً مسلحاً بالقوة والايمان والعزيمة والصبر والتصميم على الجهاد والموت في سبيل الله . وبهذا وحده يرهبون عدو الله ويستردون حقوقهم ويدافعون عن مقدساتهم وينشرون دين الله . . . لقد اعدّ الله لأجيال الاسلام أسلوب التربية بالجهاد في كل الاحوال سلما وحربا : جهاد

---

(١) ، (٢) المصدر السابق نفسه .

النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد اعداء الحق، واعداد القوة للدفاع عن الأمة الاسلامية، ولاءً لله ولشريعته ولأخوة العقيدة..

فماذا طبقنا من هذه التربية الجهادية الربانية في مدارسنا؟ وماذا اعددنا لها في مجتمعاتنا؟ وماذا رصدنا لها من اموال في ميزانيتنا؟

أم اننا تركنا الجهاد واخلدنا الى الأرض؟ وما ترك قوم الجهاد الا ذلوا...

اللهم اهدنا الى الجهاد واصلح أحوالنا لقد أراد لنا اعداؤنا (أن نربي ابناء الصقور تربية بُغاثِ الطيور)!! ولا خلاص لنا من هذا الواقع الا بالرجوع الى تربيتنا الاسلامية، تربية الجهاد والقوة والعزة والكرامة وابتغاء الحق.

سادساً ـ قضية تعليم المرأة:

أ ـ تمهيد: عرض المشكلة:

تنشأ مشكلة تعليم المرأةٌ من اختلافات جذرية بين الرجل والمرأة، مما يدعو الباحث المحقق الى استقراء معطيات العلم للبحث عن طبيعة المرأة، وعن وظيفتها في الحياة والمجتمع، حتى يعرف: هل تتعلم أو لا تتعلم؟ وماذا يجب أن تتعلم؟

ولقد نشأت عن تجاهل طبيعة المرأة وتناسي الفرق بين تركيبها وتركيب الرجل، مشكلات رهيبة أودت بالانسانية في مهاوي التفكك والانهيار، فنزلت المرأة الى ميادين الرجال، وتخلت عن تربية الأطفال، وغفلت عن أنوثتها وخصائصها. ففسد المجتمع وفسد المنزل وشرّد الأطفال، وتفككت عرى الأسرة. وساءت الأحوال...

على أن هناك نقاط اختلاف ونقاط اتفاق بين الجنسين يجب ايضاحها لبناء البحث عليها:

١ ـ اختلاف التكوين البيولوجي بين الرجل والمرأة:

يوضح (اليكسيس كاريل) الاختلاف بين الرجل والمرأة من الناحية البيولوجية فيقول[١]:

(ان الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تأتي من الشكل الخاص للاعضاء التناسلية، ومن وجود الرحم والحمل. اذ أنها ذات طبيعة أكثر أهمية من ذلك. انها تنشأ من تكوين الانسجة ذاتها، ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيماوية محدّدة يفرزها المبيض) ويتابع اليكسيس كاريل بيان نتائج تجاهل هذا الفرق فيقول: (ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة الى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليماً واحداً وان يمنحا سلطات واحدة، ومسؤوليات متشابهة... والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل. فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها. والأمر صحيح بالنسبة لأعضائها، وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبي، فالقوانين الفيزيولوجية غير قابلة للتغيير، شأنها شأن قوانين العالم الكونية... فليس في الامكان احلال الرغبات الانسانية محلها. ومن ثم فنحن مضطرون الى قبولها.. فعلى النساء أن ينمّين اهليتهنّ تبعا لطبيعتهن، دون ان يحاولن تقليد الذكور. فان دورهن في تقدم الحضارة أثمن من دور الرجال، فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحدودة) ثم يقول... (يجب أن تعدّ المرأة لأداء وظيفتها التي لا تشتمل على الحمل فقط بل على رعاية صغارها)...

هذا بعض ما يميز تكوين المرأة الفيزيولوجي. على أن ما نتج عنه من

---

(١) من مقال في مجلة (الاعتصام) المصرية العدد الثاني عشر (ص ١٦ ـ ١٨) شعبان ١٣٩٧. بقلم علي القاضي.

اختلاف تكوينها النفسي أعظم . . . : يقول الاستاذ العقاد[1] : (ان المرأة لها تكوين عاطفي خاص لا يشبه تكوين الرجل . لأن ملازمة الطفل الوليد تستدعي شيئاً كثيراً من التناسب بين مزاجها ومزاجه ، وبين فهمها وفهمه ، وبين مدارج جسمها وعطفها ، ومدارج جسمه وعطفه . . . وذلك أصول اللب الانثوي الذي جعل المرأة سريعة الانقياد للحسّ ، والاستجابة للعاطفة . فيصعب عليها ما يسهل على الرجل من تحكّم العقل ، وتغلّب الرأي ، وصلابة العزيمة) .

٢ ـ افراط وتفريط في أمر المرأة:

وقد بالغت البشرية قديماً في التفريق بين مكانة الرجل ومكانة المرأة فجعلت الأول في الذروة والثانية في الحضيض فلما جاء الاسلام اعاد كل أمر إلى نصابه . ووضع كلا منهما حيث تقتضيه طبيعته وفطرته ودوره في الحياة . ولكن أوربا ظلت غارقة (في متاهات القرون الأولى) طيلة قرونها الوسطى ، قرون تردّيها في الظلام ، مما دعا دعاة (نهضتها) الى الافراط في المطالبة بحقوق المرأة بعد تفريط سلفهم بها . وظل الأمر كذلك حتى انغمست المرأة والمجتمع الغربي في حمأة الرذيلة من جراء تجاوزهم الحد الطبيعي في أمر المرأة . وقد قام المنصفون أمثال (اليكسيس كاريل) ينادون بتوجيه المرأة الى ما يناسب فطرتها وطبيعتها ودورها في الحياة ، على نحو ما أثبتنا آنفا . . .

٣ ـ أمور يتفق فيها الرجل والمرأة:

على أن المرأة اخت الرجل وشقيقته في الانسانية وان اختلفت عنه في التركيب والمزاج . فهي مسؤولة مثله عن حياتها ودينها وأولادها ومنزلها ومالها

---

(١) من تتمة المقال المشار اليه آنفا في مجلة الاعتصام .

وعن الاهتمام بقضية الامة عموماً والعمل على تحقيق اهدافها في حدود طبيعتها وامكانيتها، وفي هذا ورد الحديث النبوي: «النساء شقائق الرجال».

ب ـ حل المشكلة:

وهكذا يترتب حل المشكلة على أمرين: وجوب تعليم المرأة ـ وشروط تعليمها وآدابه.

١ ـ وجوب تعليم المرأة:

وعلى هذا ينبثق وجوب تعليم المرأة من مبدأ حفظ كرامتها، ومساواتها بالرجل، من حيث الاصل والمسؤولية.

اذ لما كانت المرأة مسؤولة أمام الله عن تطبيق أحكام الشريعة فيما فرض عليها من العبادات، كان لها الحق، بل عليها واجب تعلّم الأمور التي لا يتحقق الدين الا بتعلمها، كما بينا ذلك في شرح مبدأ وجوب التعلّم، على ان هذا التعلّم لا يلزم ان يكون بالقراءة والكتابة بل قد يكون بالبيان والمشافهة أو بأي وسيلة تحقق الهدف المنشود.

٢ ـ تعليم المرأة في صدر الاسلام:

امتحانها عند دخولها في الاسلام: لقد ضرب لنا رسول الله (ﷺ) مثلاً رائعاً في الاهتمام بتعليم المرأة. فكان لا يبايع النساء اللاتي كن في دار الشرك وجئن مسلمات، حتى يعلّمهن الشروط التي يبايعنه عليها، وحتى يمتحنهن ليعلم صدق إيمانهن. وهكذا شرع الامتحان في التربية الاسلامية منذ فجرها، ليكون أول امتحان جماعي وسيلة لمعرفة المؤمنات من المشركات. قال الله تعالى: ﴿يأيّها الذينَ آمنُوا إذا جَاءَكُم المؤمناتُ مهاجراتٍ فامتَحِنوهنَّ، اللهُ أعلمُ بإيمانِهنّ. فإنْ عَلِمتُموهنّ مؤمناتٍ فَلاَ تَرجِعُوهنَّ الى الكُفّار.....﴾

(الممتحنة ١٠) وقد سئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله (ﷺ) النساء، قال:

« كان يمتحنهن: باللهِ ما خرجتُ من بُغض زوج. وبالله ما خرجت رغبةً عن أرض وبالله ما خرجت التماسَ دُنيا، وبالله ما خرجتُ الا حبا لله ورسوله » (رواه ابن جرير بسنده)، ثم رواه من وجه آخر عن الاغرّ بن الصباح به وكذا رواه البزار من طريقه. وذكر فيه أن الذي كان يحلّفهن عن رسول الله (ﷺ) له: عمر بن الخطاب[١] وقال مجاهد (فامتحنوهن) فاسألوهن عما جاء بهن[٢]؟

٣ ـ تعليمها شروط قبولها في الاسلام للعمل بها:

لما انتهى الامتحان جاء دور البيعة وفيها تعليمٌ لأهم ما يجب أن تلتزم به المرأة من حدود الله وما يجب أن تنتهي عنه من المحرمات، لقبولها في المجتمع الاسلامي. وقد أمر الله رسوله بذلك: ﴿يأيُّها النَّبيُّ إذا جاءَك المؤمناتُ يبايعنَكَ عَلى ألاَّ يُشركنَ باللهِ شيئاً ولا يَسرقنَ ولا يزنين ولا يقتلن أولادهنّ ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهنّ وأرجلهنّ ولا يعصينك في معروف فبايعهن﴾[٣]. وقد وصفت لنا هذه البيعة فتاة حضرت مع امها. قال الامام احمد حدثنا ابراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن ابراهيم، حدثني ابي عن أمه عائشة بنت قدامة، قالت: انا مع أمي رائطة ابنة ابي سفيان الخزاعية والنبي يبايع النسوة ويقول: « ابايعكنّ على ان لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصينني في معروف » قلن نعم (فيما استطعتنّ) فكنّ يقلنَ

---

(١)، (٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٥١ ط دار المعرفة بيروت.
(٣) الممتحنة ١٢

وأقول معهم وأمي تقول لي « أي بنّيه » « نعم » فكنت أقول كما يقلْنَ[1]

فهذه حادثة كان فيها التعليم جماعياً ، فالرسول يأخذ العهد والنساء يجئن جماعة وعائشة بنت قدامة ابن مظعون مع امها تقول كما يقلن .

وفي رواية اخرى عن عروة أن عائشة زوج النبي(ﷺ)أخبرته « ان النبي (ﷺ) كان يمتحن من هاجر اليه من المؤمنات بهذه الآية : ﴿يأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ الى قوله ﴿غفور رحيم﴾ قالت عائشة : « فمن اقرت بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله (ﷺ) قد بايعتك على ذلك » هذا لفظ البخاري[2] وفيه دلالة على ان البيعة كانت فردية احياناً ، وأن الرسول (ﷺ) كان يأخذ بأسلوب التعليم الفردي أو الجماعي بحسب الحاجة .

٤ ـ حرية السؤال عند تعليم النساء :

وكان بعض النساء يستفسرن عن معنى بعض الفاظ العهد وفي هذا ما يؤيد أن هذا العهد كان تربوياً يربى نفوس النساء ، ودليل ذلك الحديث الآتي :

روى الامام احمد . . . عن سلمى بنت قيس ، وكانت إحدى خالات رسول الله (ﷺ) قالت جئت رسول الله (ﷺ) نبايعه في نسوة من الأنصار فلما شرط علينا ألاّ نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف قال : « ولا تغششن أزواجكن » قالت فبايعناه ثم انصرفنا . فقلت لامرأة منهن ارجعي فسلي رسول الله (ﷺ) « ما غِشّ ازواجنا ؟ » قال فسألته فقال « تأخذ ماله ، فتحابي غيره[3] » .

---

(١) تفسير القرآن العظيم للامام اسماعيل بن كثير ج ٤ ص ٣٥٣ ط دار المعرفة بيروت .
(٢) المصدر السابق ص ٣٥٢
(٣) المصدر ذاته ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣

وكانت بعض المعاهدات تناقش الرسول(ﷺ)يوم الفتح حين أخذ البيعة وكان عمر هو الذي يبلغ عن رسول الله (ﷺ) نصوص العهد. روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس أن رسول الله (ﷺ) أمر عمر بن الخطاب فقال: «قل لهن ان رسول الله (ﷺ) يبايعكن على الا تشركن بالله شيئاً»... فقالت هند زوج أبي سفيان وهي متنكرة «كيف تقبل من النساء شيئاً لم تقبله من الرجال؟ فنظر إليها الرسول (ﷺ) وقال لعمر «قل لهن ولا يسرقن» قالت هند والله أني لأصيب من أبي سفيان الهنات ما أدري أيحلّهن لي أم لا؟... الحديث[1].

وروى ابن جرير الطبري عن أم عطية الانصاري قالت: فقالت امرأة من بني فلان ان بني فلان أسعدوني. فلا! حتى اجزيهم. فانطلقت، فأسعدتهن (أي ناحت معهن) ثم جاءت فبايعت. قالت فما وفى منهن غيرها وغير أم سليم - أم أنس بن مالك[2]» وقد روى البخاري هذاالحديث عن طريق حفصة بنت سيرين، عن أم عطية نسيبة الانصارية[3].

٥ - مجالس علم للنساء:

وكان للنساء مجلس يجلس اليهن رسول الله (ﷺ) فيعلمهن أمور دينهن. ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري: قالت النساء للنبي (ﷺ) غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهن يوماً يعظهن فيه (فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن: «ما منكنّ امرأة تقدم ثلاثة من ولدها الا كان لها

---

(١) المصدر ذاته ص ٣٥٣ - ٣٥٤

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٥٥

(٣) المصدر ذاته ص ٣٥٥

حجابا من النار» فقالت امرأة «واثنين؟» فقال «واثنين»[1].

وقد عنون البخاري لهذا الحديث: «باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟» وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري: (ووقع في رواية سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة بنحو هذه القصة فقال: «موعدكن بيت فلانة»[2]).

فكانت هذه الواقعة سنة لجمع النساء على حدة لطلب العلم، في مكان معين وموعد معين.

٦ ـ تعليم المرأة القراءة والكتابة:

وكانت الشفاء بنت عبد الله ممن بايعن رسول الله ﷺ في مكة وكانت تتقن القراءة والكتابة، كما جاء في زاد المعاد:

«روى الخلال أن الشفاء بنت عبد الله كانت ترقي في الجاهلية من النملة فلما هاجرت الى النبي (ﷺ)، وكانت قد بايعته في مكة. قالت «يا رسول الله اني كنت أرقي في الجاهلية من النملة، وأني أريد أن أعرضها عليك» فعرضتها فقالت «بسم الله صلت حتى يعود من أفواهها. ولا تضرّ احدا. اللهم اكشف الباس ربَّ الناس»[3].

«وفي سنن ابي داود عن الشفاء بنت عبد الله قالت: دخل علي رسول الله (ﷺ) وانا عند حفصة. فقال: الا تعلّمين هذه رقيةَ النملةِ كما علمتيها

---

(١) ، (٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ ١ ص ١٩٥ ـ ١٩٦ (كتاب العلم باب ٢٦) ط المطبعة السلفية باشراف عبد العزيز بن باز.

(٣) ، (٤) زاد المعاد في هدى خير العباد لابن قيم الجوزية ج ٣ ص ١٤٥ ـ ١٤٦ ط البابي الحلبي بمصر.

القراءةَ والكتابـةَ (قـال ابن القيم وفي الحديـث دليـل على جـواز تعليم النسـاء الكتابة)».

ج ـ نتائج تربوية:

يستدل مما سبق على أمور هامة تتعلق بتعليم المرأة أهمها:

١ ـ أن المرأة كالرجل مسؤولة عن بيتها وولدها ودينها فعليها أن تتعلم كل ما تحتاج اليه لتحقيق عبادة الله وطاعته وهي تشترك مع الرجل في العمل على تحقيق هدف التربية الاسلامية في نفسها ومنزلها وولدها.

٢ ـ وأن رسول الله ﷺ كان لا يقبل دخول امرأة في الاسلام حتى تتعلم أهم مبادىء الاسلام وتبايع على تحقيق هذه المبادىء، فالتعلم في حق المرأة، كالتعلم في حق الرجل كلاهما مقترن بالعمل وأن تتعهد بتطبيق ما تعلمت.

٣ ـ وكان للمرأة المتعلمةان تستفسر عما يشكل عليها مما تتعلم. وقدكانت هذه عادة السيدة عائشة زوج النبي(ﷺ)ففي صحيح البخاري عن ابن أبي مليكة (ان عائشة زوج النبي (ﷺ) كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه وان النبي (ﷺ) قال: مـن حُـوسِـب عُـذِّب فقلت: أو ليسَ يقولُ اللهُ تعالى ﴿فَسَوفَ يُحاسَبُ حساباً يسيراً؟﴾ قالت: فقال: «انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك»). رواه البخاري. ج ١ ص ٢١ ط المطبعة العثمانية المصرية سنة ١٣٥١.

٤ ـ ويشرع تحديد مواعيد وأمكنة خاصة لتعليم النساء على أن يقتصر تعليمُهنّ على ما يحتجن اليه ويناسب فطرتهن وأنوثتهن، من غير افساد لهن ولا

---

(١) المصدر نفسه.

خروج على آداب الاسلام.

٥ ـ وكذلك يشرع تعليم المرأة الكتابة والقراءة ومبادىء الحساب والعلوم التربوية وكل ما تحتاج اليه في حياتها المنزلية وتربية أولادها، على أن يستهدف من كل ذلك سعادتها الزوجية، وأن تشعر بوظيفتها وأهميتها في الحياة: في تحقيق سعادة زوجها ومنزلها وأولادها.

وهكذا يجب على المشرفين على تربية المرأة أن يفردوا لتعليم البنات مناهج خاصة بهن. فيها قدر مشترك مع الرجل، وفيها بسط لما يخصهن.

٦ ـ ومن آداب التربية الإسلامية وحدود الاسلام التي لا ينبغي تجاوزها: الفصل في التعليم بين البنين والبنات. عملا بعموم الأحاديث والوقائع التي فصل فيها الرسول (ﷺ) النساء عن الرجال في المجالات العامة كالمساجد. فقد جعل للنساء صفوفاً تبدأ من آخر المسجد أي من أبعد مكان فيه عن الرجال فقال «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها» رواه مسلم[1]

وقد رأينا في هذا البحث كيف جعل رسول الله (ﷺ) يوماً للنساء لئلا يختلطن بالرجال.

وكن قد طلبن منه ذلك لأنهن ربين تربية إسلامية، فلا يرضين لانفسهن من الاختلاط ما لا يرضاه الله ورسوله.

د ـ خاتمة:

وبعد فهذه خطوط كبرى وقواعد مرنة لعلاج مشكلة تعليم المرأة في التربية الاسلامية. ومن حكمة هذه التربيةان تترك التفاصيل والتطبيقات العملية

---

(١) رياض الصالحين ص ٢٠٧ بمصر.

لتوضع بحسب مقتضيات الظروف. ولله المنة والفضل.

سابعاً ـ مشكلات التعليم:

أ ـ تمهيد:

تأخذ مشكلة التعليم في عالمنا اليوم حيزاً كبيراً من اهتمام كل دولة، وترصد لها نسبة لا يستهان بها من الأموال والجهود والكفاءات، وميزانية لا تقل عن ميزانية تنظيم الجيش، أو التموين، أو المواصلات أو سائر شؤون الدولة. ويرجع ذلك الى أن الدول المعاصرة أخذت على عاتقها أن تعلم كل أبناء الشعب، وأن تهيء لهم كل أسباب التعليم من مدارس ومعلمين وكتب وتختار لهم العلوم والمناهج... وذلك في ضمن ما تأخذه الدولة المعاصرة على عاتقها من تنظيم كل ما يحتاجه الشعب وتوفيره، كالعمل والأمن، والازدهار، والحماية، والحرية، والكرامة، والغذاء والكساء، وحرية التجارة، وحرية العمل... الخ.

وهذه الأمور كلها تبنى على التربية والتعليم، فالتربية تنمي الثروة البشرية وهذه الثروة، اذا وجهت توجيها صالحا، حققت الأمة في اجيالها حب العمل، واتقانه، واستنباط ثروات الأرض بأسلوب تقني يعطي أفضل انتاج، وأعظم كمية، بأقل جهد وأسرع وقت...

وبالتعليم والتربية تستطيع الدول الكبرى أن توجه الدول التي تسيطر عليها وفق مصالحها وأهدافها، ولكن يلاحظ في مقابل ذلك أنه يمكن أن يكون للتعليم في الدول الناشئة المكان الأول في تحقيق الاستقلال الثقافي والاقتصادي وفي تحقيق الكفاح ضد الظلم والطغيان. وفي تخليص الشعب من التبعية الفكرية والثقافية والاقتصادية والسياسية...

وبالتعليم والتربية يعتاد الشعب النظام وحفظ الأمن بنفسه والبعد عن الجرائم،

اذا وجّه توجيها ربّانيّا . ويعتاد التعاون والتعاطف الصادق والتحابب . ويربّى على احترام الأموال والأملاك والأعراض والأرواح . . .

ب ـ أبعاد المشكلة وجوانبها في نظر التربية الاسلامية:

وهكذا نلاحظ أن لمشكلة التعليم جوانب وابعاداً كثيرة متعددة مختلفة الاتجاهات والألوان، مما جعلها تسفر عن مشكلات فرعية متعددة: فهناك مشكلة معالجة الطفولة ورعايتها أثناء التعليم وقد أوضحنا علاجها في مطلع هذا الفصل، وهناك مشكلة أساليب التعليم وتنوعها بتنوّع الخبرات والمعارف التي يراد نقلها الى الأجيال وتعليمها، وهناك مشكلة الاتجاه الاعتقادي (أو التوجيه الايديولوجي) للتعليم. وثمة مشكلة تعميم التعليم على جميع أبناء الشعب، والزام جميع الناشئين بالتعلّم وفرض العقوبات على من يخالف ذلك، ثم ان مما يصادف جميع الدول مشكلة ايجاد الكفاية من المعلمين، نوعا وكما . . . وتمويل التعليم من أكبر المشكلات التي تجابه الدول الفقيرة أو الناشئة.

ومن المشكلات الفنية مشكلة الوسائل التعليمية، واستخدام أساليب البرمجة والأدمغة الاليكترونية في تنظيم التعليم، ومشكلة الكتب المدرسية، ومشكلة الادارة المدرسية وعلاقة المدرسة بالشعب[1] ومشكلة الشهادات[2] والامتحانات. على أن هذه المشكلات تختلف في درجة أهميتها ومساسها بصميم العقيدة والتربية الاسلامية، ولو أردنا علاجها جميعا بالتفصيل لاحتجنا الى سفر مستقلّ لذلك سنكتفي بوضع خطوط كبرى لعلاج أهم هذه المشكلات، والاشارة الى ما سبق أن عالجناه منها . . .

---

(١)، (٢) ذكرنا علاج هاتين المشكلتين باختصار في بحث (المدرسة) من وسائط التربية الاسلامية في كتابنا: أصول التربية الاسلامية وأساليبها.

جـ ـ علاج أهم المشكلات الناجة عن مشكلة التعليم:

١ ـ التوجيه الاعتقادي للتعليم:

عرض المشكلة:

نشأت هذه المشكلة منذ أن تسرّب إلى البلاد الإسلامية نظام المدرسة المعاصرة على غرار ما هي عليه في أوروبا. فقد جاءتنا هذه المدارس الحديثة بنظم تعليمية مستوردة، وبمناهج وعلوم غير تلك التي كانت تدرّس في المساجد والمدارس الاسلامية القديمة، « فكان غاية ذلك بعد مدة قليلة، فوضى فكرية هائلة، واضطراب وتناقض في الأفكار والآراء، وشك وارتياب في الدين، واستخفاف بفرائضه وواجباته، وثورة على الآداب والاخلاق، وتقليد للأجانب في القشور والظواهر[١]..».

ذلك « أن للعلوم والكتب روحاً وضميراً كالكائنات الحية، فالعلوم التي أنشأها الاسلام وصاغها في قالبه، قد سرت فيها روح الايمان بالله واليوم الآخر، والتقوى والفضيلة والخشية لله ».

أما العلوم التي دونتها أوربا الملحدة والكتب التي ألفها أدباؤنا وفلاسفتها فقد سرى فيها الالحاد والجمود والايمان بالماديات والمحسوسات فقط[٢] ».

ولو تتبعنا هذه العلوم الغربية التي سادت مدارسنا لوجدناها تصدر فعلا عن (منطلقات عقائدية) تعارض عقيدة التوحيد التي تحيا في قلب كل مسلم « ونستطيع أن نلخّص هذه (الخلفية العقائدية) المشتركة بين كل فروع المعرفة والثقافة الغربية بأن (الوجود كله ـ في زعمهم) منحصر في الطبيعة والانسان، وهو ـ أي الانسان ـ جزء منها ونوع من أنواعها، والطبيعة وجدت هكذا

---

(١) ، (٢) الامام أبو الحسن الندوي: التربية الاسلامية الحرة ص ١١ ـ ١٦

بنفسها، وكذلك سننها أو قوانينها، فهي ـ حسب رأيهم ـ مقدّرة بنفسها من غير مقدّر لها، والعقل، عندهم، وحده طريق المعرفة، وليس ثمة طريق آخر، وليست القيم الأخلاقية والمفاهيم الحقوقية الا وقائع أو حوادث كالحوادث الطبيعية... وليس في هذه الفلسفة الغربية أو التصور الوجودي للكون ـ كما ترى ـ مكان للاله ولا لصلته بالانسان وبالكون، ولا للوحي والنبوّة، ولا للجزاء والحياة الخالدة ولا لسائر الغيبيات[1]...»

«ان هذه المفاهيم منبثة مفرقة في مختلف العلوم التي تعلم في نظم التعليم السائدة في العالم الاسلامي، ويتكون من مجموعها مركب عقائدي يخالف الاسلام مخالفة جذريّة[2]».

حل المشكلة:

لنستمع أولاً إلى حل قدمه الباحث الكبير الذي نقلنا عنه الأسطر السابقة التي صوّر لنا بها المشكلة، لنستمع اليه يقول في اقتراح الحل: «ان[3] حل هذه المشكلة ليس بطرد هذه العلوم، ولا ايصاد الأبواب أمامها.. وإنما الحل الذي نطرحه وندعو الى الأخذ به هو صياغة العلوم جميعها صياغة إسلامية، أو بعبارة أدق اقامتها على اسس إسلامية، أي بناؤها على التصور العام للوجود كما يقدمه الاسلام».

قلت: ويكاد يجمع العاملون المخلصون في مجال الدعوة والتربية الاسلامية على «أنّ البلاد الاسلامية في حاجة ملحّة الى نظام تعليمي اسلامي في الروح والوضع والسبك والترتيب، لا يخلو كتاب من كتبه، من أبسط كتاب يعلّم

---

(١) ، (٢)، (٣) الاستاذ/ محمد المبارك: عن مجلة البعث الاسلامي مجلد ٢١ عدد ١٠ ص ٣٣، ٣٤، ٣٥ تصدر في ندوة العلماء بالهند.

مبادىء اللغة المحلية الى آخر كتاب في العلوم أو الآداب الانجليزية، لا يخلو من روح الدين والايمان[1]».

وهذا الحل الذي قدمه الباحثان الجليلان والذي أجمع عليه العاملون المسلمون في حقول التربية والتعليم لا يتحقق الا اذا اعتمد على الأسس الهامة التالية:

الأساس الأول: تهيئة جيل من العلماء والباحثين يعتزون بالاسلام نظاماً للحياة ومنطلقاً عقائدياً يشمل كل علم وكل بحث وكل تصرف، ويجمعون بين العلوم الاسلامية والغربية ويتقنون احدى اللغات الأوربية الحية كالانكليزية والفرنسية.

الأساس الثاني: إعداد وايضاح النظام التربوي الإسلامي بأسسه، وأهدافه ووسائله وأساليبه مستنبطاً من القرآن والسنة لتكون عمليةإعداد الكتب والمناهج إعداداً إسلامياً، حلقة من حلقات تطبيق هذا النظام المتكامل كما أوضحنا في مقدمة الكتاب.

الأساس الثالث: إقامة هذا النظام، وجميع البحوث التابعة له أو المحققة لأهدافه على أساس أصالة الاسلام وتميّزه، وتميّز أتباعه وعدم تبعيّته لأي اعتبار آخر أو أي نزعة أخرى.. وهذا الموقف من جميع النظم والعقائد والنزعات غير الاسلامية يجب أن يكون واضحاً ومتفقاً عليه وأن يكون منطلقاً من منطلقات البحث. وسنبين ذلك عند علاج (مشكلة النزعات الشائعة في النظم الأخرى) ان شاء الله.

---

(١) الامام الندوي: المرجع السابق.

٢ ـ مشكلة الزاميّة التعليم وتعميمه ومجانيته:

عرض وتمهيد:

أ ـ تنص دساتير معظم الدول اليوم على أن « التعليم الابتدائي الزامي ومجاني »، وهذا يلزم الحكومات المتتالية العاملة بالدستور أن تهيء كل وسائل التعلّم: من كتب وأبنية مدرسية ومعلمين ومديرين أكفاء وأن تهيء وسائل الايضاح والتغذية أثناء الدوام ان احتاج الأمر... وكل شيء لا يتحقق التعلّم الا به..

ب ـ كما يستلزم هذا النص الدستوري تحريم العمل على الأحداث الذين هم في سن التعليم الابتدائي، وملاحقة المعامل والمزارع التي تشغلهم وفرض العقوبات على أربابها. وقد حصل هذا بالفعل في كثير من الأقطار العربية والاسلامية، فكان من السهل على أولياء الأطفال التهرب من هذه العقوبات ولم يعمّ التعليم الا في المدن والبلدان التي ساد فيها الايمان بوجوب التعلّم وخطورة الجهل، ثم أصبح الكبار يقبلون على مدارس محو الأمية بعد أن شعروا بالندم والضياع، وأنهم غرباء في مجتمعهم...

جـ ـ ولما ثبت للدول والحكومات في البلدان الناشئة، أن الاقتناع هو الأساس الذي يقوم عليه تعميم التعليم قامت بحملات توعية في الاذاعة والرائي والاعلانات ولكن الأمر الذي أثقل كاهلها هو توفير العدد الكافي من المعلمين والمقاعد والوسائل التعليمية، وتهرّب معظم الشباب من مهنة التدريس، اما لشعورهم الخاطىء بمهانتها، واما لضعف مردودها وقلة أجورها

حل المشكلة:

لو رجعنا الى (مبادىء التربية الإسلامية) كما عالجناها في فصل سابق

لوجدنا أن حل هذه المشكلة لا يكون الا بعد الايمان، والعمل بمبدأي فرضية التعلّم، وفرضية التعليم، فالمبدا الأول هو الذي يغرس في النفوس العزم والتصميم على التعلّم والايمان بضرورته، لأن الايمان والاسلام، عقيدة وعبادة وتنظيماً وعملاً، لا يتحققان ـ كما رأينا ـ إلا بالتعلّم، ولما للتعلم من ثواب عظيم ومكانة عند الله، ولأن التعليم واجب على كل من يستطيعه، كما يؤخذ من الأحاديث التي نقلناها في ذلك البحث، ومن أوامر الرسول ﷺ للوفود التي كانت ترد عليه وتعلن اسلامها، بأن يعلموا قومهم، كما في حديث وفد عبد القيس:

قال الامام البخاري[1]: « ... وقال مالك بن الحويرث: قال لنا النبي ﷺ: ارجعوا الى أهليكم فعلّموهم » ثم ساق حديث وفد عبد القيس بسنده وفي آخره: قال (أي رسول الله ﷺ) « احفظوه وأخبروه مَن وراءكُم » ومن الأمر العام الذي أعلنه الرسول ﷺ على جميع المسلمين « بلغوا عني[2] ولو آية » « ليبلّغ الشاهد الغائب » حدثوا[4] عني كما تسمعون ولا تقولوا الا حقا » « علّموا[5]، ويسّروا ولا تعسّروا ».

فمتى استقر الايمان بوجوب التعلّم، وأيقن كل فرد أنّ دينه لا يستقيم ولا يستطيع أن يلقى الله ناجياً من العذاب الا اذا تعلّم ثم عمل بعلمه، وأن هذا لا يتم الا بتعلّم القرآن والحديث والقراءة وبعض مبادىء اللغة ... ـ لم يعد الناس

---

(١) صحيح البخاري: جـ ١ ص ١٩ المطبعة العثمانية المصرية.

(٢) ، (٣) سبق تخريج هذين الحديثين.

(٤) رواه الطبراني عن أبي قرفاصة عن رسول الله ﷺ ـ ان قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ـ تأليف السيد جمال الدين القاسمي ص ٢٢.

(٥) رواه الامام أحمد والبخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس رضي الله عنه ن ـ قواعد التحديث (أيضاً) ص ٢٢ ط دمشق سنة ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٥ م.

بحاجة الى (شرطي) يقود الناشئين الى المدارس، أو يخرجهم من المعامل والمزارع..

ومتى استقرّ الايمان بوجوب التعليم والتبليغ ونشر العلوم، والخوف من عذاب الله الذي أعده لكل من يكتم علماً يستطيع نشره، ومن النار التي أعدت لكل من يكذب أو يغش في تعليمه أو يحرّف أحاديث رسول الله ﷺ، ضمنت الأمة لأجيالها العدد الكافي من المربين المخلصين والمعلمين، يتعاقبون على منظّمات التدريس في المساجد أو المدارس، وفي أوقات الفراغ التي يمكن تنظيمها والاستفادة منها في مدارس مسائية أو صباحية، ويعود جانب كبير من التعليم تلقائياً (لا مركزياً)، كما كان في أيام دولة الاسلام الأولى. فيشرف الشعب بنفسه على تعليم أولاده، وينتدب من القراء والعلماء من يرى فيهم العلم والتقوى والخوف من الله. وتتخلّص الدولة من جانب كبير من عبء التعليم الذي ترزح تحته الآن. وليس هذا بغريب على ظروف هذا العصر فقد ظهر ما يشبهه من أنظمة التعليم اللامركزية في الولايات المتحدة الأميركية والهند وغيرهما... كما ظهر تعليم بعض الناشئين في المساجد ترغيباً في عبادة الله...

٣ ـ مشكلة تعدد أساليب التعليم:

تختلف أساليب التعليم باختلاف العلوم التي يراد تدريسها كما تختلف أيضاً باختلاف المرحلة التعليمية، ونوعية المتعلمين.

وقد وضع علماؤنا المسلمون منذ عشرة قرون أصولاً وأسساً لهذه الأساليب في علوم قائمة بذاتها، كعلم أصول الفقه، ومصطلح الحديث وهو من أقدمها، ولكنهم لم يربطوا ربطا واضحاً بين هذه العلوم وبين أساليب التعليم التي كانت قائمة بل جعلوا تلك العلوم أسساً للبحث والتنقيب العلميّ.

ثم وضع بعضهم لنفسه قواعد للبحث العلمي في طيات دراساته العلمية، كما

فعل ابن الهيثم، وابن سينا وغيرهما...

على أن المشكلة تطورت اليوم حتى أسفرت عن علم قائم بذاته أصبح فرعاً من فروع علم التربية، سمي ـ طرق التدريس ـ ولكن هذه الطرق نقلت الينا من الثقافات الجاهلية الغربية أو الشرقية، بقضّها وقضيضها، وبطابعها الذي أشرنا اليه في مطلع بحثنا لهذه المشكلات التعليمية. فتسرب الى عقول أجيالنا أن الفضل في وضعها وتأسيسها انما يعود الى علماء الغرب، وأن أجدادنا ليس لهم في ذلك أيما باع... وانطلاقاً من هذا الواقع وجدنا أنفسنا مضطرين الى تفنيد بعض قواعد التدريس القائمة اليوم وارجاعها الى أصولها أو التلميح الى هذه الأصول من تاريخنا الفكري أوالتشريعي وهاك نموذجاً من ذلك:

القواعد العامة للتدريس

هناك قواعد عامة يجدر بالمدرس ان يعرفها حتى ينجح في عملية التدريس ويشهد تاريخ التربية الاسلامية ان المربين المسلمين قد سبقوا الى القول بهذه القواعد ولكن احدا منهم لم يجمعها كلها بل كانت متناثرة في كتبهم كمقدمة ابن خلدون وكتاب احياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي. وكالسمعاني في كتابه «ادب المملى والمستملى» (ت سنة ٥٦٢ هـ) وغيرها...

وقد نام جيلنا الاسلامي الحالي وأجيال سبقته، عن احياء تراثه، على حين كان علماء عصر النهضة في الغرب قد سبقونا إلى نقل هذا التراث والاستئثار به ثم انتحاله لأنفسهم، كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا.

وقد استعانوا بالأساليب الحديثة، كأساليب البرمجة والتجريب، فأخرجوا كل القواعد العلمية اخراجاً جديداً، وجمعوا كل طائفة منها في علم مستقل، وكان علم التربية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، من اهم العلوم الإنسانية التي

ادعى علماء الغرب أنهم واضعوا اسسها الموضوعية التجريبية . وتعزى[1] قواعد التدريس الأساسية اليوم الى فيلسوف انكليزي اسمه « هربارت اسبانسر » الذي تناول بالبحث والشرح هذه القواعد في كتاب له اسمه التربية (Education) . وسنعرض هذه القواعد بأسلوب يناسب طلابنا ، ثم نبين ارتباطها بأصولها عند علمائنا أو بأصولها من مصادر التربية الإسلامية .

١ ـ التدرج من المعلوم إلى المجهول:

تقوم هذه القاعدة على مبدأ نفسي أقره من علماء النفس اصحاب النظرية الترابطية . وهي أن النفس مفطورة على ربط الجديد من المدركات بما سبق أن تعلمه الإنسان أو عرفه وان الإنسان لا يتعلم إلا عن طريق الترابط ولذلك وجب على المدرس أن يبحث عن نقط ارتكاز من معلومات الطلاب السابقة ، تتناسب مع الدرس الجديد ليبني المعلومات الجديدة (المجهولة بالنسبة إلى الطلاب) على المعلومات السابقة لديهم وينقل عقول الطلاب من المعلوم إلى المجهول . ومن المألوف لديهم إلى الغريب عنهم .

ويعتبر هذا المبدأ أسلوباً علمياً لاكتشاف قوانين العلم وسنن الله في الكون وقد كان اجدادنا العرب المسلمون أساتذة الغرب في هذا : يقول المؤرخ الفرنسي (سيديو) حين يتحدث عن بيت الحكمة في بغداد :

« ان الذي يميز مدرسة بغداد هو الروح العلمية التي تهيمن على اعمالها : **فالسير من المعلوم الى المجهول** ، وادراك الظواهر ادراكاً دقيقاً من اجل الصعود بعد ذلك من النتائج إلى الأسباب ورفض كل ما لم تبرهن عليه التجربة تلكم هي المبادىء التي علّمنا اياها الأساتذة العرب . لقد كان عرب القرن

---

(١) صالح عبد العزيز:التربية وطرق التدريس ج ١ ص ٢٢٠ ـ ٢٢٤ .

التاسع[1] يملكون تلك الطريقة الخصيبة التي ستغدو فيما بعد في يد المحدثين اداة لاكتشافاتهم الكبرى الجميلة[2] » .

وعلى هذا يعتبر ما نشاهده من الحوادث الكونية أشياء معلومة ونتائج مرئية لقوانين وسنناً كونية كانت خافية على العلماء فاستنبطوها من نتائجها أي عرفوا الأسباب المجهولة بدراسة النتائج المعلومة . كما يعرفون أسباب نزول المطر بدراسة الأمطار وشروطها التي ترافقها وتسبقها من رياح وحرارة وبرودة وضغط وتيارات وظروف جوية . . .

وقد تنبه علماء المسلمين الأوائل الى أهمية هذه القاعدة :

قال الامام السمعاني في كتابه « أدب المملى والمستملى » (ص ٦٠ مطبعة ليدن) « ولا يروي ما لا تحتمله عقول العوام » ثم ساق أثرا عن علي بن أبي طالب لفظه : « أيها الناس : اتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون » أي ابدؤوهم بذكر ما يعرفون .

٢ ـ التدرج من السهل إلى الصعب :

تراعي في هذا المبدأ استعدادات الناشيء وقدراته ، فلا يطالب بما لا طاقة له بادراكه ، أو بما لا يمكن ربطه بمعلومات سابقة معروفة لديه .

من الأمور السهلة على الناشئين عادة الأشياء المحسوسة وقد يراعى هذا المبدأ في ترتيب مواد المنهج ، فيبدأ المقرر بالأسهل من الدروس ثم يتدرج الى الأصعب فالأصعب ، فإدراك الزمن القريب أسهل على الطفل من إدراك البعيد

---

(١) يعني الميلادي الذي يوافق القرن الثالث او الرابع الهجري .

(٢) عبد الله عبد الدايم ـ التربية عبر التاريخ ص ٢١٩ نقلا . عن : La Sediot, Histoiredesp . Arques

لذلك يرى بعض علماء التربية بدء تدريس التاريخ في المرحلة الابتدائية بقصص الابطال مجردة عن التسلسل الزمني، ويحسن البدء بأقربهم عهدا بالزمن الحاضر لأن إدراك الحوادث القريبة عهدا، أسهل من ادراك غيرها.

وقد كانت هذه القاعدة معروفة عند علمائنا منذ عهد الصحابة فالتابعين ومن بعدهم...

(عن ابن مسعود: «ان الرجل ليحدّث بالحديث، فيسمعه من لا يبلغ عقله فهم ذلك الحديث فيكون عليهم فتنة»[1]).

وقال ابن جماعة الكناني:

«وكذلك لا يلقى اليه ما لم يتأهل له، لأن ذلك يبدد ذهنه ويفرق فهمه فان سأله الطالب شيئاً من ذلك لم يجبه: ويعرّفه ان ذلك يضره ولا ينفعه، وأنّ منعه اياه لشفقة عليه ولطفاً به لا بخلاً عليه، ثم يرغبه عند ذلك في الاجتهاد والتحصيل، ليتأهل لذلك وغيره. وقد روى في تفسير (الرباني) «انه الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره[2]».

يتبين لنا مما تقدّم ان على المربي أن يبدأ المتعلم بما يعلم ويعرف أو يستطيع فهمه لقربه من عقله وسهولته عليه، وأن يتحاشى المدرس مفاجأة الطلاب بما لا يفهمون، لئلا يكون ذلك مدعاة لنفورهم وافتتانهم عن العلم وبعدهم عنه، أو كسلهم وضعف همتهم عن تلقّيه، كما يحصل لكثير من طلاب علم النحو والمنطق القديم وغيرها مما يبدأ فيه بالقواعد والمتون الصعبة.

---

(١) أدب المملي والمستملي: الامام السمعاني ص ٦٠ ط مطبعة ليدن.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ص ٥١ ط دار الكتب العلمية المصورة عن طبعة الهند (في الصفحة السابقة).

٣ ـ التدرج من البسيط الى المركب :

يعتبر علماء النفس ان بساطة المدركات هي المقياس لهذا المبدأ ، فالإدراك الإجمالي للبرتقالة مثلاً أبسط من إدراك تفاصيلها ، كلونها وطعمها وحجمها وعلى هذا يجب مراعاة السهولة بالمعنى النفسي بالنسبة للناشئين ـ بحسب مراحل أعمارهم وهذا إنما يعرف بتتبع علم نفس النمو .

وقد تعرض العلامة ابن خلدون لأهمية البدء بالبسيط في ميدان التربية والتعليم حين قال : ـ[1]

« مقدمة اخرى من التعلم : وهي معرفة الألفاظ ودلالتها على المعاني الذهنية تردها من مشافهة الرسوم بالكتاب ، ومشافهة اللسان بالخطاب ، فلا بد ، أيها المعلم ، من مجاوزتك هذه الحجب كلها ، إلى الفكر في مطلوبك :

فأولاً دلالة الكتابة المرسومة على الألفاظ المقولة وهي أخفها ، : ثم دلالة الألفاظ المقولة على المعاني المطلوبة ، ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قوالبها المعروفة في صناعة المنطق : ثم تلك المعاني مجردة في الفكر ، اشتراطاً يقتنص بها المطلوب بالطبيعة الفكرية ، بالتعرض لرحمة الله ومواهبه .

وهكذا اعتبر ابن خلدون أن تعلم الألفاظ ورسمها وكتابتها سابق على تعلم الألفاظ ـ بدلالتها ومعانيها . وان الجمل إذا اجتمعت على شكل منطقي تألفت منها القضايا ثم من مجموعة قضايا (أي جمل مفيدة) يتكون الاستدلال بحسب موهبة الانسان . وهذا هو المعنى المنطقي للتدرج من البسيط الى المركب .

وعلى هذا فالبساطة المنطقية في مجال التدريس معناها البدء بالموضوع الذي

---

(١) آداب المتعلمين ورسائل اخرى تحقيق احمد عبد الغفور عطا ص ٢٦٧ ـ بيروت ٧ بيروت

يمكن أن يكون أساساً أو جزءاً من الموضوع الذي يليه . فالبدء ببحث السهل والجبل والبحر والاقليم مثلا ، يقدم على بحث الجغرافيا الطبيعية لقطر من الأقطار ، لأن هذه الأخيرة تشمل كل تلك العناصر وغيرها فجغرافيّة المملكة ، لكي تدرس من الناحية الطبيعية ، يجب أن تسبقها معرفة معنى الاقليم القاريّ والجهات الاربعة والحدود ، والبحر والساحل ونحو ذلك من العناصر البسيطة التي يجب البدء بها لأنها أبسط من بحث الجغرافية الطبيعية بصورة عامة ، واعراب الألفاظ مقدم على اعراب الجمل .

٤ ـ الانتقال من المبهم إلى الواضح:

كان رسول الله ﷺ يوضح بعض المفاهيم المبهمة عند الصحابة ثم يبني عليها تعليمهم[١] فكان يسألهم مثلاً « أتدرون من المفلس » فيجيبونه بالمعنى المادي المتعارف ، ثم يشرح لهم معنى المفلس يوم القيامة : ليحذرهم من ايذاء الناس واكل أموالهم . . . لذلك يجب على المربي ان يحتسب لما في عقول طلابه من معلومات غامضة (مبهمة) عن الموضوعات التي يريد القاءها عليهم ، ويحسن هنا أن يبدأ هم بالسؤال ليعرف ما في ذهنهم ويصحح الخاطىء ويوضح الغامض منها . فقد يفهم الطلاب من كلمة (جبال) انها مجرد كتل كبيرة من الصخور يرتفع عن سطح الأرض مئات الأمتار ولكنهم لا يدركون تفاصيل هذا المصطلح الجغرافي وأثره بالنسبة الى قطر معين ، وتأثيره على الرياح ودرجات الحرارة والأمطار ولا يدركون معنى (سلسلة الجبال) . بدقة لذلك يجب سؤالهم أولاً ثم توسيع مداركهم شيئاً فشيئاً حتى يحيطوا بتفاصيل الموضوع

---

(١) وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ألا أنبئكم ما العضة ؟ هي النميمة القالة بين الناس (رواه مسلم) رياض الصالحين ص ٢٧٣ ط الشمرلي بمصر ومثل هذا الاسلوب كثير في حديث رسول الله ﷺ .

الجديد الذي يراد تدريسه لهم احاطة تتناسب مع منهجهم أو مع العلم الجديد الذي يدرسونه .

٥ ـ الانتقال من المحسوس إلى المعقول:

فطر الإنسان على إدراك المحسّات قبل المجردات ، وقد جاءت أدلة القرآن مناسبة لهذه الفطرة . فالقرآن ما يزال يلفت انظارنا إلى ما حولنا مما نحسه بأبصارنا وأسماعنا ليدلنا على قدرة الله ووحدانيته ، ففي تاريخ الأمم والشعوب يلفت القرآن أنظارنا إلى أثار تلك الأمم ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين؟﴾ (النمل ٦٩) .

وفي الاستدلال على البعث يلفت الله أنظارنا إلى أثار قدرته إذ خلق الكائنات وأنشأها النشأة الأولى . وأنه أقدر على إعادتها وانشائها النشأة الاخرة ﴿أوَ لَم يَروا كيف يُبدِئُ اللهُ الخلقَ ثُمّ يُعيدُهُ إنَّ ذلكَ علَى اللهِ يَسيرٌ﴾ ﴿قل سيروا في الأرضِ فانظُروا كيفَ بَدَأَ الخَلقَ ، ثم اللهُ يُنشِئُ النشأة الآخرةَ إنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾ (العنكبوت ١٩ ، ٢٠) .

كما يلفت الانظار إلى أن الذي يحيي النبات بواسطة المطر قادر على أن يبعثُ النّاس ويحييهم يوم القيامة . ﴿فانظُرْ إلى آثارِ رَحمةِ اللهِ كيفَ يُحيي الأرضَ بعدَ موتِها إنَّ ذلك لَمُحْيِي الموتَى وهوَ علَىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾ (الروم ٥٠) .

وكان رسول الله ﷺ قد اقتبس من القرآن هذا الأسلوب الحسّيّ في تقريب المجردات الى العقول بواسطة المحسات إذ كان خلقه القرآن[١] فكان يكثر من التشابيه الحسية الايضاح الأمور المعنوية : روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن الشعبي عن جابر قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ فخطّ خطّاً

---

(١) أسس التربية الاسلامية وطرق تدريسها للمؤلف ص ٣٨ ـ ٣٩ (دار الفكر بدمشق) .

هكذا أمامه فقال (هذا سبيل الله) ووخطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال: (هذه سبل الشيطان) ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية ﴿وأنّ هذا صِراطي مستقيماً فاتبعوهُ، ولا تَتّبعوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بكُم عن سَبيلِهِ. ذلكُم وصّاكُم بِهِ، لعلّكُم تَتّقُونَ﴾[1] (الانعام ١٥٣).

لذلك كله كان على المدرس أن يبدأ طلابه دائماً بالأمثلة ـ الواقعية ويلفت أنظارهم إلى المشاهد الملموسة فيما حولهم ليتوصل إلى إفهامهم الأمور المعقولة الناتجة عن هذه المشاهدات. وأن يجلب في درسه كل ما يستطيع من خرائط جغرافية أو تاريخية، ومشاهد للآثار أو للحواضر والمدن لينقل عقولهم من هذه المرئيات إلى تصور الحوادث التاريخية أو الأقطار الجغرافية البعيدة فيأخذوا فكرة واضحة عن حياة الأمم والشعوب ووسائل عيشها وتستنير عقولهم وتصبح معلوماتهم دقيقة متميزة لأنها مبنية على الإدراكات الحسية والواقعية.

٦ ـ التدرج من الجزئيات إلى الكليات:

وهذا أيضاً مما فطر عليه العقل البشري. والجزئيات هي الحوادث أو الأمثلة الفردية، تأتي بالمناسبات أو يعرضها المدرس، الواقعة تلو الأخرى، أو المثال بعد الآخر ويقارن وجوه الشبه والاختلاف بينها ليصل إلى قاعدة أو قانون علمي يجمعها وتسمى القواعد والقوانين (كليات). والانتقال من الجزئيات، بالتدريج والتفحص والتمحيص الى الكليات، عملية تفكير منطقية اعتمد عليها العلم تسمى «الاستقراء» والاستقراء بالاضافة إى أنه فطرة فطر الله عليها عقول البشر، هو من أفضل أساليب الاكتشاف والبحث العلمي، به

---

(١) تفسير القرآن العظيم للامام اسماعيل بن كثير ج ٢ ص ١٩٠ دار المعارف ببيروت.

توصل علماء الغرب الى معظم كشوفهم وأبحاثهم في عصر النهضة وما تلاها . . .

ولكن علماءنا المسلمين كانوا اساتذة الغرب في الاستقراء يشهد بذلك المستشرق جيب H. A.R. Gib « عام ١٩٤٩ في كتابه « الاتجاهات الحديثة في الاسلام » حيث يقول:

« ان تركيز الفكر على الحوادث الفردية اتاح لعلماء المسلمين ان يمضوا بالطريقة التجريبية الى مدى ابعد بكثير ممن سبقهم من علماء يونان والاسكندرية انهم الأصل في إدخال الطريقة التجريبية أو إحيائها في أوربا في العصر الوسيط[١] » .

فعلى المدرس وفاءاً لأسلوب الاستقراء العلمي في الاسلام وسيراً مع الفطرة التي فطر الناس عليها أن يبدأ ما استطاع بالأمثلة واجراء التجارب أو سرد الوقائع الفردية ثم يقارنها ويناقشها مع طلابه حتى يجعلهم يتوصلون إلى القاعدة الكلية التي يريد الوصول إليها ، سواء كان ذلك في العلوم النظرية كقواعد اللغة ، أو العلوم الاستنباطية كالفقه ، أو العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء والجغرافيا . . . .

وقد بينا ذلك[٢] عندما عرضنا (الطريقة الاستقرائية) في عداد طرق التدريس العامة وقد عبر العلامة ابن خلدون عن هذا المبدأ التربوي بقوله .

« ألا يؤتى بالغايات في البدايات » أي لا يأتي المعلم بالتعاريف والقوانين الكلية أول الأمر بل يبدأ بالجزئيات وينتقل منها الى الكليات ويسلك في ذلك الطريقة الاستقرائية ، فيلقى بالأمثلة الكافية ثم ينتقل منها إلى التعاريف والقواعد .

---

(١) التربية عبر التاريخ . د . عبد الله عبد الدايم ص ٢١٩ . دار العلم للملايين ببيروت .

(٢) في كتاب : التربية وطرق التدريس : عبد الرحمن نحلاوي م خير عرقسوس عبد الكريم عثمان .

لأن المتعلم كما يقول ابن خلدون يكون (أول الأمر عاجزاً عن[1] الفهم بالجملة إلا في الأقل على سبيل التقريب والاجمال بالأمثلة الحسية).

ومن المربين من يبدأ بذكر القواعد والقوانين وهي مختصرة صعبة الفهم على الطلاب وقد عاب ابن خلدون هذا الأسلوب فقال (وهو فساد في التعليم وفيه اخلال بالتحصيل لأن فيه تخليطاً على المبتدىء بالقاء الغايات من العلم (أي القوانين والقواعد) عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم، كما سيأتي[2]).

ثامناً ـ مشكلة النزعات الشائعة والتربية الاسلامية

تمهيد:

عرض المشكلة:

من المعلوم أن التربية الإسلامية ـ اعداد الفرد المسلم والمجتمع الاسلامي الذي يحقق العبودية الخالصة لله في تصوره الاعتقادي ويحقق نتائج ذلك في سلوكه وحياته.

«غير أن هذا المجتمع لا يقوم حتى تنشأ جماعة من الناس تقرر أن عبوديتها الكاملة لله وحده، وأنها لا تدين بالعبودية لغير الله لا في الاعتقاد والتصور، ولا في النظام والشرائع، ولا في العبادات والشعائر، ولا في السلوك والتعامل... أي انها تنقي ضمائرها من الاعتقاد في ألوهية أحد غير الله ـ معه أو من دونه ـ وتنقّي شعائرها من التوجه بها لأحد غير الله، وتنقّي شرائعها من التلقي عن أحد غير الله.

---

(١) التربية عبر التاريخ نقلا عن مقدمة ابن خلدون، للدكتور عبد الدائم ص ٢٤٨

(٢) مقدمة ابن خلدون الفصل الثامن والعشرون ص ٤٣٢ ونقلها احمد عبد الغفور عطار في كتاب (اداب المتعلمين ورسائل اخرى) ص ٢٦٣

... والمجتمع المسلم انما ينشأ من انتقال أفراد ومجموعات من الناس، من العبودية لغير الله الى العبودية لله وحده بلا شريك، وعندئذ يتم ميلاد جديد لمجتمع جديد مشتق من المجتمع الجاهلي القديم[1] ».

« والمجتمع الجاهلي هو كل مجتمع غير المجتمع المسلم: هو كل مجتمع لا يخلص عبوديته لله وحده في التصوّر الاعتقادي، وفي الشعائر التعبّدية وفي الشرائع القانونية[2] ».

« وبهذا التعريف الموضوعي تدخل في إطار (المجتمع الجاهلي) جميع المجتمعات غير الإسلامية القائمة اليوم في الأرض فعلاً[3] » وبذلك يتعين موقف التربية الإسلامية من هذه المجتمعات على النحو التالي:

١ ـ الشيوعية وموقف التربية الإسلامية منها:

على ضوء ما تقدم تدخل النزعات الشيوعية في اطار المجتمع الجاهلي، وبهذا يتحتّم على التربية الإسلامية تنقية ضمائر الناشئين والأفراد والمجتمعات من جميع شرورها وآثارها وعقائدها وشرائعها وأفكارها للأسباب الآتية:

« أولاً: بسبب الحادها في الله ـ سبحانه ـ وبانكار وجوده أصلا. وارجاعها الفاعلية في هذا الوجود إلى المادة أو الطبيعة. وإرجاعهاالفاعلية في حياة الإنسان وتاريخه إلى (الاقتصاد) أو (أدوات الانتاج)...

ثانياً: باقامتها نظام العبودية للحزب ـ على فرض أن القيادة الجماعية في

---

(١) ، (٢)، (٣) سيد قطب: معالم في الطريق ص ٨٦ ـ ٨٩ ط دار الشروق (١) ودليل ذلك قوله تعالى ﴿والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وقوله: ﴿ان الانسان خلق هلوعا إذا مسه الخير منوعا وإذامسه الشر جزوعاً الا المصلين﴾ وسيأتي شرح لهذا.

هذا النظام حقيقة واقعية: ـ لا لله سبحانه[1] ».

« ثم ما يترتب على ذلك التصور وهذا النظام من اهدار لخصائص « الانسان » وذلك باعتبار أن « المطالب الأساسية » له هي فقط مطالب الحيوان، وهي: الطعام والشراب والملبس والمسكن والجنس وحرمانه من حاجات روحه « الانساني » المتميز عن الحيوان، وفي أولها العقيدة في الله، وحرية اختيارها، وحريّة التعبير عنها، وكذلك حرية التعبير عن « فرديته » وهي من أخص خصائص « انسانيّته ». هذه الفردية التي تتجلّى في الملكية الفردية وفي اختيار نوع العمل والتخصص.. إلى آخر ما يميز « الانسان » عن « الحيوان » أو عن « الآلة ».

اذ أن التصوّر الشيوعي والنظام الشيوعي سواء، كثيراً ما يهبط بالانسان عن مرتبة الحيوان إلى مرتبة الآلة[2] ».

فالنزعة الشيوعية في نظر التربية الاسلامية، إهدار للكرامة الإنسانية واستعباد للانسان، . . . ووأد لحريته، ودفن لمواهبه الانسانية في مخاوف الجوع والعطش وفي أوحال الشهوة والجنس. وتقييد لعقله بقيود المادة والحسس، اذ تمنعه من الانطلاق في التفكير الصحيح للاستدلال على خالقه والتعرف على مصيره بعد هذه الحياة الدنيا، ومن العمل بشريعة الله، واخلاص العبودية لله تعالى.

٢ ـ النزعات القومية والاقليمية:

تدخل هذه النزعات في إطار المجتمع الجاهلي الذي يشرك بالله. « ذلك أن معنى (لا اله إلا الله) كما يدركها العربيّ العارف بمدلولات لغته: لا حاكمية

---

(١) ، (٢) سيد قطب: معالم في الطريق ص ٨٩.

الا الله، ولا شريعة إلا من الله ولا سلطان لأحد على أحد إلا بإذن الله، لأن السلطان كله لله، ولأن الجنسيّة التي يريدها الإسلام للناس هي جنسية العقيدة القائمة على الولاء لله، والتي يتساوى فيها العربي والفرنسي والروماني والفارسي وسائر الأجناس والألوان تحت راية الله[1]».

وهذه النزعات ـ القوميّة والاقليمية ـ بدلاً من أن تنتمي إلى عقيدة التوحيد القائمة على الولاء لله ولشريعته وحاكميته، نجدها تنتمي كل منها إلى اقليم من الأرض وحاكم من البشر، تزعم أنه يحقق مصالح هذه المجموعة من الناس، فيحكمهم بغير ما أنزل الله، وتتضارب، بلا شك مصالح الأقاليم والقوميات على الأرض فتقوم الحروب والمنازعات، وتعيش الإنسانية في بلاء وشقاء دائمين، وتقوم الحياة على تنازع المصالح والثروات....

وهكذا تدخل هذه الأنظمة (القومية، أو الاقليمية) في مفهوم المجتمع الجاهلي «بإقامتها أنظمةً وشرائع: المرجع فيها لغير الله وشريعته، سواء استمدت هذه الأنظمة والشرائع من المعابد والكهنة والسدنة والسحرة والشيوخ، أو استمدتها من هيئات مدنية (علمانية) تملك سلطة التشريع، دون الرجوع إلى شريعة الله، ويتعصب لها الناس وينضمون تحت لوائها... أي أن لها الحاكمية العليا بأسم (الشعب) أو باسم (الحزب) أو باسم كائن من كان...

ذلك أن الحاكمية العليا لا تكون إلا لله سبحانه، ولا تزاول إلا بالطريقة التي بلّغها عنه رسوله»[2].

ثم ان هذه النزعات تزعزع أركان الأخوّةفي الله وفي العقيدة الإسلامية

---

(١) سيد قطب: معالم في الطريق ص ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) سيد قطب: معالم في الطريق ص ٩٠.

لتُحِلّ محلها الرابطة القومية أو الاقليمية كما هو حاصل في معظم البلاد الاسلامية اليوم، لذلك يجب تربية الجيل على أن الولاء والروابط الاجتماعية يجب أن تقوم على أساس الاسلام وحده.

٣ ـ النزعات العالمية:

وهي التي تمثلها، على الأغلب، منظمات سرية، لا تنتمي لدين معين ولا إلى جنس أو قوم أو اقليم معين.

بل انها تدعو إلى محو الفوارق الجنسية بين البشر، وإلى محو أو استبعاد جميع الأديان، فتقيم بين المنتسبين إليها علاقات تزعم انها انسانية عالمية، بعيدة عن هذه الاعتبارات الدينية والقومية التي يزعمون أنها تفرق بين البشر.

وتقوم هذه العلاقات بين اتباع النزعات العالمية على أساس المبدأ الجاهلي (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً). فكل من يحمل (شارة) هذه الجماعة يجب عليه أن يتعاون مع من يحمل هذه (الشارة) مهما كان موقفه وأيّا كانت جنسيته، وهكذا يقيمون جنسية جديدة تجمعهم، هي أشد خطراً من كل الجنسيات ـ الأخرى، إذ يبدو واضحاً أن مبدأ (التناصر الأعمى) الذي بنيت عليه العلاقة بين أتباع وأفراد هذه النزعات مبدأ جاهلي ندد به الإسلام...

وأن طقوسهم وشاراتهم التي يجتمعون عليها ليست من عند الله ولا في كتاب الله. وأنهم لا يدينون دين الحقّ، بل يستبعدونه من اجتماعاتهم، فهم بدعوى (استبعاد الأديان) يأتون بدين جديد تدين (أي تخضع) له جماعاتهم وأفرادهم، دون أن، يعرفوا مصدره...

فالله أمرنا أن نتبع رسوله (على بصيرة) وهؤلاء يتبعون قادتهم (اتباعاً أعمى). وأي جاهلية أمرّ وأدهى من هذه الجاهلية..؟

المسلمون يتناصرون احقاقاً للحق الذي يريده الله، وهؤلاء يتناصرون لمصالحهم المادية، سواء كانت على باطل أو حق. فهم يلتقون مع الجاهلية في عبادة غير الله بالاتباع والحاكمية، وفي وثنية المصالح والشهوات، وعبادة المادة والزعامات...

٤ ـ النزعات الديموقراطية الرأسمالية:

تقوم هذه النزعات على عدم الاعتراف بالدين وبالتشريع الإلهي على أنه أساس لتنظيم المجتمع ـ وإن كانت في الظاهر «لا تنكره ولا تشغل نفسها بمناقضته وملاحقته وهدم أسسه، كما يفعل المبدأ الماركسي ـ، ولكنها تقرر فصل مقررات الدين ونظراته عن شؤون الحياة وقضاياها. وهي تعتمد في موقفها هذا على أصل فلسفي مادّي يعتبر الحياة نفعاً مجرداً للانسان، وسيرها يجب أن يكون نفعياً محضاً لا شأن للدين به.

وبناء على ذلك فإن الديمقراطية الرأسمالية قائمة على أساس فكري يقول بأن على الإنسان أن يصنع بنفسه ولنفسه نظام حياته[1]».

موقف التربية الاسلامية:

ان أهم ما تلاحظه التربية الإسلامية على الديموقراطية الرأسمالية أن الحاكمية والتشريع فيها لغير الله، فالإنسان في زعمهم هو المشرع والحاكم المطلق لا يستمد تشريعه ولا حاكميته من الله، بل لا يعترف لله بالحاكمية في شؤونه، ولا بحق التشريع لمجتمعه ولعلاقاته الاجتماعية.

وهذا ـ كما رأينا ـ من مظاهر الشرك بالله، ومن مقومات الجاهلية في كل زمان، وفي القرن العشرين خاصة. فالنزعة الديمقراطية الرأسمالية تندرج في عداد النزعات الجاهلية، وان كانت تنادي بالحريات ذلك أن الحرية الخارجة

---

(١) د. مصطفى الرافعي: الاسلام ومشكلات العصر ص ٧٣ (دار الكتاب، بيروت).

على تشريع الله حرية همجية فوضوية لا ضابط لها ولا حدّ لطغيانها ومساوئها، يستغلّها القوي ويرزأ تحت نيرها الضعيف...

حل المشكلة:

يقوم حل مشكلة النزعات الجاهلية الشائعة في هذا العصر، والتي تهاجم الإسلام بشتى أشكالها، وتتربص به الدوائر، على الأسس التربوية الاسلامية التالية:

١ ـ غرس الاعتزاز بالعقيدة الإسلامية في نفوس الناشئين، والشعور بعلوّها على كل الأديان، والأنظمة والفلسفات، لأنها هي الحق وماذا بعد الحق الاّ الضلال، عملاً بقوله تعالى: ﴿هوَ الّذي أرسلَ رسُولَهُ بالهدَى ودينِ الحقِ ليظْهِرهُ على الدين كُلّه ولَو كَرِهَ المُشركونَ﴾[1]، وقوله: ﴿مَن كانَ يُريدُ العِزةَ فَلِلّه العِزّةُ جَميعاً إلَيْهِ يَصعَدُ الكَلِمُ الطَّيّبُ﴾[2]. وقد بسطنا هذا عند الكلام على أسس التربية الاسلامية.

٢ ـ تربية الناشئين على الجهاد لنشر العقيدة الاسلامية وإعلائها وإيضاحها على نحو ما بسطنا في بحثنا لمشلكة (الاعداد للحرب والسلم) لأن أي مجتمع يريد الحفاظ على عقيدته ان لم ينتقل من موقف الدفاع إلى موقف الإقدام والدعوة لعقيدته، فسيبقى خاسراً معرضاً لاضمحلال هذه العقيدة أو ذبولها أو تهديدها المستمر، وسيبقى متقوقعاً بعيداً عن واقع الإنسانية منبوذاً مهاجماً، وربما أدخل أعداؤه الشكوك إلى نفوس أفراده...

٣ ـ توعية الناشئين وتبصيرهم بأضرار العقائد الجاهلية والعادات والأنظمة الجاهلية والنزعات الشائعة غير الاسلامية، وزيفها وكذبها، وبعدها عن

---

(١) التوبة: ٣٣. (٢) فاطر: ١٠

الحقائق والوقائع العلمية والموضوعية التي يزعمون التمسّك بها والاعتماد عليها، وزيف الحريات وخطأ المبادىء النيابية في الحكم القائم على جعل الحاكمية والتشريع لغير الله.

وهذا ما تتولاه دروس الثقافة الإسلامية ومناهجها وكتبها، والكتب الإسلامية الحديثة التي انتشرت بالمئات في طول الكرة الأرضية وعرضها، والتي بنيت على نشر الوعي الاسلاميّ والدعوة إلى تطبيق الإسلام في الحياة، وعلى وعي العقيدة الإسلامية واظهار عظمتها وآثارها في رقي البشرية عامة وفي حياة وتاريخ الأمة الإسلامية، ككتب أبي الأعلى الودودي، وأبي الحسن الندوي وسيد قطب ومن سار على هذا النهج...

٤ ـ تربية الناشئين على مخالفة أهل الأنظمة والعقائد الجاهلية: وهذا مبدأ عظيم من المبادىء التي قام عليها الاسلام، نصّ عليه في القرآن والسنة، والفقه الاسلامي.

فالله جل جلاله ربى عباده بقراءة الفاتحة في كل ركعة، وفيها النص على مخالفة اليهود والنصارى ﴿صراط الّذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضّالّين﴾[1].

وقد نهى الله نبيه عن اتباع أهل الكتاب وأهل الجاهلية. قال تعالى: ﴿.. ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾[2].

قال ابن تيمية في تفسير هذه الآية وما قبلها:

---

(١) الفاتحة ٦، ٧، ٨ (٢) الجاثية ١٨.

« . .وقد دخل في (الذين لا يعلمون) كل من خالف شريعته وأهواؤهم هي ما يهوونه وما عليه المشركون »[1] .

كما أمره أن يظهر لجميع ملل الكفر مخالفته لهم في معبوداتهم ودينهم ﴿قل يا أيها الكافرون* لا أعبد ما تعبدون* ولا أنتم عابدون ما أعبد* ولا أنا عابد ما عبدتم* ولا أنتم عابدون ما أعبد* لكم دينكم ولي دين* ﴾

« أهمّ مظاهر مخالفة أصحاب النزعات الجاهلية الشائعة في التفكير والاعتقاد:

تعددت مظاهر مخالفة أصحاب الجحيم في التربية الإسلامية بمقدار تعدد مظاهر الحياة، سنذكر منها على سبيل المثال الأمور الأساسية التالية:

(أ) المخالفة في الاعتقاد والتفكير:

وهو تربية النشء على مخالفة أصحاب النظم والعقائد الباطلة والابتعاد عن متابعتهم في أفكارهم ومعتقداتهم عن الكون والمادة والحياة والإنسان والمجتمع والمبدأ أو المصير . . .، ولما كان هذا أعظم مبدأ يحمي عقيدة الجيل من الانحراف أو الاضمحلال في التيارات الفكرية الجاهلية رأينا أن نفصل، فيه القول من وجوه أهمها:

١ ـ الابتعاد عن استعمال الألفاظ والمصطلحات التي أصبحت طابعاً مميزاً لهم، استعمالا يدل على تبنّيها واعتمادها في ابحاثنا الاسلامية مضاهاة لهم. . . أما ذكرها على سبيل نقدها وتفنيدها وبيان خطرها وخطئها فهو من تمام مخالفتهم ومن مستلزماته، ومن هذه الألفاظ على سبيل المثال:

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ١٤ ط دار المعرفة بيروت.

(الجماهيرية[١])، و (الجدلية[٢])، و (العشق الالهي[٣])، و (الديمقراطية[٤])، واطلاق لفظ: (الرب[٥])، و (الأب) دون سواهما على الذات الالهية. ونحو ذلك مما لا يمكن حصره....

٢ ـ مخالفتهم في أسلوب التفكير وطريقة البرهان مع اثبات خطرها على العقيدة. ذلك أن جميع النزعات الجاهلية الشائعة اليوم تقتصر في حجمها وبراهينها على الحس والمشاهدة. وينكرون ما وراءه وهوالوحي الالهي، وهم يقفون في معطيات ونتائج بحوثهم عند المرئيات والمشهودات والماديات وينكرون ما فوقها، وهو الوصول بالتفكير السليم الى وجود الخالق، وقيّوميّته على الكون، ووجوب الخضوع له. والاقرار بالألوهية وتنزيهه عن كل نقص...

وقد ترجمت علومهم الكونية، المبنية على أسسهم الاعتقادية المادية الملحدة، ودخلت الى معظم مدارسنا في البلاد الإسلامية، كالفيزياء والكيمياء والجغرافيا الطبيعية وطبقات الأرض، ووظائف الأعضاء والفلك وطبقات الجوّ... حتى العلوم الانسانية كالمجتمع وعلم النفس والتاريخ، فكانت وبالاعلى الأمة الاسلامية. مع أن الله تعالى يوجهنا الى دراسة هذه العلوم بقصد الاستدلال على ألوهيته وعلى أن القرآن حق والبعث حق... حيث قال سبحانه:

﴿...فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾[٦]

---

(١)، (٢) وقد اختصت بها النزعات الشيوعية اكثر من غيرها.

(٣) وهو من استعمال الصوفية المتطرفة.

(٤) ويزعمون ان معناه حكم الشعب بالشعب وللشعب.

(٥) وقد ظهر هذا في النصرانية المعاصرة.

(٦) النحل ٣٦، وهذه الآية ونحوها مثل لدراسة الآثار التاريخية وهدفه في القرآن الكريم.

وقال جل جلاله: ﴿سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنه الحقّ﴾[1].

وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع[2]. وانما قصدنا هنا وجوب تربية النشء على مخالفة هذا الأسلوب الفكري الناقص الذي لا يوصل إلى الحق ولا إلى نتائج صحيحة، والذي درج ـ عليه المفكرون في الشرق والغرب من أتباع العقائد والنزعات الجاهلية الشائعة. وأن تتميز تربيتنا الاسلامية بأسلوبها الفكري القرآني، الذي يبدأ بالحس والمشاهدة، ولكنه لا يقتصر عليهما ولا يقف عندهما ولا يقيد الفكر بهما، بل يطلق العقل ليستدل بالبرهان على ما تدل عليه هذه الكائنات من الحق والخير والعظمة الالٰهية... وأن تتخلص، بهذا الاسلوب القرآني والفكريّ من (التبعية الفكرية للغرب[3])، في مناهجنا وكتبنا وأساليبنا التربوية..

٣ ـ ومن أساليب التفكير الغربي، التي تسربت الى أمتنا في فترة من فترات تاريخنا الفكريّ، وما زال بعض تأثيرها ساريا الى يومنا هذا، تطبيق (المنطق اليوناني الأرسطاليسيّ) على بعض جوانب العقيدة الإسلامية، مما أدى بالبعض الى سوء فهم هذه العقيدة وتحويلها الى جدل عقيم...

---

(١) فصّلت ٥٣، وهذه الآية ونحوها مثل لدراسة العلوم الكونية والانسانية واسلوبها في القرآن.

(٢) انظر مشكلة التعليم في الصفحات السابقة وما تفرع عنها من مشكلة (التوجيه الاعتقادي للتعليم) وانظر كتاب أصول التربية الاسلامية وأساليبها للمؤلف ص ٣٧ ـ ٤٣، ص ١٤٨ ـ ١٥٣.

(٣) أنظر مشكلة التعليم في الصفحات السابقة وما تفرع عنها من مشكلة (التوجيه الاعتقادي للتعليم ـ وانظر كتاب أصول التربية الاسلامية وأساليبها للمؤلف عن ٣٧ ـ ٤٣، ص ١٤٨ ـ ١٥٣.

مثال ذلك أن بعض العلماء الذين دَرَسوا هذا المنطق وتأثروا به حاولوا تطبيقه على الصفات الالٰهية، فنتج معهم أن القول بهذه الصفات على ظاهرها كما وردت في القرآن والسنة يؤدي الى تشبيه الله تعالى بالبشر فنفوا عن الله كثيراً من الصفات التي أثبتها الله، ورسوله، كما فعلت المعتزلة، والمعطّلة، والجهميّة، وغيرها من الفرق الضالة. ثم انبرى لهم أئمة أهل السنة والجماعة وعلى رأسهم الامام أحمد بن حنبل رحمه الله، حتى جاء شيخ الاسلام أحمد بن تيمية، فبسط آراء الضالين وفنّدها وبين الحق[1] في مسألة صفات الله تعالى ووضع لذلك أسساً لمنطق إسلامي يمكن تسميته (المنطق النسبي[2]) بعد أن رد على منطق اليونان، وتابعه ابن قيم الجوزية، وبيّنا قصوره وزيفه، فخطوا بذلك خطوة مباركة في سبيل توضيح أسلوب من أساليب التفكير الإسلامي لفهم هذه القضية فهماً صحيحاً.

---

(١) ، (٢) :يمكننا لايضاح ذلك أن نأخذ المثال التالي: اذا طبقنا قواعد المنطق اليوناني على نسبة (اليد) الى الله تعالى وجدنا أن (اليد) عندهم لفظ يدل على (تصوّر). «والتصورات التي يتناولها المنطق هي التصورات المجردة العامة لذلك قيل أن التصوّر هو ادراك ماهية الشيء من غير أن يحكم عليها بنفي أو اثبات» ولادراك ماهية (اليد) لا بد لها من (حد) أو تعريف. والحد في المنطق يعتمد على معرفة الجنس القريب والبعيد ومعرفة الخصائص أي الصفات الدائمة وكل ذلك يعتمد على دراسة الواقع الحسّي واستقرائه، مع الاقتصار على المحسّات كما هو ديدن أرسطو ومن تبعه... فينتج عن ذلك نسبته (الجارحة) الى الله تعالى وتشبيهه جل جلاله بالبشر، أو نفي هذه الصفة عنه، وتأويلها.. ويرد عليهم (ابن تيمية) بأنه لا يلزم من تعريف لفظ (اليد) انها من الجوارح فان معنى اليد يختلف باختلاف الذات التي (تنسب) اليها. فاليد (بالنسبة) الى الله تعالى لا تعني (العضوية كالبشر) ولا تشبه الأيدي المحسّة في هذا الكون، وهكذا يقوم هذا (المنطق النسبي) على أن الألفاظ والتصوّرات انما تفهم بحسب من تنسب اليه، وأن هناك قدرا مشتركا بين مفاهيمنا البشرية والألفاظ القرآنية لا بد منه لتقريب هذه المفاهيم الغيبية الى عقولنا.

٤ ـ ومن المخالفة الفكرية لأهل النظم والنزعات الجاهلية الشائعة تربية النشء على محاربةالنفاق والتذبذب بين الحق والباطل، والنفاق هو إظهار ما يوافق المصلحة والهوى مع العلم بأنه باطل، واخفاء الحق إذا خالف أهواء النفس والمصالح الخاصة، أو التظاهر بالحق مع كتمان الكفر، لمصلحة وهوىً في النفس قال تعالى: ﴿وإذا لَقُوا الذينَ آمنُوا قالوا آمنا، وإذا خَلَوا الىشياطينهم قالُوا إنَّا معكُم. إنما نحن مُستَهزئونَ﴾[1]. فهؤلاء يتظاهرون بالايمان ليأمنوا على أنفسهم تجاه المسلمين ويضمرون الكفر الذي يظهرونهلشياطينهم حين الخلوة بهم والبعد عن رقابة المجتمع المسلم.

وقد درج أصحاب النزعات الجاهلية اليوم على اخفاء خططهم المبيتة للمسلمين واظهار ما لا ينفرهم بادىء ذي بدء.

وقد حذرنا الرسول ﷺ من كل أنواع النفاق، وبين أنه درجات، وأن كل مسلم معرّض له فيجب الحذر منه باستمرار، (عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ) قال:

« أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً. ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»، متفق عليه[2]).

ومن النفاق كتمان العلم لمخالفته الهوى أو المصلحة الخاصة قال تعالى: ﴿ان الذين يكتمون ما أنزل من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون[3]﴾.

---

(١) البقرة ـ ١٤.

(٢) رياض الصالحين ص ٤٥٤ ـ دار القلم بيروت لبنان.

(٣) البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٠.

قال ابن تيمية في تفسير هذه الآية « فوصف المغضوب عليهم بأنهم يكتمون العلم تارة بخلا به، وتارة اعتياضاً عن اظهاره بالدنيا، وتارة خوفاً أن يحتج عليهم بما أظهروه منه.. وهذا قد ابتلى به طوائف من المنتسبين الى العلم من المسلمين فإنهم تارة يكتمون العلم بخلا به، وكراهة أن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه، وتارة اعتياضاً عنه برياسة أو مال، ويخاف من اظهاره انتقاص رياسته، أو نقص ماله....[1]).

ومن النفاق السائد اليوم عند جميع النظم الجاهلية تمويه الحقائق والوقائع ونقل الاخبار على غير حقيقتها بواسطة وسائل الاعلام المختلفة.

فيجب تربية الأجيال المسلمة على الحذر والوعي وعدم التسليم لكل ما يسمعونه من وسائل الاعلام، وعلى محاربة المبادىء الوصولية التي تزعم أن السياسة (سياسة الشعوب) لا يمكن أن تقوم الا على شيء من الكذب أو التمويه أو الالتواء، والتي تسمى ذلك (مهارة أو براعة سياسية)...

وقد بدأت تظهر في بعض البلاد الإسلامية دراسات اعلامية لانشاء اعلام اسلامي يقوم في أسسه ووسائله وأهدافه على الإسلام ويكشف بالمقابل بعض اخطاء الأساليب الإعلامية الشرقية والغربية، وقدمت في ذلك بعض دراسات جامعية عالية على مستوى الماجستير، ولكنها ما زالت في مهدها. وسنورد هنا مثالاً للدس والافتراء الاعلامي الشيوعي: يقول الكاتب الانكليزي (كاريو هنت) في مقدمة كتابه (النظرية والتطبيق في الشيوعية)[2] « لا يكاد الباحث يعرف من أين يبدأ؟ وبالرد

---

(١) اقتضاءالصراط المستقيم ص ٧ ـ دار المعرفة ـ بيروت لبنان.

(٢) الشيوعية والأديان. د. طارق حجي ص ٨٤، ٨٥ من مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك =

على أي المزاعم يستهلّ تفنيده لطوفان الدعاية الشيوعية. فالدعاية الشيوعية تعمل بكل السبل الشريفة وغير الشريفة وفي كل مجال... وفي كل موضوع، بحيث يجد الباحث نفسه في مواجهة خضمّ من الأقاويل والمزاعم والبيانات، وفي مواجهة سيل جارف من الدعاية يحتاج لمراكز متخصصة في البحث لاثبات أن السواد الأعظم من هذه الأقاويل والبيانات والدعايات هو نسيج محض من التلفيق والكذب وابتداع ما ليس بحقيقي ولا يصدق في شيء...»

٥ ـ ومن التجنّب الفكري الاعتقادي لعادات أهل الجاهلية تربية النشء على محاربة السحر والشعوذة وتربية العقل على التعليل الصحيح والتفكير السليم وترك التطيّر والتشاؤم...

فقد نهى رسول الله ﷺ عن تصديق العرافين والكهان فقال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدّقه لم تقبل له صلاة اربعين يوماً» رواه مسلم.

وقال تعالى منكراً على اليهود: ﴿ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب، يؤمنون بالجبت والطاغوت؟...﴾[1].

قال المفسرون[2] الجبت الشيطان، والأصنام، والكاهن، ورنّة الشيطان. وقال ﷺ «العيافة والطيرة والطرق من الجبت[3]».

وقال الجوهري في الصحاح[4] الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن

= الاسلامية سنة ١٩٨٠ م.

(١) النساء ٥٠.

(٢) وقد عزا ابن كثير كل كلمة الى احد الصحابة أو التابعين. ولخصناها هنا لضيق المقام.

(٣) رياض الصالحين ص ٤٧٥.

(٤) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥١٢.

والساحر ونحو ذلك. وقال أبو داود في تفسير الحديث «الطرق هو الزجر، أي زجر الطير فإن طار إلى جهة اليمين تيمّن، وان طار إلى جهة اليسار تشاءم، والعيافة: الخط[1]».

وقد ربى رسول الله ﷺ أصحابه على ترك ـ التعليلات الخاطئة حين كسفت الشمس وكان قد توفي ابنه ابراهيم فقال الناس كسفت الشمس لموت ولد رسول الله فبين لهم الرسول ﷺ أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تكسفان لموت أحد ولا لحياة أحد...

وكان الناس إذا رأوا ما يكرهون تطيّروا أي تشاءموا وتوقعوا الشر بسبب ما رأوا فوجههم رسول الله ﷺ بقوله «..فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات الا أنت، ولا يرفع السيئات الا أنت ولا حول ولا قوة الا بك[2]».

وعاب الله على قوم تطيروا بأنبيائهم وهددوهم ﴿قالوا انّا تطيّرنا بكم، لئن لم تنتهوا لنرجمنّكم ولَيمسّنّكم منّا عذاب أليم﴾، يس: ١٨

ثم ذكر جواب الأنبياء، يعلّمنا بذلك التفكير السليم والتعليل الصحيح «قالوا طائركم معكم» أي شؤمكم وسبب هلاككم ناتج عن كفركم وأعمالكم. «أئن ذكّرتم؟» اتتشاءمون من أنكم ذكّرتم بالله؟. «بل أنتم قوم مجرمون» فاجرامكم هو الشؤم عليكم. يس ١٩

٦ ـ ومن لوازم مخالفة النزعات الشائعة **تربية النشء على محاربة التعصب** الأعمى على الحق والباطل، كما يتعصب الكفار لأحبارهم ورهبانهم

---

(١) رياض الصالحين ص ٤٧٥ (مرجع سابق).

(٢) رياض الصالحين ص ٥٩٢ دار الكتاب العربي بيروت

وزعمائهم وكبار مفكريهم دون أن يكون عندهم مقياس لأعمالهم إلا الهوى، والاعجاب بالمظاهر كالمال والجاه والسيطرة، أو الانتماء إلى النسب أو الأرض (كالأقليمية والقومية).

لأن هذا التعصب للأهواء يؤدي الى الحكم بغير ما أنزل الله وتحكيم غير شريعة الله، ارضاء لهؤلاء الزعماء، كما حصل لليهود والنصارى، اذ وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾[1] وقد فسر رسول الله ﷺ هذه الآية عندما دخل عليه عدي بن حاتم وهو يقرؤها فقال له عدي (انهم لم يعبدوهم) فقال «بلى، انهم حرموا عليهم الحلال واحلّوا لهم الحرام فاتبعوهم. فذلك عبادتهم اياهم»[2].

وهذا ما يجري اليوم في كل النزعات الشائعة من شيوعية ورأسمالية وقومية وعالمية: يقدسون زعماءهم، ثم يتعصبون لهم ولدساتيرهم وتشريعاتهم تعصباً أعمى دون أي مناقشة حقيقية، ودون أن يكون لهم مقياس علمي ثابت، الا المصالح والأهواء، ويردّ أولئك الزعماء بتمجيد (الجماهير)، (كما يسمونهم) وكيل المديح لهم بالقناطير المقنطرة من الألفاظ الطنانة الرنانة الجوفاء... والتظاهر بالحرص على مصالحهم ومنافعهم... وهكذا يتبادل (الطرفان) التملّق والدجل والنفاق، بعيدين عن الوقائع والحقائق مزوّرين للحقائق الربّانية الثابتة. وقد بيّن الله لرسوله، وهو قائد هذه الأمة ورائدها، أن مهمته الأولى في هذه الحياة الدنيا تبليغ رسالة ربه وهداية البشر الى اتباعها، وتعليمهم أوامر الله

---

(١) التوبة: ٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٤٨.

ونواهيه وتشريعه، دون أن يميل أو يتعصب لأية فئة مهما بلغت منزلتها الاجتماعية. بين له ذلك منذ بداية عهده بالرسالة في مكة. فحينما طلب منه المشركون أن يفجر لهم من الأرض ينبوعاً، أو تكون له جنة، أو يسقط السماء عليهم، أو يأتي بالله والملائكة، أجابهم الله تعالى بقوله مخاطبا نبيه ﴿قُل سُبحان ربي هل كنتُ إلاّ بشراً رسولا؟﴾[1]. ونزل[2] في ثقيف، وقد سألوه ﷺ، ان يحرّم واديهم، قوله تعالى: ﴿وان كادُوا لَيفتِنونَكَ عن الّذي أوحينَا إليكَ، لِتَفتريَ علينَا غيرَهُ، واذاً لاتّخذوكَ خليلاً(★) ولولا أن ثبّتناكَ لقد كِدتَ تركَنُ اليهِم شيئاً قليلا(★) إذاً لأذقناكَ ضِعفَ الحياةِ وضِعفَ المماتِ، ثُم لا تجدُ لَكَ علينَا نصيراً﴾[3].

وعاتب الله رسوله في (الأعمى) الذي أعرض عنه وكان مشغولاً بكبار قريش يرجو هدايتهم ﴿عبس وتولّى أن جاءه الأعمى، وما يدريك لعلّه يزّكى؟...﴾[4].

كما علّمه الله تعالى ألا يتعصب لنفسه أو لرأيه قبل أن يجيء الوحي مجلّيا الأمر:

« روى أحمد[5] ومسلم عن أنس أن النبي ﷺ كسرت رباعيته، وشجّ وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال: (كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم

---

(١) الاسراء: ٩٣.

(٢) تفسير الجلالين ص ٣٨١ ـ ط م هاشم الكتبي بدمشق على هامش القرآن الكريم.

(٣) الاسراء: ٧٣، ٧٤، ٧٥.

(٤) سورة عبس: ١، ٢، ٣.

(٥) لباب النقول في أسباب النزول للسيوط ـ ط في ذيل تفسير الجلالين (المرجع السابق) ص ١٧٠.

وهو يدعوهم الى ربهم) فأنزل الله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء، أو يتوب عليهم، أو يعذبهم فأنهم ظالمون﴾ .(آل عمران: ١٢٨)

وعلّم الرسول ﷺ أصحابه ألا يبالغوا في مدحه فقال: « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله[١] ». فإذا كان هذا شأن رسول الله ﷺ وهو سيد البشر، وقدوتهم فما رأيك بمن دونه من الرؤساء والملوك والزعماء والقادة في هذا العصر؟.

وقد كره رسول الله ﷺ أن يتخذ من أمته خليلا فقال قبل أن يموت بخمس « اني أبرأ أن يكون لي منكم خليل »[٢]. لئلا يكون في ذلك تعصب أو تحيّز لأحد من بعده فيوهن وحدة الأمة ويجعلها شيعاً وأحزاباً....

(ب) ومن مظاهر هذا المبدأ:

مخالفة الجاهلية في الشعائر والعبادات:

وقد حرص رسول الله ﷺ، على ذلك في العديد من المناسبات، فنهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وغروبها ابتعاداً عن التشبه بالوثنيين عبّاد الشمس، ونهى عن التشدّد والغلوّ في الدين كما فعلت اليهود، وأمر بصوم يوم قبل عاشوراء أو بعده مخالفة لليهود، كما أمر بالصلاة في النعال لهذا الغرض فقال ﴿صلّوا في نعالكم ولا تشبهوا باليهود﴾[٣]، وعندما عاد الصحابة من الحبشة ذكرت له بعض زوجاته بعض ما رأين في الكنائس هناك - كما في صحيح الامام مسلم -

---

(١) صحيح الجامع الصغير للألباني جـ ٦ ص ١٦٢.

(٢) صحيح الامام مسلم جـ ٢ ص ٦٨ - دار الطباعة العامرة - استنبول - ١٣٢٩ هـ.

(٣) رواه الطبراني عن شداد بن أوس: صحيح الجامع الصغير للشيخ ناصر الدين الألباني.

«عن عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: (ان أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا له تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة[1]).

وفي رواية عن جندب «... ألا وان من كان قبلكم كانوا - يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، اني أنهاكم عن ذلك[2]».

ومما ابتلى به بعض المسلمين اليوم المبالغة في ترتيل الأدعية ورفع الصوت بها وقت السحر في رمضان، وبترتيل الاستغفار جماعة بعد الصلوات المفروضة في المساجد، وبعضهم بترتيل وتنغيم الخطب يوم الجمعة وفي الأعياد، وكل ذلك من عادات اليهود والنصارى في بيعهم وكنائسهم، مع أن رسول الله ﷺ «كان إذا خطب علا صوته واحمرت عيناه كأنه منذر جيش يقول صبّحكم ومساكم...[3]».

وكان يكره رفع الصوت بالدعاء ويقول لمن يرفعون أصواتهم «أربعوا على أنفسكم فانكم تناجون سميعا بصيرا» أو كما قال.

(جـ) التميز الاجتماعي والسلوكي عن النزعات الجاهلية الشائعة:

وهو تربية النشء على مخالفة العادات الضارة لأرباب النزعات والأديان الجاهلية، كاجتماع الجنسين والأكل باليد اليسرى[4]، وارتداء الألبسة التي تحجم

---

(١) ، (٢) صحيح الامام مسلم جـ ٢ ص ٦٦ - ٦٨ ط دار الطباعة العامرة.

(٣) زاد المعاد من هدى خير العباد لابن قيم الجوزية جـ ص ٦٤، ٦٥.

(٤) ذلك انهم يمسكون المدية باليمنى و (الشوكة) باليسرى ومن المتعين الأكل بالشوكة بعد =

العورات، والقبعات التي يتميزون بها على رؤوسهم، وتقليد أساليبهم في المسكن والنكاح والاجتماع وغير ذلك مما يؤثر في القلب والعقيدة.

قال ابن تيمية[1]:

«ثم ان الصراط المستقيم: هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وارادات، وأمور ظاهرة: من أقوال وأفعال، قد تكون عبادات، وقد تكون عادات أيضاً، في الطعام واللباس والنكاح والمسكن والاجتماع والافتراق والسفر والاقامة وغير ذلك.

وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما، ولا بدّ، ارتباط ومناسبة. فان ما يقوم بالقلب من الشعور والحال، يوجب أموراً ظاهرة... وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً...

وقد بعث الله عبده ورسوله محمداً ﷺ، بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له. فكان من هذه الحكمة: أن شرع له من الأعمال والاقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين وأمر بمخالفتهم في الهدى الظاهر..... لأمور: منها أن المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود الى الموافقة في الاخلاق والأعمال. وهذا أمر محسوس. فان اللابس لثياب أهل العلم مثلا، يجد من نفسه نوع انضمام اليهم. واللابس لثياب الجند المقاتلة، مثلا، يجد في نفسه نوع تخلّق باخلاقهم... ومنها أن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال والانعطاف إلى أهل الهدى والرضوان.

= التقطيع بالسكين.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١١ ـ ١٢ الناشر دار المعرفة بيروت، بتحقيق محمد حامد الفقي.

وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المصلحين وأعدائه الخاسرين . . »، وبالمقابل نجد « أن مشاركتهم في الهدى الظاهر، توجب الاختلاط الظاهر حتى يرتفع التمييز بين المهذبين المرضيّين وبين المغضوب عليهم والضالين ».

ثم نقل ابن تيمية عن الفقهاء نقولا تؤيد هذا الاتجاه وكذا عن الصحابة، منها قوله: « وقالوا أيضاً لا يجوز الأكل والشرب والادّهان والتطيب في آنية الذهب والفضة للرجال والنساء، للنصوص، ولأنه تشبّه بزيّ المشركين، وتنعّم كتنعّم المترفين والمسرفين[1] ».

« وقالوا في تعليل المنع من لباس الحرير في حجة أبي يوسف ومحمد، على أبي حنيفة، في المنع من افتراشه وتعليقه والسّتر به: لأنه من زي الأكاسرة والجبابرة، والتشبّه بهم حرام[2] . . . ».

ثم قال: « وأما كلام أحمد وأصحابه في ذلك فكثير جداً أكثر من أن يحصر، وقد قدّمنا منه طائفة عند ذكر النصوص عند قوله ﷺ « من تشبه بقوم فهو منهم »(★)، وقوله « أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى، لا تشبّهوا بالمشركين » . . . وقال أحمد أكره النّعل الصّرّار وهو زيّ العجم، وكره تسمية الشهور بالعجمية، والأشخاص بالاسماء الفارسية[3] . . . »

ثم قال ملخصاً هذا المبدأ النبوي العظيم الذي اتفق عليه الفقهاء: انما الغرض بيان ما اتفقت عليه العلماء من كراهة التشبّه بغير أهل الاسلام[4] .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٦٤ - ٦٦ ط م. أمين الخانجي في المطبعة الشرقية سنة ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧ م.

(٢)، (٣)، (٤) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٦٤ - ٦٦ ط م. أمين الخانجي في المطبعة الشرقية سنة ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧ م.

(★) رواه ابو داود عن ابن عمر والطبراني في الأوسط عن حذيفة: صحيح الجامع الصغير للألباني جـ ٥ ح ٦٠٢٥.

فعلينا تربية أبنائنا على الحرص على مخالفة أهل الشرك والكفر والجاهلية في أزيائهم وأعيادهم وعاداتهم وكل ما هو شعار لهم، اعتزازا بالاسلام وبعداً عن أولياء الشيطان، وعن التأثر بباطلهم. عن طريق الاعجاب بمظاهرهم البراقة.

هذا ما يسّر الله من البحث في مبادىء التربية الاسلامية وخصائصها وموقفها من أهم المشكلات التربوية المعاصرة.

وقد جاء مكملاً لما بدأت مِن (أصول التربية الاسلاميّة وأساليبها).

لايضاح الخطوط الأساسية لمنهج تربوي اسلامي متكامل. وأرجو أن أكون قد وفقت لإرضاء رب العالمين. وقد تمت مراجعته في غرة جمادى الأولى من سنة ١٤٠٢ هـ والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المحتوى

الصفحة	الموضوع
٣	**مقدمة الكتاب** وتشمل الموضوعات التالية :
٤	أ ـ تمهيد في معنى التربية عند الغربيين
٥	ب ـ حاجة البشر الى التربية
٦	جـ ـ لكل أمة تربيتها في عالم اليوم
٩	د ـ حاجة العالم الى نظام تربوي اسلامي :
	١ ـ مشكلة العالم التربوية
	٢ ـ أسباب المشكلة (قصور التربية الغربية)
	٣ ـ حل المشكلة : نظرة تاريخية ـ نتائج هذه النظرة التاريخية .
١٧	هـ ـ منهج البحث في التربية الاسلامية ، ومحاولات الباحثين المعاصرين ـ مصادر البحث في التربية الاسلامية .
	١ ـ الدراسات ذات المنهج التاريخي (هل يصلح التاريخ مصدراً للتربية الاسلامية) .
١٨	٢ ـ دراسة التربية الاسلامية من خلال رجالات التاريخ .
٢٠	٣ ـ المحاولات الحديثة للبحث عن نظام للتربية الاسلامية .
٢١	٤ ـ محاولة تحقيق التربية الاسلامية في مناهج التعليم المعاصرة .

٢٤ ٥ ـ القرآن والسنة هما المصدر الطبيعي للتربية الاسلامية .
٢٩ **الفصل الاول:** عرض موجز لأهم أسس التربية الاسلامية
٣٢ أولاً : الأساس الاعتقادي :
٣٣ أ ـ لمحة سريعة عن الانسان والكون والحياة في نظر الاسلام .
٣٤ ب ـ أركان الايمان وآثارها التربوية
٤٢ ثانياً : الأساس التعبّدي :
٤٢ أ ـ مفهوم العبادة في الاسلام وأثره التربوي
٤٣ ب ـ العبادات الاسلامية ومفهومها التربوي
٤٤ جـ ـ بعض الآثار التربوية
٤٦ ثالثاً : الاساس التشريعي :
٤٦ أ ـ مفهوم التشريع الاسلامي ومميزاته
٤٨ ب ـ أحكام التشريع الاسلامي وأثرها التربوي
٥٣ **الفصل الثاني:** مبادىء التربية الاسلامية (تمهيد) :
٥٦ المبدأ الاول : التعلّم فريضة ـ تمهيد ـ معنى التعلم في الاسلام .
٥٧ التعلم من ضروريات الاسلام
٥٨ أدلة على وجوب التعلّم
٦٠ المبدأ الثاني : التعليم فريضة على كل قادر (معنى التعليم في القرآن) .
٦٣ أدلة على وجوب التعليم
٦٦ المبدأ الثالث : التعلّم مدى الحياة
٦٩ المبدأ الرابع : تقرير الكرامة الانسانية : تمهيد وتعريف
٧١ بعض النتائج التربوية لهذ. المبدأ
٧٣ الكرامة الانسانية وتحرير البشرية من قيودها
٧٥ المبدأ الخامس : التربية الذاتية :

٧٥ أ ـ تعريف
٧٦ ب ـ التربية بالممارسة والعمل
٧٨ جـ ـ نتائج تربوية تاريخية
٧٩ **الفصل الثالث:** خصائص التربية الاسلامية (تمهيد)
٨١ الخاصية ـ ١ ـ التربية الاسلامية ربانية
٨٢ أ ـ من حيث البداية
٨٢ ب ـ من حيث الهدف . .
٨٣ جـ ـ ربانية في أساليبها
٨٤ الخاصية: ٢ ـ التربية الاسلامية ثابتة الأسس
٨٥ ٣ ـ التربية الاسلامية موافقة للفطرة: تمهيد وتعريف للفطرة
٨٦ ـ الدين من لوازم العقل البشري
٨٨ ـ النفس بانفعالاتها مفطورة على الدين
٨٩ ـ الاسلام والدوافع الفطرية
الخاصية: ٤ ـ التربية الاسلامية شاملة لكل جوانب الحياة باعتدال وتوازن:
٩٠ أ ـ تنمي الطاقات الفكرية
٩٠ ب ـ تربي الميول والدوافع الفطرية
٩١ جـ ـ تشمل الطاقات الانفعالية والعاطفية
٩٣ د ـ توازن بينها
٩٣ هـ ـ توازن بين العقل والعاطفة
٩٤ و ـ توازن بين الايمان والعمل
٩٥ ز ـ توازن بين النزعة الفردية والاجتماعية
٩٧ الخاصية: ٥ ـ التربية الاسلامية موحدة للطاقات البشرية
٩٨ أ ـ توحيد طاقات الفرد

٩٩ ب ـ تعديل الدوافع الغريزية
١٠٠ جـ ـ العاطفة السائدة كيف تتكون
١٠١ هـ ـ العاطفة السائدة في التربية الاسلامية
١٠٣ و ـ أثر توحيد الطاقات في الشخصية الانسانية
١٠٤ ز ـ كيف وحدت التربية الاسلامية طاقات الفرد
١٠٦ الخاصية: ٦ ـ عالميّة التربية الاسلامية
١٠٧ أ ـ معنى العالمية لغوياً وقرآنياً
١٠٨ ب ـ معنى الخاصة تربوياً:
١٠٨ ١ ـ خضوع التربية لرب العالمين وشمولها
١٠٩ ٢ ـ بعدها عن القومية
١٠٩ ٣ ـ بعدها عن العنصرية والطبقية
١١٠ جـ ـ النتائج التربوية
١١٢ د ـ الأثر الحضاري
١١٢ الخاصية: ٧ ـ التربية الاسلامية متفائلة ايجابية فعّالة
١١٢ أ ـ تمهيد
١١٣ ب ـ مقياس التفاؤل..
١١٣ جـ ـ العقيدة الاسلامية منبع تفاؤل في التربية الاسلامية
١١٤ هـ ـ العبادة المنبع الثاني للتفاؤل في التربية الاسلامية
١١٥ و ـ الشعور بالكرامة المنبع الثالث للتفاؤل في التربية الاسلامية
١١٦ ز ـ ذروة التفاؤل الابتسام والصبر أمام المصائب والنكبات
١١٩ **الفصل الرابع:** مشكلات وقضايا معاصرة تعالجها التربية الاسلامية:
١٢١ أولاً: الطفولة ومشكلاتها
١٢١ تمهيد: عرض المشكلة:

١٢٣ ١ ـ مشكلات الطفولة قبل الولادة:
١٢٣ أ ـ مشكلة الانجاب وتزايد النسل
١٢٤ ب ـ مشكلة تحديد النسل وحلها
١٢٧ ٢ ـ مشكلات الطفولة بعد الولادة:
١٢٧ أ ـ مشكلة التعرّف الى طبيعة الطفل
١٢٨ ب ـ مشكلة المسؤولية التربوية وحلها
١٢٩ جـ ـ مشكلة حماية الطفولة
١٣٣ ٣ ـ مشكلات احترام طبيعة الطفولة وحاجاتها:
١٣٣ أ ـ معاملة الاطفال حسب طبيعتهم
١٣٤ ب ـ تأديب الأطفال وتوجيههم
١٣٥ جـ ـ تقويم أخطاء الاطفال
١٣٦ د ـ مشكلة حاجات الطفولة وعلاجها في التربية الاسلامية
١٣٧ (١) الحاجة الى الامن. (٢) الى الاحترام والتقدير
١٣٨ ـ ١٤٥ (٣) الى المحبة (٤) الى الانتماء (٥) الى اللعب.
١٤٥ ثانيا: مشكلة الحرية والنظام:
١٤٥ ١ ـ معنى الحرية ومنشؤها والحاجة اليها
١٤٦ ٢ ـ معنى النظام وضرورته
١٤٧ ٣ ـ عرض المشكلة
١٤٧ ٤ ـ الحرية في عرف الاسلام
١٤٩ ٥ ـ المسؤولية وحدود الحرية
١٥٠ ٦ ـ التربية الاسلامية والسلطة الضابطة الموجهة
١٥٢ ٧ ـ كيف يربّى الناشيء على الحرية والنظام
١٥٦ ٨ ـ عوامل تربية النظام في القرآن والسنة

١٥٨ ثالثا : مشكلة الفراغ :
١٥٩ أ ـ منشأ الفراغ النفسيّ
١٥٩ ب ـ علاج مشكلة الفراغ بمبدأ (التربية ملء النفس والعقل والوقت)
١٦٠ جـ ـ التربية الاسلامية تؤقت لنا الحياة اليومية
١٦٢ د ـ التربية ملء العقل
١٦٤ هـ ـ التربية ملء النفس والمشاعر
١٦٤ و ـ موقف التربية الاسلامية من الاحساس بالجمال
١٦٦ ز ـ التربية باطلاق جميع الطاقات
١٦٧ رابعاً : مشكلة التقنية :
١٦٧ أ ـ تمهيد وتعريف بالمشكلة
١٦٨ ب ـ الأسس الفكرية للتربية الاسلامية التقنية
١٦٨ ١ ـ الايمان بوحدة سنن الله في الكون
١٦٩ ٢ ـ الايمان بأن الكون مسخر للانسان
١٦٩ ٣ ـ الشمول
١٧٠ ٤ ـ تربية العقل على الدقة والتقدير والحسبان
١٧٢ جـ ـ الأسس النفسية النزوعية للتربية الاسلامية التقنية
١٧٢ ١ ـ التربية الهادفة المنزهة عن العبث
١٧٤ ٢ ـ التربية على الاستقامة والشعور بالمسؤولية
١٧٦ ٣ ـ التربية على حب العمل وتقديره واتقانه
١٨٠ خامساً : مشكلة الاعداد للحرب والسلم :
١٨٠ أ ـ عرض المشكلة
١٨١ ب ـ حل المشكلة : الاعداد التربوي للجهاد المستمر
١٨٣ جـ ـ الاساس الاعتقادي للجهاد المستمر

١٨٤ د ـ الجهاد بالدعوة ضرورة دفاعية ـ هجومية
١٨٥ هـ ـ الجهاد لإعلاء كلمة الله
١٨٦ و ـ الجهاد لإعلاء الولاء، ولنصرة أبناء الامة الاسلامية
١٨٧ ز ـ الجهاد للتربية على الفداء والتضحية
١٨٨ حـ ـ الجهاد لتبليغ الدعوة لجميع اهل الارض
١٨٩ طـ ـ الجهاد باعداد القوة
١٩٠ ي ـ الجهاد في السلم والحرب
١٩١ سادساً : المرأة والتعليم
١٩١ أ ـ عرض المشكلة
١٩٤ ب ـ حل المشكلة
١٩٤ ١ ـ وجوب تعليم المرأة
١٩٤ ٢ ـ تعليم المرأة في صدر الاسلام
١٩٥ ٣ ـ تعليم المرأة شروط قبولها في الاسلام
١٩٦ ٤ ـ حرية السؤال للمرأة من أجل التعلّم
١٩٧ ٥ ـ مجالس علم للنساء
١٩٨ ٦ ـ تعليم المرأة القراءة والكتابة
١٩٩ جـ ـ نتائج تربوية
٢٠٠ د ـ خاتمة
٢٠١ سابعاً : مشكلات التعليم :
٢٠١ أ ـ عرض المشكلة (تمهيد)
٢٠٢ ب ـ أبعاد المشكلة وجوانبها
٢٠٣ جـ ـ علاج أهم جوانب المشكلة :
٢٠٣ ١ ـ التوجيه الاعتقادي للتعليم

٢٠٦ ٢ ـ مشكلة الزامية التعليم وتعميمه ومجانيته
٢٠٨ ٣ ـ مشكلة تعدد اساليب التعليم وحلها
٢١٨ ثامناً : النزعات الشائعة والتربية الاسلامية
٢١٨ أ ـ عرض المشكلة :
٢١٩ ١ ـ الشيوعية
٢٢٠ ٢ ـ النزعات القومية والاقليمية
٢٢٢ ٣ ـ النزعات العالمية
٢٢٣ ٤ ـ النزعات الديموقراطية الرأسمالية
٢٢٤ ب ـ حل المشكلة :
٢٢٤ ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ الاعتزاز ، والجهاد ، والتوعية
٢٢٥ ٤ ـ تربية الناشئين على مخالفة أصحاب العقائد الجاهلية
٢٢٦ أ ـ المخالفة في الاعتقاد والتفكير
٢٢٦ ١ ـ في الفاظهم ٢ ـ في اسلوب التفكير
٢٢٨ ٣ ـ اثر منطق اليونان على العقيدة ، ومخالفته لها .
٢٣٠ ٤ ـ محاربة النفاق
٢٣٢ ٥ ـ محاربة السحر والخرافة
٢٣٣ ٦ ـ محاربة التعصب الأعمى الفكري والاجتماعي
٢٣٦ ب ـ مخالفتهم في العبادات والشعائر
٢٣٧ ج ـ التميّز الاجتماعي والسّلوكيّ عن اصحاب النزعات الاخرى
٢٤١ **الفهرس**